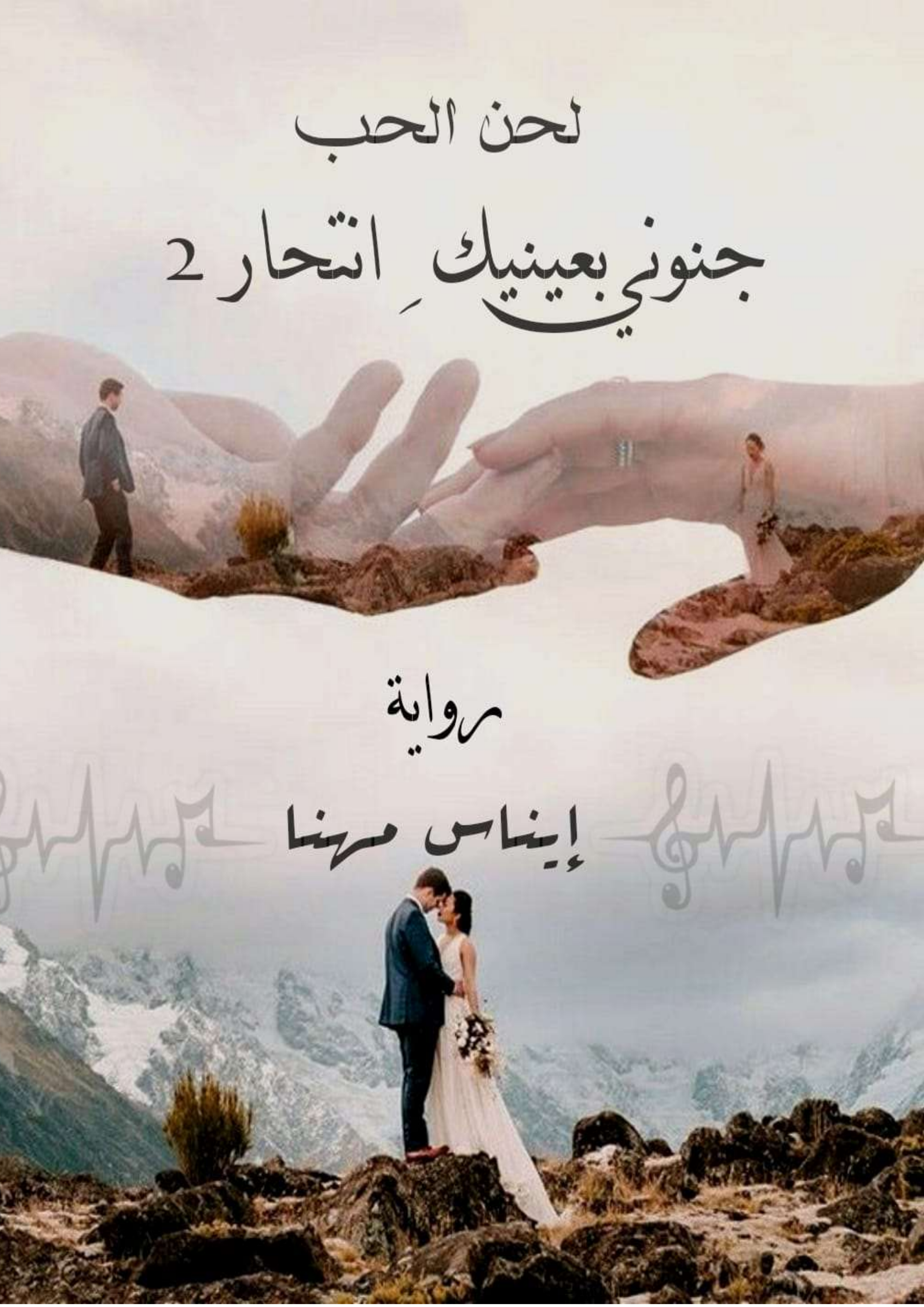

لحن الحب
جنوني بعينيكِ انتحار 2
رواية
إيناس مهنا

لحن الحب

جنوني بعينيك انتحار

الجزء الثاني

التصـــنيـــــف : رواية

المــــــؤلف : إيناس مهنا

تصميم الغـــلاف : إيناس مهنا

الإخراج الفني :

موقع أسرار الروايات للنشر الإلكتروني





المقدمة

وجهة نظر أحد شخصيات الرواية

من يراني من بعيد... لربما يؤمن بسعادتي....لا يدركون أني أبكي كل يوم.. والجرح الذي بداخلي ينزف دائماً وأبداً, أصبحت حياتي مجهولةً كلحنٍ أثيري مبعثر, ويستمر الليل الطويل دون أن تشرق شمس الأمل, أضحت نيراني رماداً ومن بين الرماد خرجت جمرةً لتحرق ما تبقى من روحي, وربيعي أغار عليه الريح فتبعثرت الحياة كما تتطاير أوراق الخريف , حتى الزهور من حولي ذبلت, ماتت, تاه عبق ريحها بمستنقع الواقع, ماتت الدقائق فابتلعتها الأيام والسنوات

لم أستطع نسيان الماضي ولن أستطيع, صرت وحيداً في دوامة الحياة بلا هدف, بماضٍ بشعٍ جداً لا أريد استذكاره وحاضرٍ يحتضر ومستقبلٍ لا مستقبل له ! كيف جرى كل ذلك !! ولما وصلت إلى هذه المحطةِ بالتحديد!

بعدما غادرتني جمانة ذلك اليوم الذي لن أنساه حتماً لأنه بداية الموت بالنسبة لي....هربتُ إلى الحانة, المكان الأمثل لأمثالي..وأطلقت فيها طاقتي بالشرب والرقص كمعتوهٍ

متمـــرس... أطلقـــت كـــل الألـــم الـــذي يعتمـــر نفســـي منهـــا...ومن نفســـي .. ومـــن خيـــانتي لزوجتي..واكملـــت مـــا ابتدأتـــه بالحانـــة مـــن لهـــوٍ وعبـــث وأنـــا مغيـــبٌ عمـــا حـــولي, لتـــدلف معـــي تلـــك الشـــقراء إلـــى غرفتـــي فـــي الفنـــدق, لا انكـــر حينهـــا أنـــي بكيـــت كثيـــراً حتـــى وأنـــا برفقـــة تلـــك اللعينـــة, بكيـــت وضـــربتها بشـــكلٍ هســـتيري حينمـــا تمثلـــت جمانـــة أمـــامي !! حتـــى هربـــت الفتـــاة مـــن الغرفـــة لأرتمـــي أنـــا باكيـــاً ولأول مـــرةٍ لأجـــل امـــرأة.. تلـــك الجمانـــة ســـحقت روحـــي, أحرقتني بنيران خطيئتي واستمرت تلك النيران طويلاً.

لـــم اكـــن أعـــرف حينهـــا أن إليســـا ســـقطت علـــى الأرض ونقلوهـــا للمستشـــفى كنـــت معتكفـــاً لثلاثـــة أيـــامٍ قضـــيتها بـــانحرافٍ غيـــر مســـبوق, بضـــياعٍ وتشـــتتٍ وغضـــب, أقفلـــت الهـــاتف بعـــدما توالـــت اتصـــالاتهم المســـتميتة لهاتفي...وحينمـــا رجعـــت كـــان المنـــزل يعبـــق بســـكونٍ مخيـــف, صـــعدت درجـــات الســـلم لأرى تلـــك الجنيـــة تعبـــث بخزانـــة اليســـا وحقيبـــةٌ كبيـــرةٌ علـــى الســـرير! لـــم أفهـــم مـــا الـــذي يجـــري حينهـــا! بقيـــت أحـــدق بهـــا بصـــمتٍ حتـــى تنبهـــت لوجـــودي وتطلعـــت فـــي بعيـــونٍ كالجحيم..بـــل أشـــد وطـــأةً منـــه! رميـــت الحقيبـــة علـــى الأرض لتغلـــق هـــي حقيبـــة إاليســـا وتخـــرج بهـــا دون أن تتفـــوه معـــي بحـــرف, توقفـــت بطريقهـــا قـــائلاً بعدم فهم: ما الذي يجري؟ أين الجميع ؟

رفعـــت بصـــرها مجـــدداً ورمقتنـــي بنظـــرة ازدراء قبـــل أن تغـــادر... ناديتهـــا جمانـــة! مـــا الـــذي يجـــري؟ : وهـــل يهمـــك مـــا الـــذي جـــرى يـــا مراد بك هل يهمك, طبعاً لا ...لا يهمك ولن يهمك"

أيـــن اليســـا " ســـألتها بتـــوجسٍ وشـــعرت حينهـــا بـــأن قلبـــي قـــد ســـقط بعنفٍ ليرتطم بخطاياي .....

اليســـا بالعنايـــة المركـــزة يـــا مـــراد... تـــدحرجت عـــن الســـلم وأجهضـــت الجنـــين.." نطقتهـــا بعنـــفٍ لتـــرتطم كلماتهـــا بـــأذني لتحرقني حروفها..

وطـــال تحـــديقي بهـــا دون أن أصـــدق مـــا جرى...كمـــا طـــال الألـــم الـــذي عـــذبت فيـــه روح زوجتـــي القاصـــر.. كـــالألم الـــذي نهـــش روحـــي جـــراء فقـــدان طفلـــي الأول" كـــم كـــان انتقـــام القـــدر قاســـياً منـــي, كـــم كـــان الـــثمن غاليـــاً بشـــكلٍ مخيـــف, دلـــف آدم متســـائلاً بلهفـــة هـــل انتهيـــتِ ؟" واقتطعهـــا مـــا إن رآنـــي أعلـــى الســـلم.. واقـــفٌ كالصـــنم أحـــدق بهمـــا ولا أفعـــل شـــيئاً ســـوى التحـــديق كالأبلـــه ! انتشـــل ادم الحقيبـــة مـــن بـــين يـــدي جمانـــة وقـــال موجهـــاً حديثـــه لـــي : إن كنـــت تريـــد زياتهـــا... فهـــي فـــي مستشـــفى الحيـــاة, هيـــا جمانـــة " وانطلقا دون أن يضيف أحدهما شيئاً آخر...

وتهشمت روحي.. وتناثرت شظايا الحب كالبلور المكسور لتعيث دماراً نازفاً داخل صدري , وتعاقبت الليالي السوداء التي لم أحسب لها حساباً, مات الذي كان يربطني بزوجتي, مات حب زوجتي الصغيرة التي لم أصنها كما يجب...ماتت روحي كذلك منذ ذلك الحين.. ورضخت لمطلبها في الطلاق بعدما تعافت مني ومن ماضيي الأسود ولم أعد أعرف عنها شيئاً سوى أنها سافرت للإقامة ب دبي عند عمها...

وجمانة... تلك التي أذاقتني الألم بألوانٍ متعددة... اختفت من حياتي وانسابت كالماء الزلال من بين أصابعي, خُطِبت لكريم بحفلٍ لم أحضره طبعاً... بل سافرت هرباً منهما ومن كلِ أحدٍ من أفراد أسرتي التي اعتبرتني المسئول عما جرى بشكلٍ أو بآخر "

هربتُ أنا إلى فرنسا واعتكفت فيها كسائحٍ باحثٍ عن الألم فقط..

خمس سنواتٍ عجافٍ مرت, استنذفت روحي وقلبي وعقلي, أرى كل شيءٍ مر بحياتي.. كالحلم, لا بل كالكابوس... واشتدت تلك الكوابيس عندما هاتفتني نور باكية وأجبرتني على الانصياع لها للعودة لأنها تخرجت من كلية الطب وتحدد

موعد زفافها ولا بد من حضور شقيقها الوحيد ! كنتُ أهرب من النار والآن رجعت إليها بل وارتميت بأحضان تلك النيران المتلظية لتعاود نهش ذاكرتي من جديد..

ارتمت نور على ذراعي كطفلةٍ شقيةٍ لم تكبر بل ازدادت فتنةً وأما تلك الصبية ذات الثلاثة عشر عاماً كانت عسل! نسخةٌ مطابقةٌ من جمانة! بلسانٍ طويل وألبسةٍ عجائبية! حملتها بين ذراعي ودرت بها كثيراً ولربما بكيت وتلك الصغيرة بين أحضاني أقبلها, لكم اشتقت لعسل الشقية ! .. وتعلقت عيناي على أبي وأمي الذين استقبلاني بكل حبٍ واشتياق, لكم كنت أحتاج لحمايتك يا أبي! لكم افتقدت حنانك يا والدتي !

وهبت نيران الماضي ولفحتني مجدداً ومجدداً عندما دلفت جمانة وكريم وبينهما طفلٌ صغيرٌ لم يتعدى العامين من العمر! لربما تفاجأت جمانة كحالتي لرؤيتها الآن لأنني لم أعلمهم بشكلٍ رسميٍ متى سأحضر لذلك كانت مفاجئةً للجميع ! فابتعلت تلك النار مرغماً وألقيت التحية عليهما وانحنيت لأحمل ذلك الطفل الذي يحمل رائحتها واتساع عينيها الساحرتين...

وتقرر حفل الزفاف وحضرت ذلك الحفل الذي أنساني جزءاً من همومي، بل وتكلل بحبٍ شهدته أنا على مدار تلك الأعوام! لربما لو كنت وفياً لزوجتي لكان طفلي الآن بعامه الخامس.. لكنت مع إليسا ننعمُ بكل سكينةٍ وحب! واشتقت لها حد الجنون، صرت افتش عن صوري معها، تلك الصغيرة البريئة.. وحش الشوكولاه! تبسمت ومسحت دمعةً خانتني وأنا أتذكر لحظاتنا معاً، لحظاتٍ لذيذةً كقطع الشوكولاه التي تحبها. !

وكدت أن أغادر مجدداً إلى فرنسا لكن الجميع منعني عن ذلك، ولكن أكثر دقة لم أشأ أن أهرب مرةً أخرى بعدما التمست هذا الدفئ الأسري الذي افتقدته لسنواتٍ بسبب غيابي، لكن كريم، صديق طفولتي، ابن عمي الذي سلب لربما فرحةً كنت ألاحقها سابقاً لم تعد علاقتنا كما السابق، لم يعد ذلك الجدار الذي استند عليه بأشد لحظاتي ضعفاً بل صارت علاقتنا شبه رسمية...

وارتأيت أن أبقى معهم بعدما صفيت كل أعمالي في فرنسا، وبما أن آدم صار المهندس الرئيسي بالشركة طيلة سنوات غيابي، رضخت بكل رحابة صدر بأن أكون تحت ظله!

ومر عـامٌ آخـر لـم يتغيـر فيـه شـيء... سـوى بـأن العمـر يهـرول بنـا سـريعاً نحـو النهايـة, وحيـداً كنـتُ بيـنهم, منبـوذاً مـن أشـد مـن لهـم مكانـاً بقلبي,وخاصـةً كـريم الـذي مـا إن يراني مصـادفةً بمكـانٍ مـا يهـرولُ مبتعـداً بزوجتـه وكأنـه هـاربٌ مـن الجحـيم ! .
كـان (جـواد) ابـن جمانـة عنـد والـدتي ذلـك المسـاء حينمـا تركـه والـداه وذهبـا لإحـدى العزومـات, رجعـتُ مـن العمـل وصـرتُ ألاعـب ذلـك الشـقي الـذي اسـتلب مكـر والدتـه وهمجيتهـا الجميلـة! لكنـه وبلحظـةٍ وقـع ليـرتطم رأسـه علـى حافـة المنضـدة الزجاجيـة لنصـاب بهلـعٍ أنـا ووالـدتي عنـدما تفجـرت الـدماء مـن جبينـه الصـغير, حملتـه بـين ذراعـي وهرولـت بـه لأقـرب مستشـفى وولجـت قسـم الإسـعاف لتتلقفـه إحـدى الممرضـات مـن بـين يـدي وتتوجـه بـه نحـو إحـدى الأسـرى ومـا هـي إلا لحظـات حتـى توقـف الزمـان بـي... توقفـت عـن التـنفس عنـدما هجمـت تلـك العينـان لتـدق نـاقوس ذاكرتـي... تلـك اليـدين اللتـين تـذوقت مـن خلالهـا الشـوكولاه بالبنـدق ! دفعتنـي دون أن تتنبـه عـن هـويتي وهجمـت بشـعرها المتمـرد كمـا تمـرد صـدري هـذه اللحظـة وأعلـن عصـيانه, وعاينـت جـرح جـواد.. وعالجتـه بمهـارةٍ فائقـةٍ وحينهـا فقـط اسـتدارت نـاحيتي لتقـول :
الحمد لله لا يحتاج إلى تق....طيب.

ارتفـع حاجباهـا حينمـا تطلعـت بـي اليسـا أو عفـواً.... الـدكتورة إليسـا!.. بكـى جـواد لينتشـلني عـن شـرودي بهـا فتلقفـت الصـغير بـين يـدي بينمـا اليسـا تتطلـع بنـا قلـت بـلا وعـي وكـأنني أدافـع عـن نفسـي لـذنبٍ اقترفتـه : لـيس ابنـي " هـزت رأسـها مجيبـةً ببسـاطة : لا يهـم... حمـداً لله علـى سـلامته " سـكت الصـغير بـين ذراعـي بينما كادت أن تغادر فاستوقفتها بتردد : كيف حالك ؟

هـزت رأسـها مجيبـةً : الحمـد لله " وبقيـت كالأبلـه أحمـل ابـن جمانـة واتطلـع بهـا فهمـت اسـتغرابي وأجابـت ببسـاطة : أكملـت دراسـتي في دبـي ودخلـت كليـة الطـب هنـاك.. ورجعـت منـذُ فـترةٍ وجيـزة بعـد التخـرج " أومـأت لهـا وأنـا أشـد بقبضـة يـدي علـى الصغير : تغيرتِ كثيراً

" كلنا تغيرنا يا مراد -

تنحنحـت مجـدداً حينمـا خـاطبتني أحـدى الممرضـات لابتعـد فسـألتها مجـدداً : متـى... تنتهـي مناوبتـك ؟ اقولهـا ولا يسـعني التصـديق أن تلـك الصـغيرة أضـحت طبيبـةً شـابة! بـل مـلاكٌ بزيٍ أبيض !

فأجابت باقتضاب : عندي مناوبةٌ اليوم.

فهمست لها وأنا أتطلع لأصابعها الخالية:

هل ..أنتظر -

.-افعل ما يحلو لك

****

******

الفصل الأول

وتـــدور بـــك الأيـــام , كعجلـــةٍ كبيـــرة, يختفـــي المطـــر, يظهـــر ويتوقـــف وتظهـــر شمســـك مـــن جديـــد ســـاعةٌ وراء أخـــرى, يـــومٌ تـــلاه آخـــر ، عام وراء عام

تظهـــر شمســـك وجههـــا مـــن بـــين ســـحب الألـــم المتلاحقـــة فترفـــع وجهـــك ناحيـــة أشـــعتها باســـماً فـــتظن أن الزمـــان قـــد ابتســـم لـــك مجـــدداً فتســـتطيع اســـتكمال حياتـــك مـــن حيـــث تركتهـــا آخـــر مرة...لكنـــك مخطـــئ, مخطـــئٌ جـــداً فـــي توقعاتـــك .لـــن يغفـــر لـــك أحـــدٌ أخطائـــك الســـابقة, حتـــى لـــو أظهـــروا لـــك عكـــس ذلـــك, حتـــى لـــو عـــاد الجميـــع إلـــى طبيعـــتهم معـــك, عنـــد أول خطـــأٍ بســـيطٍ ترتكبـــه مجـــدداً ســـيثبت لـــك الجميـــع حينهـــا أنهـــم لا ينســـون، سينبشـــون رفـــات الماضـــي بـــلا رحمـــة، ســـتتعرى مجـــدداً لتلطمـــك أخطائـــك الســـابقة، لـــن ينســـى أحـــدٌ الماضـــي, النســـيان كذبـــةٌ كبيـــرة يـــدعيها البشـــر ليســـتكملوا الحيـــاة بأقـــل الخســـائر , لكـــنهم لا ينسون..ضع ذلك في حسبانك.

****

- أأنتظرك؟

- افعل ما يحلو لك"

نطقتها إليسا بثقة وهي ترفع رأسها بشموخ تجاه مراد، تاه في هذه التفاصيل التي أينعت وازدهرت وازدادت فتنة ورونقاً شل تفكيره هذه اللحظة والصغير ما يزال غافياً على كتفه ولم يستطع ان يزيح ببصره عن تلك العينين الكحيلتين الحادتين، لكم تغيرت صغيرته! لكم أضحت مغايرةٍ لتلك الصغيرة الخجولة الملتصقة به على الدوام! بل أضحت نسخةً مؤنثةً عنه, تلك القوة والصلابة لم يرهم سابقاً, ماذا فعلت بك الأيام يا إليسا, بل ماذا فعلت أنا بك!؟ تساءل مراد بسره وهو يطالعها بانبهار

انتشله من شروده صوت صفارات سيارات الإسعاف التي دوت بالخارج ليهرع الطاقم الطبي بحالة استنفار وبينهما وحش الشوكولاه خاصته!

هرولت إليسا ناحية سرير النقل تتفحص حالة المريض بينما قال أحد رجال الإسعاف بمهنية: أعراض سكتة قلبية " عانى من الإجهاد البدني, كان يمارس تمريناته الرياضية حتى سقط فجأةً متألماً وعانى صعوبة في التنفس " هرعت اليسا

بمهارةٍ فائقة تجاهه كونها تعمل بقسم الطوارئ !لكن كيف ومتى وأنى لها هذه القوة والصلابة التي تطل من حدقتيها وهي كانت تخاف وتجهش بالبكاء إن رأت نقطة دماءٍ على إصبعها !!؟

صراخٌ وبكاء من زوجة المريض الراقد على السرير التي دلفت لتوها فدفعها الممرض بعيداً حينما قال الطبيب : " النبض يتباطأ جهاز الصدمات الكهربائية بسرعة " هتفت اليسا بالممرض الذي اتجه مباشرةً لإحضاره بينما شرع الطبيب هشام بعمل مساجٍ للقلب في محاولةٍ منه لإنعاش قلب المريض وزوجته ما زالت تصرخ من بعيد, تناولت اليسا جهاز الصدمات ليبتعد الطبيب مفسحاً المجال لها وهتفت "

- هيا افتح .. واحد ..اثنان.. ثلاثة"

تلاحقت أنفاسها وهي تنظر للشاب الراقد على السرير وقالت بثقة : لن تموت اليوم... أتفهم...لن تكسر قلب زوجتك..." كانت ترجو الله سبحانه ان ينجيه، تطلعت بهشام وهتفت بقوة : سأبدأ مجدداً واحد.. اثنان .. ثلاثة.." لينتفض جسد الشاب وتعاود نبضاته بالعودة لطبيعتها بشكل تدريجي, أدمعت عيناها وتنفست الصعداء وأرجعت الجهاز لمكانه بينما ربت الدكتور هشام على كتفها باسماً بتشجيع :

أحســـنتِ إليســـا " ودفـــع بالســـرير مـــن فـــوره ليتحـــرك بـــه للقيـــام بالإجراءات التالية..

لـــم يتنبـــه مـــراد علـــى شـــيءٍ حولـــه وهـــو يراقبهـــا, بصـــدمةٍ وتفـــاجئ, يراقـــب ذلـــك الطبيـــب الـــذي تجـــرأ علـــى التحـــديق بهـــا بهـــذه الطريقـــة الغريبـــة ولـــم ينتبـــه علـــى صـــياح الممرضـــة حتـــى دفعتـــه بغلظـــــــــــة قائلـــــــــــة:

_مـــا بـــك أيهـــا الرجـــل قلـــت ابتعـــد عـــن الطريـــق !

رفـــع حاجبيـــه وأومـــئ لهـــا بارتبـــاك قبـــل أن يهـــرب مـــن قســـم الإسعاف عائداً إلى المنزل..

و هـــذا مـــا حصـــل قبـــل ســـنةٍ كاملـــة ! كـــان ذلـــك اليـــوم كـــالحلم بالنســـبة لـــه أو أنـــه فعـــلاً قـــد تهيـــأ لـــه ذلـــك, أو كانـــت كـــالملاك الـــذي ظهر له كومضات في حياته واختفت مجدداً ببساطة!

في اليـــوم التـــالي مباشـــرةً لـــم يســـتطع صـــبراً على معرفـــة مـــا حـــل بهـــا وهـــذا التغيـــر الـــذي طـــرأ علـــى شخصـــيتها .. اتجـــه ناحيـــة المستشـــفى مجهـــزاً باقـــة زهـــور, لربمـــا يحـــاول التعـــويض عمـــا ألحقـــه بهـــا ســـابقاً مـــن ضـــرر, فهـــو وبعـــد الطـــلاق هـــرب فـــوراً مـــن الجميـــع ومنهـــا، توجـــه ناحيـــة قســـم الطـــوارئ لتجيبـــه الممرضـــة بهـــــــــــدوء:

-ليست هنا, انتقلت " ببساطةٍ نطقتها ليهتف وهو يضرب بكفه على الطاولة : كيف انتقلت والبارحة ليلاً كانت هنا"!!

مر بالصدفة منهما الدكتور هشام ليتساءل بعدما ارتفع صوت مراد : ما الأمر يا آنسة دلال هل من مشكلة ؟

تطلعت فيه دلال مجيبة : يسأل عن دكتورة اليسا أخبرته أنها انتقلت هنا لكنه صار يصرخ ويتهمني بالكذب!

عفواً أستاذ, إنها فعلاً ليست متواجدة." نطقها هشام وهو يتطلع بتعابير مراد الذي همهم بنفاذ صبر:
البارحة ليلاً رأيتها هنا أم هي أخبرتكم أنها لا تريد رؤيتي !؟ رفع هشام حاجبيه متسائلاً
-عفواً لكن من تكون لها ؟ ولما ستخبرنا بأنها لا ترغب برؤيتك ؟

انا زوجها " هتف بها مراد بحدة ليتطلع به هشام ببرود وهز رأسه متفهما وأجاب -
-آه, تقصد... زوجها السابق, حسناً لا يهم , الدكتورة اليسا حالياً في دورةٍ تبادلية في مستشفى خارج المدينة"

أيـــن ؟ ســأله مســـتفهماً ليجيـــب هشـــام وهـــو يضـــع يديـــه بجيـــب مئـــــــــــــــــــــزره الأبـــــــــــــــــــــــيض:

لا أعلـــم مـــع الأســـف, عـــن إذنـــك" وتبســـم لـــه بتكلـــف قبـــل أن يســـتكمل خطواتـــه الواثقـــة فاعتصـــر مـــراد قبضـــته وولـــى مغـــادراً المستشفى

****

همهـــم هشـــام وهـــو يحـــك ذقنـــه, لهـــذا الســـبب طلبـــتِ الالتحـــاق بهـــم بعـــدما كنـــتِ قـــد رفضـــتِ فعـــل ذلـــك ســـابقاً, مـــا الـــذي ســـــــــتخفينه أيضـــــــــاً يـــــــــا إليســـــــــا ؟

اخـــرج هاتفـــه بعـــدما دلـــف إلـــى مكتبـــه فـــي المستشـــفى واتصـــل فيهـــا ليأتيـــه صـــوتها النـــاعم الـــذي يعشـــق رنـــين حروفـــه: أهـــلا دكتورهشام

- كيـــــــف حالـــــــك, هـــــــل نظمـــــــت أمـــــــورك ؟

نعـــم الحمـــد لله وغـــداً صـــباحاً سأســـافر-

جيد.. اليسا....لقد حضر اليوم زوجك-

تســـارعت أنفاســـها بوجـــع مـــا يـــزال ينـــزف بروحهـــا و أغمضـــت عيناهـــا ليقـــول مجـــدداً : اليســـا ! أنـــتِ معـــي ؟

نعـــــــم, دكتــــــــــور.. تقصـــــــــــد طليقـــــــــــي"

-نعـم، طليقـك، هـل ... تهـربين منـه, هـل يزعجـك لـذلك قـررتِ الالتحاق بالدورة؟

صـمتت قلـيلاً قبـل أن تجيـب : لا أهـرب مـن أحـد, لكـن الـدورة ســــــــتفيدني جـــــــداً
ثم أردفت بتردد: و هل أخبرته عن مكاني؟

-لـم أخبـره بمكانــك حتمــاً، وضــعت احتماليــة عــدم رغبتــك بذلك

تنهـدت وهـي تشـد بقبضـتها علـى الهـاتف لتشـكره بامتنـان فقـال بلهفــة :آسـفٌ لتـدخلي لكــن... صــدقاً يهمنــي أن أعــرف لمــا لــم ترغبي برؤيته؟

طـــال صــــمتها قبـــــل أن تجيــــب بجمــــود:
مـن يغـادرك وأنـت في حاجـة إليـه لا تثـق بـه حـينً يأتيـكّ مـرة أخرى-

تعجبنـي فلسـفتك يـا آنسـة " تعالـت قهقهاتهـا علـى الهـاتف بينمـا هشـــام يلعـــب بقلمـــه بـــين أصـــابعه وأجـــاب بصـــدق: ســـنفتقد أيتها المساعدة

بل قل سترتاحون لسنةٍ من إزعاجي وأسئلتي اللا متناهية -

****

الوقت الحالي

- يا صباح ..الروائح المقرفة ! " غطى وجهه بيديه وهو يبعد ساق جواد عن بطنه بانزعاج وهتف وهو يلكزها بأصابعه: انهضي بحق الله.. غيري له الحفاض خنقني " تململت جمانة و استدرات للجهة العكسية فهزها بشكلٍ أكبر : جماانة, انهضي رجاءاً

-هوووف " هتفت بانزعاج ونهضت بتثاقلٍ من على السرير بينما توجه كريم إلى الحمام ليأخذ حماماً ساخناً علّه يزيل تلك الرائحة التي شعر بأنها تغلغت فيه.

أطلق جواد ذو الثلاث سنوات قهقهةً عالية وهو يهرب من والدته التي تلحق به لإلباسه بنطاله فاصطدم بوالده الذي خرج لتوه من الحمام فرفعه عالياً وسط ضحكاته المجلجلة ورماه على السرير قائلاً : اثبت يا ولد ودع والدتك تلبسك البنطال أصواتك جابت آخر الشارع !! ثبته بيديه وهو يقاوم

حتى قامت جمانة بإلباسه بنطاله بصعوبة فهرب بعدها فوراً منادياً : عمتي رهف حضرت هيبي

فتمتمت جمانة بسخط وهي تراقبه بعينيها حتى اختفى خلف الباب:

!-ممن أخذت طباعك الشرسة أيها الولد

رفع كريم حاجبيه ضاحكاً وهو يقرصها من وجنتيها:

- ممن يا ترى أخذ طباعه الشرسة!! فعلاً لأمره عجيب.

لكزته جمانه على صدره وعقدت حاجبيها : تقصدني طبعاً أليس كذلك ؟

حوطها بذراعه مجيباً بمكر: - أنا!! أعوذ بالله, إن زوجتي ملاكٌ رقيق " ثم أردف بهدوء: صحيحٌ أن أغلب البشرية تستيقظ على روائح عطرة ! يقولون لزوجاتهم صباحكِ سكر, على ابتسامةٍ عذبة.... لربما على قبلةٍ رقيقة . لكن عبدك الفقير يستيقظ كل يومٍ على رائحة حفاض ابنه ! ياااه أروع استيقاظٍ رومانسيٍ بالوجود"

قهقهت بصوتٍ عالٍ وهي تدفعه من صدره:

هيا لنلقي السلام على رهف قبل توجهك لعملك -

وبعـد عـدة شـوارع سـكنية... و بـداخل فـيلا رضـوان المنصـور المكونـة مـن طـابقين يجلـس رضـوان مـع زوجتـه عبيـر يحتسـيان قهـوة الصـباح علـى أنغـام فيـروز ولكـن سـكينتهم ستسـتمر ؟ طبعـاً لا ! سـكينتهم أن تطـول بعـد رنـين هـذا الهـاتف الـذي أرعب كلاً منهما!!

جـاء اتصـالٌ مـن مدرسـة عسـل ليتمـتم رضـوان: أخشى أن أجيب صدقاً " تنهدت عبير بقلة حيلة وقالت :

- أجب عزيزي وتوكل على الله ... الله يستر

أجـاب رضـوان علـى الاتصـال لتنفـرج عينـاه بغضـبٍ بينمـا مـديرة المدرسـة تكلمـه بكلمـاتٍ متلاحقـة ليزفـر بحنـقٍ مجيبـاً : حسـناً أنـا قـادمٌ فـوراً " أقفـل الهـاتف ورمـاه علـى الطاولـة بينمـا نظـرات عبيـر تسـترجيه ألا يكـون مـا توقعتـه صـحيحاً لكنـه هـز رأسه :

-نعـم ...مـا تفكـرين بـه صـحيح يـا عبيـر "ونهـض مـن مكانـه ليغـادر لكنهـا قالـت بهـدوء:
- إبقـى أنـت سأتصـل بمـراد ليحـل المشـكلة لا أريـد منـك أن تنفعل مجدداً "

هــز رأســه باستســلام بينمــا نهضــت عبيــر لتتصــل بمــراد الــذي انطلق من فوره إلى مدرسة عسل

****

الفصل الثاني

الحب...كلمةٌ من حرفين فقط لكنهما يحويان كينونة الوجود ذاته... نحن خلقنا من الحب ونعيش على هذه الأرض للحب, إن وضعت الحب هدفاً لحياتك ستنجح بكل تأكيد.... حب الدراسة, العمل, حب العبادة, حب الحياة! ...حرفين فقط يختصران هذا الوجود وهدفه.

المطر...ثلاثة حروفٍ لكن فيها الروح والحياة ... وهي مبعث الحياة, لذلك الأشياء الصغيرة لها رونقاً خاصاً وعظيماً,

دلفت دلال لتستدعيه لكنه كان يغط بنومٍ عميق بعدما أرهقته مناوبة الليلة الماضية فحالات الإسعاف لم تهدأ ,ارتأى أن يحظى ببضع ساعاتٍ من النوم لأن إليسا ستعاود عملها في المستشفى هذا الصباح, يريد أن يكون صاحياً وواعياً عند مجيئها، وكم اشتاق لصاحبة العيون اللوزية بعد غيابها لعامٍ كاملٍ عنه، أو هروبها من زوجها الذي ظهر بحياتها مجدداً دون سابق إنذار.

أبطأت دلال الخطى وهي تتأمل هشام وهو ينام على ظهره مسنداً ساعده على جبهته والإرهاق بادياً على سحنته ,

وتاهـت فـي تفاصـيل هـذا الشـاب الـذي بأوائـل الثلاثـين مـن عمـره, و الـذي سـلب عقلهـا وقلبهـا، سـنة وراء أخـرى وهـذه هـي حكايتهـا مـذ رأتـه, أحبتـه ببسـاطته والتزامـه الأخلاقـي, بحـة صـوته الرجـولي الأجـش, شـعره الـذهبي القـاتم كالـذهب المعتـق الـذي اسـتلب مـن سـنابل الأرض لونهـا الـداكن حـين انحسـار الشـمس عنهـا وقـت الغـروب, ذقنـه الخفيفـة التـي تزيـده رونقـاً وجاذبيـة , وعينيـه اللتـان تتحـولان مـا بـين أخضـرٍ وعسـليٍ قـاتم ! ولا تفهـم كيف يتحولان ببساطةٍ عندما يبدل قمصانه.

تأملـت مئـزره الطبـي الأبـيض الـذي انسـدل جانبـه لأسـفل سـرير المعاينـة , وقميصـه الليلكـي الـذي ظهـر مـن أسـفل المئـزر المفتـوح .., وكـأن المستشـفى قـد فـاز بالجـائزة الذهبيـة الكبـرى حينمـا وظفـه ! اقتربـت منـه بخطـى بطيئـة وهـي تكـافح لجعـل نبـرة صوتها متزنة:

-دكتور هشام

لـم يبـد اسـتجابةً لصـوتها الخافـت فنظفـت حلقهـا لتناديـه بصـوتٍ أعلـى : دكتـور هشـام" تنبـه أخيـراً لصـوتها فـأزاح سـاعده عـن جبهتـه لتبـان لهـا عينيـه المحمـرتين إثـر إرهاقـه ممـا زادهمـا لمعانـاً وغموضـاً وكأنهمـا نافـذتان لبسـاتين مـن أوراق

العنب أوائل الخريف, بالكاد فتح عينيه جراء الضوء الساطع للإضاءة واعتدل بجلسته قائلاً ببحة صوته: أهلاً دلال, حالة إسعاف !؟ " تساءل وهو يفرك صدغه لتهز دلال رأسها نافيةً وأردفت بلعثمة وهي تحدق فيه بخجل :
- بل .. بل دكتورة إليسا حضرت منذ قليل و تسأل عنك " نهض من فوره بنشاطٍ لتلاحظ دلال تراقص عينيه و التماعهما لتبتلع غصة ألمٍ وهو يباغتها بالسؤال : -أين هي الآن ؟

أطرقت رأسها إلى الأرض تحاول كبح دموعها التي ستعلن تمردها بأية لحظةٍ من عينيها وقبل أن تجيب دلفت إليسا بابتسامةٍ واسعةٍ وهي تغلق أزرار قميصها الأبيض الطبي ليجتاز هشام الممرضة دلال متجهاً ناحيتها وهو يفرد ذراعيه قائلاً:

- أهلاً بمساعدتي النشيطة, كان عاماً طويلاً حقاً! تعالي ستحكي كل ما فعلتِه هناك " تبسمت إليسا ببشاشة موافقةً لتخفي دلال دمعة ألمٍ عنهما وتغادر دون حتى أن يتنبه لها هشام أو يكيل لها أي نظرة

توجهت ناحية الحمام وأغلقت الباب خلفها بعنف لتستند على طرف الحوض وتتأمل تفاصيل وجهها وتدمع عيناها بألم، لما يفضلها عني ؟ ما الذي ينقصني كيلا يعيرني أي اهتمام ! " تساءلت بقهر وهي تمسح دموعها التي تروي وجنتيها بصمت فتحت الصنبور لتشطف وجهها مخفيةً آثار الدموع والكحل الذي لوث محيط عينيها,

دلال.. وكما يسميها الجميع هنا ملاك الرحمة, تتطابق هذه الصفات معها وكأن هذا الاسم قد صمم خصيصاً لتلك الفتاة ذات التسعة وعشرون عاماً, حجابها الأبيض الذي يخفي شعرها الأسود الطويل, بشرتها الصافية وعينيها البنيتان اللتين تغطيهما أهدابٌ طويلة, فمها الناعم وأنفها الدقيق.. الجميع يناديها بملاك الرحمة في مستشفى الرحمة التي يعملون به ! حتى هو يناديها بملاك الطوارئ! لكنها منه تخرج بلا معنى.. بلا روح.. هي موقنةٌ بأن مشاعرنا لا قدرة لنا على تجاهلها, تعلم بحبه الدفين لإليسا لربما هي الوحيدة التي لاحظت نظراته تجاهها وحزنه لغيابها طيلة العام المنصرم, دلال تعشق وجوده بحياتها حتى ولو لم يتنبه لها,

تعشــق أنفاســه التــي تتشــاركها معــه فــي أروقــة المستشــفى, فــلا ذنب لها في ذلك الشعور القاتل ناحيته.

أتاهــا اتصــالٌ مــن والــدها لــتغمض عينيهــا بــألمٍ وتجيبــه بخفــوت ليطالهــا صــراخه كمــا المعتــاد, اعتصــرت الهــاتف بقبضــة يــدها وهــي تســتمع لتوبيخــه الــذي لا ينضــب مطالبــاً بزجاجــة مشــاربه المعتــادة , ذلــك الســكير الــذي كــان ســبباً بمــوت والــدتها وشــقيقيها الصــغيرين حينمــا اســتقلا الســيارة برفقتــه, وكــان يقــود وهــو ســكرانٌ كمــا العــادة لتنقلــب الســيارة ليلقــى الجميــع حــتفهم مــا عــداه ! فهــذه هــي لعبــة الحيــاة؛ ســيُفنى الجيــدون أولاً وبعدها تتفرغ الحياة للعبث بأوغادها!

أغلقــت الهــاتف وأخــذت نفســاً عميقــاً وزفرتــه برويــة قبــل أن تعــاود مزاولــة عملهــا وكــأن شــيئاً لــم يكــن لعــل مــا اكتســبته مــن العمــل بقســم الإســعاف، هــو الســيطرة علــى مشــاعرها والتصرف بحكمة وسرعة...

****

كانــت تــدور بغرفــة الألعــاب الرياضــية بعــدما احتجزتهــا بهــا مــديرة المدرســة تصــر علــى أســنانها بغــيظٍ وهــي تتوعــد تلــك الحمقــاء التــي تجــرأت عليهــا بســبةٍ بذيئــة, رفعــت ســروالها الــذي

ما يزال مصراً على الانحسار عن خاصرتها لكونها خلعت الحزام هذه المرة و أهدتها لتلك المسكينة ضربتين به, ضربت بقبضتها وفرقعت أصابعها متمتمةً بتوعد : لم أنتهِ منكِ بعد يا غبية! قالتها عسل التي قاربت على بلوغ السادسة عشر عاماً وبللت شفاهها ثم أصدرت أنة ألمٍ خافتة لأن زميلتها قامت بلكمها بعنفٍ على فكها لتدافع عن نفسها.

تقدم مراد ناحية غرفة الإدارة لتنفرج عيناه بصدمة وهو يحدق بتلك الفتاة المسكينة التي تلون وجهها بألوان الطيف السبعة واصطبغ ساعدها بزرقةٍ طفيفة, تطلع بالمديرة مبهوتاً وحرك ساعديه باستسلام دون ان يعرف بما ينطق..كان محرجا جدا، نهضت المديرة من وراء المكتب وهتفت بحنق : لقد زاد الموضوع عن حده يا سيد مراد ليس من المعقول أن تصل لهذه الدرجة من العنف, لقد ضربتها بحزامها الجلدي ! أتفهم معنى ذلك, سأضطر بأن أبلغ شرطة الأحداث لتكف عن تصرفاتها الهوجاء تلك.

شهق مراد وقال بلعثمة : ضربتها بحزامها الجلدي ؟.!

وقفت الفتاة وهتفت به بغلٍ واضع: نعم تلك المجنونة ضربتني على ساعدي وفخذي أم تريدني أن أريك لأثبت لك"

سوزان تأدبي واخرجي الآن لأتحدث من السيد ! نطقتها المديرة بحدة لتطرق رأسها على الأرض وهي تزفر كثورٍ هائج وخرجت مغلقةً الباب خلفها

أردفت المديرة تخاطب مراد:
- هل لديك حلٌ آخر سيد مراد ؟ لقد وافقت على التحاقها بمدرستي رغم معرفتي بأنها طردت من ثلاث مدارس حتى الآن وقلت لنفسي لا نريد أن تخسر الفتاة مستقبلها الدراسي لكن مشكلاتها لا تنتهي, لسانها الطويل, يدها المعتادة على الضرب, ما كان يوقفني عن طردها هو مستواها الدراسي العالي, شقيقتك ذكيةٌ جداً لكنها عنيفة"

اسمعي آنسة أنا فعلاً آسفٌ عما بدر منها, لكن تلك الفتاةُ لم تكن هكذا ولا أعلم سر هذا التحول الرهيب بشخصيتها بهذه الأعوام الثلاث.

اعرضها على مختصٍ نفسي إذن, تحتاج استشارةً نفسية-

قالتها المديرة بتأكيد فانفرجت عينا مراد بصدمةٍ وحدق بالمديرة مطولاً فقالت وهي تدون اسماً على ورقة : ابن شقيقتي ، دكتورٌ نفسيٌ, صحيح أنه متخرج حديثا لكنه سيساعدك بكل تأكيد حكيت له القليل عن وضعها فوافق

على عمل عدة جلسات، ولا تنسى أني حتى الآن أساعدكم وأساعدها, حتى والدا سوزان استطعت التفاهم معهما وأخبرتهما أن ابنتهما كذلك متورطةٌ بالخلاف"

اتجهت المديرة ناحية جهاز الحاسوب وعبثت بالأزرار قليلاً لتظهر لمراد كاميرا المراقبة التي أظهرت لحظة عراك الفتاتين فتابع المشهد بعينيه ليتمسك بمسند الكرسي ويزم شفاهه بغضب ثم ابتلع ريقه وقال بهدوء : سنعالج الأمر ونأسف مرةً أخرى ونحن مستعدين لتعويض الخسائر, لكن رجاءاً لا أريد أن تصل تفاصيل هذه الحادثة لأبي أو أمي..

أتفهم وضعك مراد بك لا تقلق من هذه الناحية, لن اخبر والدك، لكن عليك الانتباه فالخسارة الحقيقة ستكون شقيقتك إن لم يتم ردعها بالطريقة الصحيحة.

ألقى السلام عليها متجها ناحية غرفة الرياضة ليرى عسل تجلس على أحدى المقاعد وتهز قدميها بعصبية ما إن دلف حتى حدقت فيه بتكشيرةٍ ووجل.. تقدم منها بهدوءٍ ينافي البراكين التي يوشك على تفجيرها ورفعها بغلظةٍ لتنهض وقال بهسيس : عقابك لاحقاً سيكون عسيراً, ألا تكفين عن

مشـــاكلك " رفعـــت عينيهـــا البنيتـــان الحادتـــان وأجابـــت :
.تلك الكلبة المسعورة هي من بدأت-

عـــض علـــى شـــفاهه بحنـــقٍ ولطمهـــا بإصـــبعيه علـــى شـــفاهها هششـــش ولســـانك الطويـــل هـــذا سأقصـــه لـــك بيـــومٍ مـــا, امشـــي أمامي الآن-

أفلتـــت نفســـها مـــن قبضـــته وقالـــت بحـــدة : أســـير بمفـــردي" وتقدمتـــه بعـــدما انتشـــلت حقيبتهـــا لترميهـــا بإهمـــالٍ علـــى كتفهـــا ف أطلق زفيراً عالياً وسار خلفها

****

كـــان يعتمـــر خـــوذة الحمايـــة وهـــو في الطـــابق الخـــامس مـــن موقـــع الإنشـــاءات للبنـــاء الحـــديث الـــذي صـــممه ويشـــرف علـــى إنشـــاءه, تصـــاعد رنـــين هاتفـــه ليبتعـــد عـــن الضوضـــاء ويجيـــب علـــى اتصـــال حبيبـــة الـــروح والقلـــب : -أهـــلا بقلـــب آدم " اتســـعت ابتســـامةٌ مـــن شفاهها : كفاك آدم أستقول هذه الوصلة في كل اتصال

رفـــع إحـــدى حاجبيـــه مجيبـــاً بلهفـــةٍ واضـــحة: فـــي كـــل دقيقـــةٍ وثانيـــة, وفي كـــل لقـــاء ســـيعبر آدم عـــن حبـــه تجاهـــك " غـــزا الخجـــل

تقاسـيم وجههـا فبعـد هـذه السـنوات مـا يـزال يتفـنن لهـا في إلقـاء الكلمات التي تذيبها في كل مرة

- متـى سـتنتهين اليـوم ؟ تسـاءل لينتشـلها مـن شـرودها فقالـت بخفـوت : اتصـلت لإعلامـك علـى الأغلـب سـأناوب الليلـة " أطلـق آدم زفيـــراً مغتاظـــاً ليقـــول بعتـــاب:
ألم نتفق أن تخبري مدير المستشفى بأن لا تنوبي مجدداً -

- بلـى أخبرتـه لكـن الليلـة هنالـك جرحـى كثر,تعـرف تلـك الحافـة التـي انقلبـت, الحـالات عنـدنا فـي المستشـفى كثيـرة ويحتـاجون الكـادر الطبـي بأكملـه حبيبـي تعـرف أنهـا أرواح بشـر لـن أسـتطيع التغافل عنهم"

تبســم بحنـــوٍ شـــديد ثـــم أجـــاب يهمـــس :
حسناً إذن الليلة فقط سأتنازل عنكِ لهم...

أغلـق الهـاتف وعـاد إلـى حيـث العمـال ..واليـوم إذن لا بـد لـه مـن التوجـه لمنـزل العائلـة كـي لا يبقـى وحيـداً في المنـزل، ثـلاث سـنواتٍ مـرت وهـي زوجتـه لكنهـا مـا تـزال تلـك الطفلـة ذات عينـا العسـل المصـفى التـي يحبهـا, اكتشـف بعـد الـزواج أن مشـاعره تلـك لـم تكـن شـيئاً يـذكر أمـام مشـاعره الحاليـة وهـي زوجتـه, جـزءٌ منـه

ومــن روحــه, بالكــاد اســتطاع صــبراً حتــى اجتيازهــا رهبــة التحاقهــا بكلية الطب، وعملت بعدها كمتدربةٍ بإحدى المستشفيات,

لــم يتغيــر آدم عــن الماضــي مــا زال ذلــك العاشــق الانــدفاعي المتهــور, مــا يــزال ذلــك العاشــق للمطــر والــركض تحــت قطراتــه العنيفــة حتــى بأشــد العواصــف اشــتداداً, نهرتــه نــور فــي بــادئ الأمــر لكــن الســلام الروحــي الــذي يكللــه بعــد عودتــه مــن ممارســة هوايتــه الغريبــة جعلهــا تصــمت وتكتفــي بــأن تخبــره بهــدوء : اســتبدل ملابســك واشــرب كــوب الشــاي الــدافئ " لــم يتغيــر بطباعــه شــيءٌ ســوى أنــه استســلم أخيــراً لضــرورة شــراء ســيارةٍ بــدلاً مــن توجهــه للشــركة بدراجتــه الكهربائيــة فقــد أضــحى مــدير الشــركة بشــكلٍ فعلــي بعــدما ســافر مــراد ورضــوان قــرر فجــأةً أن يلقــي بعبــئ الشــركة التــي أفنــى عمــره فيهــا علــى آدم الــذي بالكــاد اســتطاع الســيطرة علــى هــذا العبــئ الثقيــل بمســاعدة المهنــدس ضــياء الــدين، والــذي تــزوج مــن عــامٍ تقريبــاً برهــف شــقيقة كريم.

ونــور باستســلامها الغريــب لــه بكــل تفاصــيل حياتهــا وكأنهــا مــا زالــت تعشــق تدخلــه بكــل مــا يخصــها, بتحركاتهــا, بألبســتها, بمشــاربها , بكــل شــيٍ تطاوعــه باستســلام عاشــقة, لأن مــا يقولــه

ويـراه هـو فعـلاً مـا يناسـبها, لـذلك كانـت حياتهمـا هادئـةً تغلفهـا السـكينة, لـم تثـر يومـاً عليـه, لـم تطالبـه سـوى بعـدم الكـذب والخيانـة لأن الجـرح الغـائر الـذي خلفـه خطـأ مـراد السـابق بإليسـا مـا يـزال يعكـر صـفو سـعادتها فـي بعـض الأحيـان... تستسـلم لـه وتطاوعـه لربمـا خوفـاً مـن أن تتسـبب بمشـكلةٍ فيضـطر للابتعـاد عنهـا وهـي لـن تقـوى على هجـره أبـداً, ولـم يكـن هـو قـادراً علـى الكـذب أو الخيانـة, لأنهـا روحـه، ولا أحـد يكـذبُ علـى روحـه ! طالبهـا بارتـداء الحجـاب بعـد سـنةٍ مـن زواجهمـا... كلمـةٌ واحـدةٌ نطقهـا لغيرتـه علـى تلـك الشـعلة التـي تنمـو يومـاً بعـد يومـاً لتحصـينها مـن أعـين الرجـال الجشـعة خارجـاً وكرجـل مسـلم يخـاف الله فيهـا و بهـا...

فهـزت رأسـها حينهـا مجيبـة:

هـل مـن الممكـن أن يكـون القـرار نابعـاً مني فقـط المسـالة تحتـاج إلى وقت .

فـأومئ لهـا موافقـاً وبعـد شـهرين فقـط خرجـت إلـى عملهـا بحجـابٍ ملائكـيٍ أبـيض يغطـي شـعرها وبثيـابٍ فضفاضـةٍ مناسـبةٍ لـه، حينهـا حـدق بهـا مبهوتـاً... الحجـاب لـم يزدهـا إلا نـوراً وفتنـة ! توقـف لـدقائق يتأملهـا قبـل أن يهـرول ناحيتهـا ليتلقفهـا بـين ذراعيـه ويـدور بهـا أرجـاء الصـالة فرحـاً بهـا, قبـل يـديها بعمـقٍ

مغمضـــاً عينيـــه وهمـــس : أشـــكر الله علـــى تلـــك النعمـــة التـــي وضـعها بــين يــدي .. أشــكره علــى النــور الــذي حــوطني بوجــودك معي وبجانبي

****

ترجلــت مــن ســيارته الســوداء متجهــةً للــداخل فناداهــا بصــوتٍ قـوي : عسل, انتظري "

توقفت واستدارت ناحية مراد فقال بحنو:

لنتمشــى بالحديقــة قلــيلاً, هيــا " تلكــأت لبرهــةٍ قبــل أن تســير بجانــب أخيهــا بصــمتٍ مطبــقٍ مــن كليهمــا حتــى اســتدارت ناحيتــه متسائلة:

أستصــمت كثيــراً, أطلــق مــا بجعبتــك مــن عتــابٍ ومــلام ودعنــي أذهب في طريقي-

تطلــع مــراد داخــل عينــي شــقيقته الحــادتين كعينــي صــقرٍ وأجــاب وهو يمسح بإبهامه ما بين حاجبيها لإزالة تلك التقطيبة:

أتــدركين أن دور الفتــاة الشــريرة لا يليــق بــكِ، فــلا تتمــادي بــذلك

-

لاحــت ابتســامةٌ ســاخرةٌ علـى شــفاهها ليتســاءل بعــدها بعتــاب: لمــا تفعلــين ذلــك, لقــد آذيــتِ صــديقتكِ كثيــراً أتــدركين خطــر الفعل الذي أقدمتِ على ممارسته!

تطلعــت فيــه بحــدة وهتفــت : هــي الســبب, تســتحق الحــرق لكنــي رحمتها هذه المرة"

عســل!! مــا هــذا الكــلام؟ إن تطاولــت معــك أو تعرضــت لــك بإمكانك إبلاغ معلمتك لا أن تبرحيها ضرباً-

تعالت ضحكات الاستهزاء منها مجيبة:

أخبـر المعلمــة!! مــا رأيــك أن أتــراكض ناحيتهــا باكيــةً كــذلك وأنــا أتشبث بقميصها-

!لا اضــربيها وتصــرفي مــن رأســك كــي تطــردي مــن هــذه المدرســةِ كذلك-

- سأضربها وأضرب كل من يتجرأ على المساس بي بكلمة

وتركتــه وغــادرت إلـى الــداخل وســط دخولــه ذهولــه مــن هــذه الصــغيرة الشرســة ! واتجــه ناحيــة ســيارته مجــدداً للــذهاب إلـى الشــركة, حيــث قابــل آدم أمــام البوابــة ليــومئ لــه ملقيــاً الســلام

باقتضاب تنبه آدم لتعابير وجهه المتجهم فلحق به حتى استقل مراد المصعد ليتساءل آدم بقلق : - هل كل شيءٍ على ما يرام؟

-لا شيء على ما يرام أبداً بحياتي " نطقها بغضبٍ وخرج بعدما بفتح باب المصعد ليتجه ناحية مكتبه الذي كان مكتب آدم سابقاً قبل توليه منصب الإدارة وما كاد يلحق به حتى قالت السكرتيرة رشا برصانة: أستاذ آدم المهندسين بانتظارك للبدء بالاجتماع"

أومئ لها واتجه إلى مكتبه بينما دلف مراد إلى مكتبه ليرمي جاكيت بذلته على الكرسي الجلدي ويجلس على حافة المكتب وهو يقلب تلك البطاقة التي سلمتها له مديرة المدرسة, هل تحتاج عسل حقاً استشارةً نفسية! تساءل بقلقٍ فطرقت رشا الباب لتقول بارتباك:

-الاجتماع بدء مراد بك" تنبه لها ليعتدل واقفاً وأومئ لها (حسناً, أنا قادم) واتجه ناحية الباب لترمقه رشا وتتنهد تنهيدةً طويلة بعدما سار بجانبها حتى باب مكتب آدم"

وسكن الليل لتعانق نجوم السماء التماع عينيه الحالكتين, حدق بالبدر المكتمل من شرفته والنسائم الندية تلامس وجنتيه ببرودةٍ محببة, يقولون أن الزمن يشفى جراح الأشرار والطيبين على حد سواء . لكن جراحه لم تشفى، ظلت محفورةً بداخل صدره كنفشٍ سوداويٍ طيلة سنوات, لو لم يجري ما جرى بتلك المشئومة حينما وقعت إليسا كان طفله الآن يبلغ من العمر سبع سنوات ! سيكون حينها كأي أبٍ محبٍ يحتضن عائلته لتنعم بأمان ولربما كان لديه طفلٌ ثانٍ أو ثالث ....سبع سنوات ٍأي أنه الآن في بداية الأربعين من عمره ولم يؤسس بعد لنفسه أسرةً مستقلة, بل خسر أسرته ونفسه وحياته,

أغمض عينيه ليتوقف على محطات الماضي الذي ما يزال حاضرا وبقوة رغم مرور السنوات...عشقه لجمانة, خيانة إليسا ، عبثه مع النساء, سهراته الليلية بالملاهي، دخانه الذي لم يكن يقطعه أبدا... عمله الذي خسر إدارته وأصلاً الآن لا يود أن يستلم شركة والده, لقد زهدها كما زهد الحياة . منذ طلاقه من إليسا لم يقترب من امرأةٍ قط, لن يسمح لنفسه بعد اللحظة من الاستزادة بالخطيئة, يريد أن يتطهر فقط من آثامه, كان سابقاً هارباً وحين رآها ذلك اليوم

منذ عام صار يريد منها مسامحته فقط ولا شيْ غير ذلك لربما حين تنطقها يستطيع حينها نسيان الماضي و المضي قدماً.

تعالت ضحكات الصغير جواد الذي اقتحم الباب مباشرةً ليهرول ناحيته فتلقفه مراد بين ذراعيه ليجلس بجانبه على الكرسي: أهلاً بالبطل متى حضرت؟,

عمي ملاد.. أريد الشوكولاه, أنت وعدتني-

تعالت ضحكاته أكثر وهو يمسح على رأس جواد : أنا تحت أمرك يا وحش الشوكولاه , هيا سأغير ملابسي وأصطحبك لشراء الشوكولاه كما وعدتك وأصلاً لا أعرف متى فعلتها " !!

هرول الصغير للخارج فرِحاً فصعدت جمانة درجات السلم لمساعدته كيلا يقع لكنها تنبهت على جلوس مراد بشرفته وشروده بها الشكل, لكم تغير عليها, وكأنه ليس ذات الشخص الذي عرفته منذ أعوام ,بل أضحى رجلٌ بارد وكأنه قطعةٌ من ثلج ! هل الزمان يغيرنا بهذا الشكل, نهض ليستعد ودلف فتنبه على نظراتها من خلف الباب فقالت بمرح : مرحباً"

أهـلاً" قالهـا وهـو ينظـر ناحيتهـا بعيـونٍ قـد أماتهـا الـزمن لتتلقـف هـي جـواد بـين يـديها اسـتدارت عنـه...كان شـعرها قـد ازداد طولـه، معالمهـا حتـى اضـحت اكثـر إشـراقة وحيويـة ..وقبـل أن تهـبط الـدرجات ناداهـا بخفـوت : جمانة..بعـد اذنـك" توقفـت تستمع إليه فتقدم منها قائلاً بصوتٍ خفيض:

افتعلـت عسـل شـجاراً جديـداً فـي المدرسـة, لـذلك طلبـت مـن والـدتي دعوتكمـا علـى العشـاء..لكنها لا تعـرف تفاصـيل الحادثـة, لقـد ضـربت عسـل زميلتهـا بحزامهـا الجلـدي هـذه المـرة, هي تستمع منكِ تحدثي معها رجاءاً"

انفرجـت عينـا جمانـة بصـدمة عمـا تفـوه فيـه لتقـول بعـدها : ضربتها بالحزام!

هـز رأسـه بإيجابيـة وأردف بعـدها : نصـحتني المـديرة باستشـارةٍ نفسـية لكـن.... أنـا تائـهٌ فعـلاً لا أريـدها أن تخـوض غمـار هـذه المعركة القبيحة"

تفهمـت جمانـة الأمـر وقالـت لتهدئتـه : قـد لا يتطلـب الأمـر ذلـك, المـديرة تضـخم الموضـوع حتمـاً , سـأحادثها وسـأفعل مـا بوسـعي, لا تقلـق " هـز رأسـه بامتنـان فتسـائلت بقلـق: أنـت بخيـر ؟

ارتسمت ابتسامةٌ منهكةٌ على ثغره مجيباً :بخير!! لا يهم إن كنتُ بخير أم لا... المهم أن يكون من حولي بخيرٍ فقط"

شعرت بحزنٍ دفينٍ بأعماقها على الحال الذي وصل إليه وهو لا يتطلع ناحيتها بل يهرب بنظراته ناحية الصغير متأملاً وجهه الملائكي بابتسامةٍ عذبة وكأنه يتطلع بها...بعينيها اللتين ما يزال يحاول نسيانهما ولا يستطيع"

هبطت درجات السلم لتنضم لخالتها ورضوان مجدداً فتنبه على شرودها كريم بعدما جلست بجانبه لكن مراد الذي صار بالصالة فجأةً وهو يلقي التحية باقتضابٍ كعادته جعلت فك كريم يجيبه بعصبيةٍ وانتقل ببصره ناحية جمانة التي انشغلت بهندمة ثياب جواد, لكم ارتاحت نفسه طيلة خمس سنوات عند ابتعاد مراد عن حياتهما والآن وبعدما عاد لم يعد يستطع التغاضي عن أي همسةٍ أو كلمة يتحدثها مراد لجمانة حتى ولو كانت مجرد ترحيبٍ عادي" صار يشعر بنارٍ تتأجج في صدره كلما اجتمع به وحتى أنه منعها أول بضعة أشهرٍ من عودة مراد من زيارة بيت خالتها, لكنه سرعان ما تنبه لنفسه ولمبالغته في تصرفاته فمراد الذي

يعرفه صديق طفولته لم يعد كما كان أبداً، بل هو ذاته لم يعد كما كان، هذه السنوات غيرت الجميع فعلاً

ارتفع صوت عسل وهي ترحب بجمانة وتهرول ناحيتها بسعادة ليرفع مراد حدقتيه وهو يتأمل هذه النسخة المصغرة منها ! صحيحٌ أن عسل تفوقت على جمانة بالتوحش وبنوعية الألبسة الغريبة العجائبية! لكنها تحمل ذات القلب النقي الذي يحتاج فقط لمن يزيل الشوائب التي تراكمت عليه لسببٍ لا يعرفه ولا يخبره أحدٌ به.

****

كانت منهمكةٌ بقراءة إحدى ملفات المرضى فتقدم منها بثباتٍ و قدم لها الصندوق قائلاً بلهفة : هديةٌ بسيطة بمناسبة عودتك "رفعت رأسها تجاهه و تطلعت إليسا بالصندوق الأحمر الصغير الذي بين يديه لتتبسم وتتناوله متسائلة : ما هو؟

افتحيه " قالها هشام لتضع اليسا الصندوق على الطاولة وتفض الشريطة من عليه, أزاحت الغطاء فقال هشام

بابتسامةٍ صافية: جميع الفتيات يعشقنها , اخترتها بنكهة البندق"

تطلعت إليسا بصندوق الشوكولاه لترتعد أوصالها فجأةً, وتقف وكأن أحدهم قد صفعها بعنف, تجمع الدمع بمقلتيها وهي تتذكر الأيام المنصرمة ..لذلك الرجل الذي التقت به أول مرة حين كانت تأكل الشوكولاه بالبندق في منزلهم...

نفضت عن ذاكرتها رجم تلك الذكريات المريرة و.حدقت بهشام بنظراتٍ غاضبةٍ لتغتال ابتسامته وهي تلقي الشوكولاه على الأرض وسط ذهوله وتقول بحدة: ومن أخبرك بأني أحبها !! أنا لا أحب الشوكولاه "نطقتها بألمٍ وهي تدفعه من صدره لتغادره فقال بلعثمة غير مدركٍ لما انفعلت بهذه الطريقة: أنا آسفٌ إليسا أنا.....لا أعرف.!! " لكنها لم تعطه مجالاً للرد بل خرجت من مكتبه وهرولت ناحية السطح تستنشق الهواء وقد تقافزت دمعاتها لتجلس على الحافة الحجرية لتكتم شهقاتها ....لما يصر الناس على إزعاجي بهذا الشكل , لما تصر تلك الذكريات اللعينة معه بأن تقتحمني مجدداً, تساءلت بقهر وأردفت وهي تغطي وجهها بيديها:

أكرهك مراد, أكرهك حتى آخر أنفاسي-

بـــذات الوقـــت تبســـم مـــراد بحنـــينٍ لمـــاضٍ جمعـــه مـــع صـــغيرته وحـــش الشـــوكولاه... داعبـــت ذكرياتـــه والصـــغير جـــواد يأكـــل الشـــوكولاه التـــي اشـــتراها لـــه فـــأغمض عينيتـــه ليتبســـم ((أغمضـــي عينيـــكِ " غطـــت اليســـا عينيهـــا بمـــرحٍ حتـــى همـــس لهـــا بصـــوته الأجـــش والآن افتحيهمـــا : أزاحـــت كفيهـــا عـــن وجههـــا البـــريء لتصـــفق بمـــرحٍ وهـــو يقـــدم لهـــا صـــندوق الشـــوكولاه بالبنـــدق الـــذي تعشـــقها حـــد الجنـــون, ومـــا كـــادت أن تنتشـــل الصـــندوق مـــن بـــين يديـــه ليقـــول بمكـــر : لا تســـتلمي قطعـــةً قبـــل أن أحصل على شكرٍ خاصٍ منكِ

عقـــدت ذراعيهـــا بطفوليـــةٍ لتتعـــالى ضـــحكاته علـــى هيئتهـــا بتلـــك الضـــفيرتين الطـــويلتين والشـــفاه التـــي تصـــطنع الحـــزن فلـــوى شـــفاهه كـــذلك مقلـــداً إياهـــا لتتعـــالى ضـــحكاتهما ســـوياً فتخطـــف الصندوق من بين يديه وتهرب بينما تمتم هو : مجنونة((!

-عمـــو ملاد..ألـــن ننـــزل ؟ تســـاءل جـــواد الـــذي يجلـــس بجانبـــه علـــى مقعـــد الســـيارة ليتنبـــه اليـــه ويفـــتح عينيـــه ويهـــز رأســـه باســـماً : سننزل طبعا, هيا يا بطل

****

لملـــم هشـــام قطـــع الشـــوكولاه بعصـــبية ورمـــى الصـــندوق علـــى الطاولـــة وهـــرع ناحيـــة قســـم الإســـعاف حينمـــا ســـمع دوي ســـيارتها، كفكفـــت إليســـا دمعاتهـــا والتحقـــت بهـــم بعـــد دقـــائق لتـرى هشـام وهـو يقـوم بمسـاعدة جـريحٍ كـان قـد تعـرض لحـادث ســيارة فتقــدمت منــه وشــرعت بمســاعدته ليحــدق بهــا نظــراتٍ عاتبـــةٍ بينمـــا يطـــالع عينيهـــا المحتقنتـــين, انتهيـــا بعـــد دقـــائق فتجاوزتـــه واســـتقلت المصـــعد ليلقـــي تعليماتـــه بســـرعةٍ ويلحـــق بهـــا, دلفـــت إلـــى المصـــعد فـــدلف ورائهـــا وأغلـــق البـــاب لكنهـــا تحاشت نظراته المرتكزة عليها فقال متسائلاً :

-هل كانت هديتي بذلك الرخص بالنسبة إليكِ"

رفعـــت نظراتهـــا تجاهـــه لتجيـــب : لا علاقـــة لنـــوع هـــديتك لكـــن تلـــك التفاصـــيل الصـــغيرة هـــي مـــن تفجـــر الآلام بـــداخلنا دون أن نشعر ....عن إذنك"

توقـــف المصـــعد لتخـــرج وتوجهـــت ناحيـــة مكتبهـــا لكنـــه جـــذبها ناحيـــة المســـتودع الطبـــي وســـحبها للـــداخل مغلقـــاً البـــاب عليهمـــا ليتسائل بحاجبين معقودين:

-ألـــن تثقـــي بـــي لتخبرينـــي بأوجاعك..بـــل أي أوجـــاعٍ ممكـــن أن تكون لفتاةٍ بعمركِ لم ترى الحياة بعد !؟"

طالــت نظراتهمــا ليــردف بثقــة : أنــت كتلــةٌ مــن الغمــوض, العنــد, لا تتــأثرين بســهولة بــل أنــت قويــة لا ينقصــك شــيء مــا هــذا الضعف الذي التمسته اليوم"

-الألــم يــا هشــام لــن يشــعر بــه أحــد ســوى صــاحبه, أتعــرف أتمنــى لــو أبــوح لأحــدهم عمــا يعتمــر بصــدري لكــن... الخيانــة ستصــدر من أقرب الناس إليك, لا أحد يستحق أن نطمأن له"

-لمــا تقــولين هــذا الكــلام, بربــك إليســا !!كــم عمــرك لتتحــدثي بهــذه الطريقة ؟!

-دعنــي أوضــح لــك شــيئاً، الألــم لا يفــرق بــين صــغيرٍ وكبيــر" عقــدت يــديها أمــام صــدرها وقــد اســتجمعت شــجاعتها مجــدداً ليتســاءل وقــد شــعر بســكينٍ تختــرق صــدره : هــو الســبب ألــيس كذلك ؟

رفعت رأسها ناحيته لتستوضح حديثه،

-زوجــك الســابق المهنــدس مــراد المنصــور , لهــذا هربــتِ منــه منــذ عام, لذلك تتألمين منذ أن رأيته ذلك اليوم"

تعالــت وتيــرة أنفاســها الغاضــبة فأشــاحت بوجههــا عنــه وفتحــت الباب وغادرت ليطلق هشام زفيراً حانقاً ويتجه إلى عمله.

الفصل الثالث

ترجلت من سيارته السوداء متجهةً للداخل فناداها بصوتٍ قوي : عسل, انتظري " توقفت واستدارت ناحية مراد فقال بحنو:

-لنتمشى بالحديقة قليلاً, هيا " تلكأت لبرهةٍ قبل أن تسير بجانب أخيها بصمتٍ مطبقٍ من كليهما حتى استدارت ناحيته متسائلة :

-ستصمت كثيراً, أطلق ما بجعبتك من عتابٍ وملام ودعني أذهب في طريقي"

تطلع مراد داخل عيني شقيقته الحادتين كعيني صقرٍ وأجاب وهو يمسح بإبهامه ما بين حاجبيها لإزالة تلك التقطيبة :

-أتدركين أن دور الفتاة الشريرة لا يليق بكِ، فلا تتمادي بذلك.

لاحت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفاهها ليتساءل بعدها بعتاب: لما تفعلين ذلك, لقد آذيتِ صديقتكِ كثيراً أتدركين خطر الفعل الذي أقدمني على ممارسته!

تطلعت فيه بحدة وهتفت : هي السبب, تستحق الحرق لكني رحمتها هذه المرة"

-عسل!! ما هذا الكلام؟ إن تطاولت معك أو تعرضت لك بإمكانك إبلاغ معلمتك لا أن تبرحيها ضرباً"!!

تعالت ضحكات الاستهزاء منها مجيبة:

-أخبر المعلمة!! ما رأيك أن أتراكض ناحيتها باكيةً كذلك وأنا أتشبث بقميصها!

-لا اضربها وتصرفي من رأسك كي تطردي من هذه المدرسةِ كذلك"

-سأضربها وأضرب كل من يتجرأ على المساس بي بكلمة"

وتركته وغادرت إلى الداخل وسط دخوله ذهوله من هذه الصغيرة الشرسة ! واتجه ناحية سيارته مجدداً للذهاب إلى الشركة, حيث قابل آدم أمام البوابة ليومئ له ملقياً السلام باقتضاب تنبه آدم لتعبير وجهه المتجهم فلحق به حتى استقل مراد المصعد ليتساءل آدم بقلق : - هل كل شيءٍ على ما يرام؟

-لا شـــيء علـــى مـــا يـــرام أبـــداً بحيـــاتي " نطقهـــا بغضـــبٍ وخـــرج بعـــدما بفـــتح بـــاب المصـــعد ليتجـــه ناحيـــة مكتبـــه الـــذي كـــان مكتـــب آدم ســـابقاً قبـــل توليـــه منصـــب الإدارة ومـــا كـــاد يلحـــق بـــه حتـــى قالـــت الســـكرتيرة رشـــا برصـــانة: أســـتاذ آدم المهندســـين بانتظارك للبدء بالاجتماع"

أومـــئ لهـــا واتجـــه إلـــى مكتبـــه بينمـــا دلـــف مـــراد إلـــى مكتبـــه ليرمـــي جاكيـــت بذلتـــه علـــى الكرســـي الجلـــدي ويجلـــس علـــى حافـــة المكتـــب وهـــو يقلـــب تلـــك البطاقـــة التـــي ســـلمتها لـــه مـــديرة المدرســـة, هـــل تحتـــاج عســـل حقـــاً استشـــارةً نفســـية! تســـاءل بقلـــــقٍ فطرقـــــت رشـــــا البـــــاب لتقـــــول بارتبـــــاك: -الاجتمـــاع بـــدء مـــراد بـــك" تنبـــه لهـــا ليعتـــدل واقفـــاً وأومـــئ لهـــا (حســـناً, أنـــا قـــادم) واتجـــه ناحيـــة البـــاب لترمقـــه رشـــا وتتنهـــد تنهيدةً طويلة بعدما سار بجانبها حتى باب مكتب آدم"

****

وســـكن الليـــل لتعـــانق نجـــوم الســـماء التمـــاع عينيـــه الحـــالكتين, حـــدق بالبـــدر المكتمـــل مـــن شـــرفته والنســـائم النديـــة تلامـــس وجنتيـــه ببـــرودةٍ محببـــة, يقولـــون أن الـــزمن يشـــفى جـــراح الأشـــرار والطيبـــين علـــى حـــد ســـواء . لكـــن جراحـــه لـــم تشـــفى، ظلـــت

محفـورةً بـداخل صـدره كـنفشٍ سـوداوي،طيلـة سـنوات, لـو لـم يجـري مـا جـرى بتلـك المشـئومة حينمـا وقعـت إليسـا كـان طفلـه الآن يبلـغ مـن العمـر سـبع سـنوات ! سـيكون حينهـا كـأي أبٍ محـبٍ يحتضـن عائلتـه لتـنعم بأمـان ولربمـا كـان لديـه طفـلٌ ثـانٍ أو ثالـث ....سـبع سـنوات ٍأي أنـه الآن فـي بدايـة الأربعـين مـن عمـره ولـم يؤسـس بعـد لنفسـه أسـرةً مسـتقلة, بـل خسـر أسـرته ونفسه وحياته,

أغمـض عينيـه ليتوقـف علـى محطـات الماضـي الـذي مـا يـزال حاضـرا وبقـوة رغـم مـرور السنوات...عشـقه لجمانـة, خيانـة إليسـا ، عبثـه مـع النسـاء, سـهراته الليليـة بـالملاهي، دخانـه الـذي لـم يكـن يقطعـه أبـدا... عملـه الـذي خسـر إدارتـه وأصـلاً الآن لا يـود أن يسـتلم شـركة والـده, لقـد زهـدها كمـا زهـد الحيـاة . منـذ طلاقـه مـن إليسـا لـم يقتـرب مـن امـرأةٍ قـط, لـن يسـمح لنفسـه بعـد اللحظـة مـن الاسـتزادة بالخطيئـة, يريـد أن يتطهـر فقـط مـن آثامـه, كـان سـابقاً هاربـاً وحـين رآهـا ذلـك اليـوم منـذ عـام صـار يريـد منهـا مسـامحته فقـط ولا شـيْ غيـر ذلـك لربمـا حـين تنطقهـا يسـتطيع حينهـا نسـيان الماضـي و المضـي قدماً.

تعالــت ضــحكات الصــغير جــواد الــذي اقــتحم البــاب مباشــرةً ليهــرول ناحيتــه فتلقفــه مــراد بــين ذراعيــه لــيجلس بجانبــه علــى الكرسي: أهلاً بالبطل متى حضرت؟,

-عمي ملاد.. أريد الشوكولاه, أنت وعدتني"

تعالــت ضــحكاته أكثــر وهــو يمســح علــى رأس جــواد : أنــا تحــت أمــرك يــا وحــش الشــوكولاه , هيــا ســأغير ملابســي وأصــطحبك لشراء الشــوكولاه كمــا وعــدتك وأصــلاً لا أعــرف متى فعلتهــا " !!
هــرول الصــغير للخــارج فرِحــاً فصــعدت جمانــة درجــات الســلم لمســاعدته كــيلا يقــع لكنهــا تنبهــت علــى جلــوس مــراد بشــرفته وشــروده بهــا الشــكل, لكــم تغيــر عليهــا, وكأنــه لــيس ذات الشــخص الــذي عرفتــه منــذ أعــوام ,بــل أضــحى رجــلٌ بــارد وكأنــه قطعــةٌ مــن ثلــج ! هــل الزمــان يغيرنــا بهــذا الشــكل, نهــض ليســتعد ودلــف فتنبه على نظراتها من خلف الباب فقالت بمرح : مرحباً"

-أهــلاً " قالهــا وهــو ينظــر ناحيتهــا بعيــونٍ قــد أماتهــا الــزمن لتتلقــف هــي جــواد بــين يــديها اســتدارت عنــه...كان شــعرها قــد ازداد طولــه، معالمهــا حتــى أضــحت أكثــر إشــراقه وحيويــة ..وقبــل أن تهــبط الــدرجات ناداهــا بخفــوت : جمانة..بعــد إذنــك" توقفــت تســتمع إليــه فتقــدم منهــا قــائلاً بصــوتٍ خفــيض:

-افتعلت عسل شجاراً جديداً في المدرسة, لذلك طلبت من والدتي دعوتكما على العشاء..لكنها لا تعرف تفاصيل الحادثة, لقد ضربت عسل زميلتها بحزامها الجلدي هذه المرة, هي تستمع منكِ تحدثي معها رجاءاً"

انفرجت عينا جمانة بصدمة عما تفوه فيه لتقول بعدها : ضربتها بالحزام!

هز رأسه بإيجابية وأردف بعدها : نصحتني المديرة باستشارةٍ نفسية لكن.... أنا تائهٌ فعلاً لا أريدها أن تخوض غمار هذه المعركة القبيحة"

تفهمت جمانة الأمر وقالت لتهدئته : قد لا يتطلب الأمر ذلك, المديرة تضخم الموضوع حتماً , سأحادثها وسأفعل ما بوسعي, لا تقلق " هز رأسه بامتنان فتساءلت بقلق: أنت بخير ؟ ارتسمت ابتسامةٌ منهكةٌ على ثغره مجيباً :بخير!! لا يهم إن كنتُ بخير أم لا... المهم أن يكون من حولي بخيرٍ فقط"

شعرت بحزنٍ دفينٍ بأعماقها على الحال الذي وصل إليه وهو لا يتطلع ناحيتها بل يهرب بنظراته ناحية الصغير متأملاً

وجهه الملائكي بابتسامةٍ عذبة وكأنه يتطلع بها...بعينيها اللتين ما يزال يحاول نسيانهما ولا يستطيع"

هبطت درجات السلم لتنضم لخالتها ورضوان مجدداً فتنبه على شرودها كريم بعدما جلست بجانبه لكن مراد الذي صار بالصالة فجأةً وهو يلقي التحية باقتضابٍ كعادته جعلت فك كريم يجيبه بعصبيةٍ وانتقل ببصره ناحية جمانة التي انشغلت بهندمة ثياب جواد, لكم ارتاحت نفسه طيلة خمس سنوات عند ابتعاد مراد عن حياتهما والآن وبعدما عاد لم يعد يستطع التغاضي عن أي همسةٍ أو كلمة يتحدثها مراد لجمانة حتى ولو كانت مجرد ترحيبٍ عادي" صار يشعر بنارٍ تتأجج في صدره كلما اجتمع به وحتى أنه منعها أول بضعة أشهرٍ من عودة مراد من زيارة بيت خالتها, لكنه سرعان ما تنبه لنفسه ولمبالغته في تصرفاته فمراد الذي يعرفه صديق طفولته لم يعد كما كان أبداً، بل هو ذاته لم يعد كما كان، هذه السنوات غيرت الجميع فعلاً

ارتفع صوت عسل وهي ترحب بجمانة وتهرول ناحيتها بسعادة ليرفع مراد حدقتيه وهو يتأمل هذه النسخة المصغرة منها ! صحيحٌ أن عسل تفوقت على جمانة بالتوحش

وبنوعيـــة الألبســـة الغريبـــة العجائبيـــة! لكنهـــا تحمـــل ذات القلـــب النقـــي الـــذي يحتـــاج فقـــط لمـــن يزيـــل الشـــوائب التـــي تراكمـــت عليه لسببٍ لا يعرفه ولا يخبره أحدٌ به.

****

كانـــت منهمكـــةٌ بقـــراءة إحـــدى ملفـــات المرضـــى فتقـــدم منهـــا بثبـــاتٍ و قـــدم لهـــا الصـــندوق قـــائلاً بلهفـــة : هديـــةٌ بســـيطة بمناســـبة عودتـــك "رفعـــت رأســـها تجاهـــه و تطلعـــت إليســـا بالصـــندوق الأحمـــر الصـــغير الـــذي بـــين يديـــه لتتبســـم وتتناولـــه متســـائلة : مـــا هو؟

افتحيـــه " قالهـــا هشـــام لتضـــع اليســـا الصـــندوق علـــى الطاولـــة وتفـــض الشـــريطة مـــن عليـــه, أزاحـــت الغطـــاء فقـــال هشـــام بابتســـامةٍ صـــافية: جميـــع الفتيـــات يعشـــقنها , اخترتهـــا بنكهـــة البندق"

تطلعـــت إليســـا بصـــندوق الشـــوكولاه لترتعـــد أوصـــالها فجـــأةً, وتقـــف وكـــأن أحـــدهم قـــد صـــفعها بعنـــف, تجمـــع الـــدمع بمقلتيهـــا وهـــي تتـــذكر الأيـــام المنصـــرمة ..لـــذلك الرجـــل الـــذي التقـــت بـــه أول مرة حين كانت تأكل الشوكولاه بالبندق في منزلهم...

نفضــت عــن ذاكرتهــا رجــم تلــك الــذكريات المريــرة و.حــدقت بهشــام بنظــراتٍ غاضــبةٍ لتغتــال ابتســامته وهــي تلقــي الشــوكولاه علــى الأرض وســط ذهولــه وتقــول بحــدة: ومــن أخبــرك بــأني أحبهــا !! أنــا لا أحــب الشــوكولاه "نطقتهــا بــألمٍ وهــي تدفعــه مــن صــدره لتغــادره فقــال بلعثمــة غيــر مــدركٍ لمــا انفعلــت بهــذه الطريقــة: أنــا آســفٌ إليســا أنــا.....لا أعــرف.!! " لكنهــا لــم تعطــه مجــالاً للــرد بــل خرجــت مــن مكتبــه وهرولــت ناحيــة الســطح تستنشــق الهــواء وقــد تقــافزت دمعاتهــا لــتجلس علــى الحافــة الحجريــة لتكــتم شــهقاتها ....لمــا يصــر النــاس علــى إزعــاجي بهــذا الشــكل , لمــا تصــر تلــك الــذكريات اللعينــة معــه بــأن تقتحمنــي مجــدداً, تســاءلت بقهــر وأردفــت وهــي تغطــي وجههــا بيــديها :

_أكرهك مراد, أكرهك حتى آخر أنفاسي"

بــذات الوقــت تبســم مــراد بحنــينٍ لمــاضٍ جمعــه مــع صــغيرته وحــش الشــوكولاه... داعبــت ذكرياتــه والصــغير جــواد يأكــل الشــوكولاه التــي اشــتراها لــه فــأغمض عينيــه ليتبســم ((أغمضــي عينيــكِ " غطــت اليســا عينيهــا بمــرحٍ حتــى همــس لهــا بصــوته الأجــش والآن افتحيهمــا : أزاحــت كفيهــا عــن وجههــا البــريء لتصــفق بمــرحٍ وهــو يقــدم لهــا صــندوق الشــوكولاه بالبنــدق الــذي تعشــقها حــد الجنــون, ومــا كــادت أن تنتشــل

الصندوق من بين يديه ليقول بمكر : لا تستلمي قطعةً قبل أن أحصل على شكرٍ خاصٍ منكِ"

عقدت ذراعيها بطفوليةٍ لتتعالى ضحكاته على هيئتها بتلك الضفيرتين الطويلتين والشفاه التي تصطنع الحزن فلوى شفاهه كذلك مقلداً إياها لتتعالى ضحكاتهما سوياً فتخطف الصندوق من بين يديه وتهرب بينما تمتم هو : مجنونة"((!

-عمو ملاد..ألن ننزل ؟ تساءل جواد الذي يجلس بجانبه على مقعد السيارة ليتنبه إليه ويفتح عينيه ويهز رأسه باسماً : سننزل طبعا, هيا يا بطل"

*****

لملم هشام قطع الشوكولاه بعصبية ورمى الصندوق على الطاولة وهرع ناحية قسم الإسعاف حينما سمع دوي سيارتها، كفكفت إليسا دمعاتها والتحقت بهم بعد دقائق لترى هشام وهو يقوم بمساعدة جريحٍ كان قد تعرض لحادث سيارة فتقدمت منه وشرعت بمساعدته ليحدق بها نظراتٍ عاتبةٍ بينما يطالع عينيها المحتقنتين, انتهيا بعد دقائق فتجاوزته واستقلت المصعد ليلقي تعليماته بسرعةٍ ويلحق

بها, دلفت إلى المصعد فدلف ورائها وأغلق الباب لكنها تحاشت نظراته المرتكزة عليها فقال متسائلاً :
-هل كانت هديتي بذلك الرخص بالنسبة إليكِ"

رفعت نظراتها تجاهه لتجيب : لا علاقة لنوع هديتك لكن تلك التفاصيل الصغيرة هي من تفجر الآلام بداخلنا دون أن نشعر ....عن إذنك"

توقف المصعد لتخرج وتوجهت ناحية مكتبها لكنه جذبها ناحية المستودع الطبي وسحبها للداخل مغلقاً الباب عليهما ليتساءل بحاجبين معقودين:
-ألن تثقي بي لتخبريني بأوجاعك..بل أي أوجاعٍ ممكن أن تكون لفتاةٍ بعمركِ لم ترى الحياة بعد !؟"

طالت نظراتهما ليردف بثقة : أنت كتلةٌ من الغموض, العند, لا تتأثرين بسهولة بل أنت قوية لا ينقصك شيء ما هذا الضعف الذي التمسته اليوم"

-الألم يا هشام لن يشعر به أحد سوى صاحبه, أتعرف أتمنى لو أبوح لأحدهم عما يعتمر بصدري لكن... الخيانة

ستصـــدر مـــن أقـــرب النــاس إليــك, لا أحـــد يســـتحق أن نطمـــأن له"

-لمــا تقــولين هــذا الكــلام, بربــك إليســا !!كــم عمــرك لتتحــدثي بهــذه الطريقة ؟!

-دعنــي أوضــح لــك شــيئاً، الألــم لا يفــرق بــين صــغيرٍ وكبيــر" عقـــدت يـــديها أمـــام صـــدرها وقـــد اســـتجمعت شـــجاعتها مجـــدداً ليتســـاءل وقـــد شـــعر بســـكينٍ تختـــرق صـــدره : هـــو الســـبب ألـــيس كذلك ؟

رفعـــــــت رأســـــــها ناحيتـــــــه لتســـتوضـــــــح حديثـــــــه، -زوجـك السـابق المهنـدس مـراد المنصـور , لهـذا هربـتِ منـه منـذ عام, لذلك تتألمين منذ أن رأيته ذلك اليوم"

تعالـــت وتيـــرة أنفاســـها الغاضـــبة فأشـــاحت بوجههـــا عنـــه وفتحـــت الباب وغادرت ليطلق هشام زفيراً حانقاً ويتجه إلى عمله.

****

الفصل الرابع

إذن ألن تخبريني بالذي جرى بينكما ولما فعلتِ ذلك؟

تساءلت جمانة وهي تجلس بجانب عسل على السرير والأخيرة تعبث بهاتفها تستمع لأغانٍ صاخبةٍ وتدندن معها متجاهلةً سؤال جمانة التي حدقت بها وزمت شفاهها قبل أن تقبض على الهاتف وتمسك عسل من ياقتها قائلةً بتكشيرةٍ مضحكة: أيتها الصغيرة, هذا التجاهل قد تستطيعين فعله مع الجميع إلا أنا"

قطبت عسل حاجبيها لتهتف بها : ما الذي تريدينه الآن مني! ألم تملوا من استجوابي كمتهم بفرع امن الدولة ؟

-يا عسل ما فعلتيه لا يجوز افهمي " قالتها جمانة بحدة لتعتدل عسل كذلك بجلستها مجيبة وهي تشدد على حروفها : أنا لم أخطئ بشيء , سوزان هي من بدأت, لم أتحمل كلماتها الهازئة من صديقتي بالفصل, دائماً ما تتهكم على هيئتها لأنها فقيرةٌ فقط, كان يجب أن أضع حداً لأفعالها "

ارتفـع حاجبـا جمانـــة فيبــدو أن المــوازين ســتقلب لصــالح عســل ! لكنهــا تســاءلت : لــمَ لــم تخبــري المــديرة بالحقيقــة, أو مــراد علــى الأقل ؟

- برأيــك مــع مــن ســتتعاطف مــديرة المدرســة ؟ هــل ســتتعاطف مــع قريبــة وزيــر التربيــة والتعلــيم ؟ أو ســتتعاطف مــع تلــك الفقيــرة التــي مــا بحوزتهــا شــيء ؟ لــن يجلــب حقهــا ســوى عســل المنصور ..وانت تعرفين عائلة المنصور جيدا"

تلكــأت جمانــة مــن هــذه الحقــائق لتربــت علــى كتفهــا : ولو..أنــت قابلــت جريمتهــا بجريمــة اكبــر، أخطــأتِ بضــربك إياهــا بــالحزام الجلــدي العقوبــة لا تكــون بهــذا الشــكل"
تعالــت ضــحكات عســل الهازئــة وقالــت بتشــف : آهٍ لــو رأيتهــا يــا جمانة, صارت تتلوى كقطةٍ انحشر رأسها في زجاجة!

ضــربتها جمانــة علــى كتفهــا و تعالــت ضــحكات الفتــاتين, وفــي الأســفل كــان كــريم يجلــس مقــابلاً لمــراد الــذي انشــغل بحاســوبه للقيام بتصميمٍ ديكور داخلي جديد لإحدى الشركات ,

-كــم غيّرنــا الــزمن يــا ابــن عمــي ! نطقهــا كــريم الــذي حــدق بمــراد بنظــراتٍ مبهمــة ومــع أنــه كــان راغبــاً بشــدة بعــودة الأمــور إلــى

نصـــابها, اشـــتاق لأحاديثـــه مـــع مـــراد, لســـهراتهم الليلـــة وجـــولاتهم, لأســـراره التي لـــم يكـــن يحكيهـــا لغيـــره.. والآن مـــا تمثـــل أمامـــه.. بقايـــا إنســـانٍ يســـمى مـــراد! لكنـــه لا يســـتطيع التغاضـــي كـــون ابـــن عمـــه يحـــب زوجتـــه, مجـــرد التفكيـــر بـــذلك يصـــيبه بـــالجنون جنـــون لا يستطيع السيطرة عليه.!

جلـى مـــراد صـــوته وتعلقـــت عينـــاه علـــى عيـني كـــريم وأجـــاب بوقـــار مؤكداً : غيرتنا الأيام يا صديق طفولتي"

لاحـــت ابتســـامةٌ متهكمـــةٌ علـــى شـــفاه كـــريم وأردف : -وتعـــرف أننـــا لـــن نعـــود كمـــا الســـابق, فـــلا تفكـــر بـــأن هـــذه الأســـاليب وارتـــدائك ثوب الضحية او الرجل العاقل, ستشفع لك الماضي"

طالـــت نظراتـــه المنكبـــة علـــى كـــريم ليجيبـــه ببســـاطة :- أعـــرف ذلـــــــــــــك... لكـــــــــــــــــــــن

صـــمت قلـــيلاً ثـــم أردف بصـــوته الـــرخيم : النـــاس يمســـحون ماضـــيك الجميـــل مقابـــل آخـــر موقـــفٍ ســـيءٍ منـــك, والله ســـبحانه يمحـــو ماضـــيك الســـيء مقابـــل توبـــةٍ صـــادقةٍ منـــك, فـــأيهم برأيـــك أحق بطلبِ الرضا؟العباد أم رب العباد؟

نهض كريم من مكانه واضعاً يديه بجيب بنطاله الرياضي فباغته مراد وهو يقف كذلك متسائلاً : ألقي ما بجعلتك من كلمات مباشرةً دون اللف والدوران

استدار ناحيته فجأةً وهتف : لمَ عدت بعد هذه السنوات!؟ ما الذي تريده الآن؟ أتريد أن تنبش جراحنا مجدداً, ما الذي تفكر فيه ؟!

اضطرب فك مراد وهو يستمع لكلمات كريم لكنه أجاب برصانة: أتخاف أن أختطف زوجتك مثلاً بعد هذه السنوات"

صرخ كريم هاتفاً بغيظٍ وتمسك بتلابيب مراد : إياك أن تقحمها في حديثنا مجدداً " قبض مراد على ساعدي كريم وضيق عينيه يطالعه بثبات: أنت من أقحمتها بغبائك, فزت بالجائزة الكبرى فهنيئاً لك... والآن كف عن هذه التصرفات الصبيانية

فقال كريم جازاً على أسنانه بغيظ: ما زلت أرى نظراتك اللعينة تجاه زوجتي يا هذا..لا تنكر لستُ أعمى

عب مراد الهواء ليستجمع شجاعته مجيباً:
-بعد كل ما عشته يا ابن عمي .. تعلمت شيئاً مهماً ..إذا أردت

أن تفشـل فـي حياتـك فقـط اسـتمع لقلبـك" ثـم أردف بقـوة : وأنـا اقتلعتهـا مـن قلبـي ... لـم أعـد أفكـر فيهـا إفهـم ذلـك وكفـاك شـكاً بتصـرفاتي ونوايـاي, منـذ عـامين حتـى اللحظـة أعلـم أنـك تضـعني تحـت المجهـر حـين ألتقيكمـا, منـذ خمـس سـنواتٍ وأنـا معتكـفٌ بنفسـي بعيـداً عـنكم, ألا تكفـي لعـيش كـل منـا حياتـه, أسـيلطمني ذلـك الماضـي بتلـك القـذارة أبـد الـدهر وذنبـي الوحيـد أني عشـقت وأنـا متـزوج أهي جريمـةٌ كبـرى لهـذا الحـد ؟ ! "

ثـم أفلـت قبضـتي كـريم و أبعـدهما بغلظـةٍ متمتمـاً : لقـد اكتفيت أتفهم كريم....اكتفيت"

تعالـت أنفـاس كـريم الـذي تطلـع فيـه يحـاول استشـفاف صـدق حديثـه لكنـه لـم يقـدر...يكاد يقسـم ان جمانـة ترتسـم ملامحهـا علـى حـدقتي غريمـه..ما تـزال كلمـات مـراد منـذ سـنوات عنهـا تقتحم خلوته فلا يقدر على إسكاتها...

رآهمـا آدم الـذي وصـل لتـوه لكونـه اتفـق مـع نـور بأنهمـا سيمضـيان الليلـة بمنـزل العائلـة, تسـاءل بقلـق: مـا الأمـر يـا شـباب ؟ اجتـازه مـراد ليغـادر المنـزل بينمـا هتـف كـريم مـن أسـفل السـلم صـائحاً : تجهـزي جمانـة سـنذهب" أمسـك آدم

كتـف كـريم يسـتحثه علـى الإجابـة : مـا الـذي جـرى بينكمـا"
وتطلعـت جمانـة وعسـل علـيهم مـن علـى السـلم لتـزم شـفاهها
بغضـبٍ علـى كـلام كـريم, تحـدثت عسـل بصـوتٍ خفـيض و
بنظـــــــــــــــراتٍ متفاجئـــــــــــــــــــــــة:

!مـــراد كـــان يحبـــك -

حـــدجتها جمانـــة بنظـــرةٍ حـــادةٍ لإســـكاتها وهبطـــت درجـــات الســـلم
بغضب,

-لاشـيء لا تتـدخل أنـت " أجابـه كـريم باقتضـاب لينفـث آدم
بعصـبيةٍ ويصـعد درجـات السـلم كـذلك بينمـا كـان مـراد قـد
اسـتقل سـيارته وانطلـق بهـا بسـرعةٍ وقـد أزهقتـه نظـرة الجميـع
اليـه, حتـى صـديق طفولتـه انقلـب عليـه بهـذا الشـكل, أي عـذابٍ
هذا, أسيتجرع العذاب دائماً! ألا يكفيهم ما به من مصائب!.

ألقـت جمانـة التحيـة علـى شـقيقها باقتضـاب عنـدما تقـابلا
بمنتصف السلم وأكملت النزول للحاق بكريم

ركـن مـراد السـيارة قريبـاً مـن المستشـفى التـي تعمـل بهـا إليسـا
واسـتكان برأسـه علـى المقـود, كـان يعـرف بأنهـا قـد عـادت ..بـل
ويعـرف أيضـاً اسـم ذلـك المستشـفى الـذي هربـت إليـه منـه,
لكنـه آثـر أن يبتعـد عنهـا بهـذه الفتـرة, عـامٌ آخـر بالنسـبة إليـه لـن

يضيف أو يطفئ شيئاً من آلامه .طرقت عيناها السوداوان ذاكرته بعنفٍ هذه المرة, ليس ذاكرته فقط بل واقعه عندما رآها أمام باب قسم الإسعاف قد خرجت تستنشق الهواء النقي خارجاً, لكم تغيرت صغيرته! كم كبرت! توترٌ اجتاح كيانه وهو يتلصص عليها من خلف زجاج سيارته كالسارق..يريد المسامحة ولا شيء بعدها صوتها ونظراتها حين طلبت الطلاق منذُ سبع سنوات كانا يقتلانه في كل يوم...

تقدم هشام ليقف بجانبها دون أن يتطلع بها, تجاهلت هي كذلك وجوده ورفعت كوب الشاي لتشربه ومراد يراقبهما بترقب, انطلقت شفاه هشام ليتحدث بعد مدة لكنها دلفت إلى الداخل معلنة انتهاء الحديث الذي أصلاً لم يبدء بينهما ليتطلع بها هشام بغضب ويتجهم وجهه ليفرغ الكوب كاملاً بجوفه قبل أن يضغط بكفه على الكأس الكرتوني ويرميه بالسلة ويدلف كذلك إلى الداخل ليشغل مراد السيارة مجدداً وينطلق في طريقه إلى اللا مكان.!

قام هشام بجولته الروتينية على مرضاه بينما ترافقه دلال لتتغلغل داخل ثنايا روحها رائحة عطره الفاتن وكم هو صعبٌ عليها تجاهله لها وتجاهل حبها... ما أقسى أن يهتم

الجميـــع بـــك إلا الشـــخص الـــذي وهبـــت لـــه حياتـــك وقلبـــك ! مـــا أقســـاها مـــن لحظـــات ..غـــادر الغرفـــة وهـــو يضـــع يديـــه بجيـــب مئـــزره ويســـير بتـــؤدة عبـــر الـــرواق لتتعلـــق عينيـــه علـــى إليســـا التـــي تجـــر إحـــدى المرضـــى علـــى كرســـيٍ متحـــركٍ لتأخـــذه ناحيـــة غرفـــة التصـــوير المقطعـــي وتحادثـــه بابتســـمةٍ خلبـــت لـــب هشـــام ليقـــف أمامها كالأبله وهو يحدق بكتلة الغموض التي أمامه

****

دلفـــا لتوهمـــا إلـــى المنـــزل و جمانـــة تحمـــل الصـــغير النـــائم وتوجهـــت مباشـــرة إلـــى غرفتـــه لتضـــعه علـــى الســـرير بينمـــا دلـــف كـــريم إلـــى غرفتـــه وصـــار يخلـــع ألبســـته بعصـــبية مـــن هـــذه المواجهـــة بينـــه وبين مراد....

لكـــم تكـــره حالـــة الغضـــب التـــي تداهمـــه بـــين وقـــت وآخـــر وكأنـــه برجـــل جديـــد عنهـــا يحمـــل نفســـه عـــبء الشـــك ومـــا أقســـاه مـــن عـــبء !، وكعادتـــه لـــم يســـتطع صـــبرا..يريد أن يفـــرغ طاقتـــه الســـلبية التـــي اســـتحوزت علـــى تفكيـــره، خطـــى إلـــى خـــارج الغرفـــة ليهـــرول بعـــدها عبـــر درجـــات الســـلم المؤديـــة إلـــى البهـــو حيـــث غرفـــة تمريناتـــه، تقـــدم مـــن كـــيس الملاكمـــة وأكـــال لـــه لكمـــة قويـــة حتـــى فـــتح الـــدرب أمـــام ســـيل جـــارف مـــن اللكمـــات صـــرخ بصـــوت هـــادر

: وكيـــــف لـــــي أن أنســـــى نظراتـــــك إليهـــــا ؟!
كيـــف لـــي أن اتغاضـــى عـــن ذلـــك !
ازدادت آلام ذراعـــه وقبضـــته جـــراء قســـوة اللكمـــات ليتنبـــه علـــى
جمانـــة وهـــي تقـــوم بـــإغلاق البـــاب الكبيـــر وتتقـــدم ناحيتـــه "
-هيـــا اضـــربه كمـــا العـــادة ولا تخبرنـــي بمشـــكلتك "
حـــدجها بنظـــرات قويـــة مشـــيرًا بإصـــبعه ناحيتـــه لإســـكاتها "
تقـــدمت بجـــرأة أكثـــر حتـــى صـــارت قبالتـــه مجـــددا ضـــربت
صـــدره واردفـــت : هـــذا اللعـــين كـــان ينـــبض لأجلـــي فقـــط والآن
اشعر بأن نبضاته قد تلاشت ...لم اعد اسمعها سبب غيرتك

الـــــــلا منطقيـــــــــــة"
طـــال تحديقـــه بهـــذه الجنيـــة التـــي تصـــر علـــى إهلاكـــه دائمـــا
بجبروتهـــا وفعليـــاً كانـــت الغيـــرة هـــي مـــا تنهشـــه مـــن الـــداخل, الغيـــرة
مـــن نظـــرات مـــراد حتـــى لـــو لـــم يكـــن ينظـــر لهـــا... الغيـــرة مـــن تحـــدثها
معـــه فـــي كـــل مـــرة حتـــى ولـــو كـــان ســـلاماً عاديـــاً !! تســـاءل بينـــه وبـــين
نفســـه وبحركـــة مباغتـــة لـــوى ذراعهـــا إلـــى الخلـــف ليقـــول بخبـــث:
هذا اللعين لم ولن تتلاشى نبضاته المجنونة ناحيتك"

رفعـــت إحـــدى حاجبيهـــا وانحنـــت إلـــى الأســـفل ومـــدت ســـاقها
وعرقلتـــه ليســـقط جســـده الضـــخم علـــى الأرض وقالـــت بحـــدة

وهـي تنحنـي ناحيتـه: عنـدما تقابـل أحـدهم ويحكـي لـك عـن خيبتـه بالنـاس، فهـو يبعـث لـك برسـالة معناهـا أرجـوك لا تكـن منهم...فلا تكـن كـالجلاد المنتظـر لـذبح ضـحيته, سـمعت كـل شـيء اليـوم .. ابـن عمـك الآن يحتاجـك فكـن معـه ولا تكـن عليـه جراء شكوك باطلة فتقلب حياتنا جحيماً"

أطـل الجنـون مـن نظراتـه ناحيتهـا وأنفاسـه المضـطربة غضـباً وعشـقاً لصـاحبة العيـون السـود الواسـعة ليقـول بإسـلوبٍ ساخر :

-أوقعتي ملاكماً محترفاً على الأرض يا جنية الزمان!

وأكمل : لكني تركتك بمزاجي,

فأجابـت ضـاحكة : أعـرف قـوتي جيـداً..لم أتـرك تمريناتي يومـاً أيها المتعجرف,كي تعرف من هي ابنة عابد"

غزت ابتسامة ثغره ليردف وهو يرفع نظراته و يتطلع بها:

-أعـرف مـن هي ابنـة عابـد, صـدق مـراد حينمـا أخبرنـي بـأني فـزت بالجائزة الكبرى"

أردف بغضـــب : الغيـرة تسـحقني منـه جمانـة, أتمـزق حينمـا تتحادثين معه, حينما تبتسمين له"

-الزمن قد غيرالكثير..لا تكن أسير الشك"

****

رفعـت نـور رأسـها عـن المكتـب حينمـا طرقـت الـدكتورة ولاء الباب ودلفت إلى الداخل " أراكِ نائمة؟

نفثـت نـور بإرهـاقٍ وأجابـت : متعبـةٌ جـداً يـا ولاء, لـم أنـم جيـداً البارحة بسبب المناوبة الطويلة"

اذهبي إذن إلـى المنـزل ولا تجهـدي نفسـك" تطلعـت نـور بسـاعتها التـي شـارفت علـى بلـوغ التاسـعة مسـاءاً وأجابـت : نعـم بكافـة الأحـوال سـينتهي دوامـي" نهضـت وهـي تعـدل مـن حجابهـا الأبـيض وتخلـع المئـزر الطبـي متجهـةً إلـى الخـارج، رن هاتفهـا المحمـــول لتتلقفـــه وتجيـــب :
-اعـــرف اعـــرف ...اهـــلا بقلـــب آدم "
تعالـت ضـحكاته فقالـت مردفـة : عليـك واحـدة "
ارتمـى علـى الكرسـي مجيبـاً : حسـناً يـا قلـب آدم لا تنسـي التوجـه مباشـرة لمنـزل عائلتـك أنـا عنـدهم "

-حسنا "وهمت بإغلاق الهاتف فقال فوراً "

-مهلاً.. نووور.

رفعت الهاتف مجدداً عندما سمعت صياحه فتسائلت : ما الأمر ؟اشتقت لكِ يا بنت " قالها بمكر واغلق الهاتف لتهز رأسها بيأس وتتمتم:لن يتغير أبداً!

وشرعت بالخروج لقطع الشارع لاستقلال سيارتها التي ركنتها على الجانب المقابل وهي منشغلة بوضع الهاتف بالحقيبة تعالى صوت احتكاك عجلات سيارة مسرعة لتصدمها فيرتد جسدها ويتدحرج على الشارع وسط صراخ بعض الممرضات اللاتي رأينها من بعيد.....

****

الفصل الخامس

انـــدفعت عســـل كـــالبرق ناحيـــة آدم الـــذي يســـتلقي علـــى الســـرير ليـــريح جســـده قبـــل مجـــيء نـــور وصـــرخت بـــه بطريقـــةٍ أفزعتـــه: أندووومي"

-ألا لعنـــة الله علـــى أنـــدومي !! ألأا تعـــرفين طـــرق البـــاب يـــا بنـــت ! إن حُرمتُ من الخلفة سيكون بسببك!

تعالـــت ضـــحكات عســـل المـــاكرة وهـــي تقـــف أمامـــه وتـــرمش بعينيهـــا محتضـــنةً كتـــاب الرياضـــيات لـــيفهم مـــا ترمـــي إليـــه فيتبســـم بـــتهكم :هيـــا ارمشـــي بهمـــا كالمهابيـــل... مـــا أصـــلاً دروس الرياضـــيات لأختك المصون هي من أوقعتني بشباكها!

انطلقـــت ضـــحكاتٌ عاليـــةٌ منهـــا وهـــو يعتـــدل علـــى الفـــراش قـــائلاً برصـــانة: ومـــرةً أخـــرى لا تنـــدفعي بهـــذا الشـــكل دون طـــرق البـــاب وخاصـــةً عنـــدما أكـــون بمفـــردي لـــم تعـــودي صـــغيرة يـــا عســـل" زمـــت شـــفاهها وقالـــت بزهـــو : آه لـــم أعـــد صـــغيرة أصـــبحت عروســـاً و كـــالقمر, هـــل لـــديك عـــريسٌ مناســـب " رماهـــا بالوســـادة وصاح بغيظ : تأدبي يا فتاة عيبٌ هذا الحديث"

ضـيقت عينيهـا مقتربـةً منـه وأردفـت بمكـر : وغزلـك لنـور أمـامي قبـل زواجكمـا ألـم يكـن عيبـاً يـا ابـن خـالتي أم حـلالٌ عليكمـا وحـرامٌ علـي ؟! لا تظنني كنـتُ صـغيرةً حينهـا, أذكـر كـل تصـرفاتك , وخاصـةً عنـدما أخبرتهـا بأنـك تنتظـر الشـيطان بالحديقـة الخلفيـة, أنسـيت قصـة الملوخيـة بالسـكر !أم أذكرك بها"

انفرجـت عينـاه مـن حـديث هـذه الصـغيرة وصـرخ بحـدة : واللهِ لأكسرعظامك أيتها الوقحة تعالي إلى هنا!

تعالـت ضـحكات عسـل العابثـة وهـي تضـربه بكتـاب الرياضـيات و تهـرول عبـر درجـات السـلم وهبطـت إلـى الأسـفل حتـى ارتطمـت بصـدر مـراد الـذي أسـندها بيـده قبـل أن تسـقط : بسـم الله انتبهـي ! توقـف آدم علـى أخـر بضـع درجـاتٍ عنـدما رأى مـراد ليهـز رأسـه مخاطبـاً إياها:عليـكِ واحـدة... لـن أنسـى يـا عسـل وحسابك لاحقاً " تطلع به مراد وتسائل : ماذا فعلت ؟

لا شـيء مهـم لا تشـغل بالـك " ثـم أردف مخاطبـاً عسـل وهـو يتقـدم مـن مـراد ويتـأبط ذراعـه: جهـزي لنـا فنجـاني قهـوة وأحضـريها إلـى الحديقـة أيتهـا البنـت الكبيـرة , وأنـت مـراد بـك تفضل أمامي لنتحدث قليلاً"

-هل من شيء؟ تساءل مراد ليهز آدم رأسه مؤكداً: يوجد الكثير"

****

هبط الشاب من سيارته الفارهة بتؤدةٍ وتقدم ناحية الجسد الملقى على الطريق لينحني تجاهها بابتسامةٍ طفيفة ويقوم بفحصها سريعاً وهتف ببعض الذين تجمهروا حولهما: ناقلة بسرعة....هيا تحركوا"

انصاع الجميع لمطلبه ليقوم الرجل بخلع جاكيت بذلته وشمر عن أكمامه وشرع بمعاينة الجرح النازف من خاصرتها ليتنهد بعمق وهو ينحني تجاهها يتأمل وجهها ثم تمتم بصوت خفيض((أجملُ من الصورة بكثير)) حضرت النقالة فوقف مهندماًً ثيابه ليتساعدوا على رفعها وتوجه ورائهم يمشي الهوينة ناحية الإسعاف ليوقفه طبيبٌ من الكادر الطبي : شكراً انتهت مهمتك أيها السيد, ودفعه بعيداً فباغته الشاب قائلاً على الفور بمهنية:اعملو لها تصويراً مقطعياً لنتأكد أن لا كسور, يوجد جرحٌ سطحيٌ ينزف على الجهى اليمنى من خاصرتها " حدق به طبيب الطوارئ ليردف الشاب معرفاً عن نفسه : الدكتورأمير الرّيِس, المالك الجديد لهذا

المستشفى ! " رفع الطبيب حاجبيه بتعجب وأومئ له مرحباً, فقال وهو يخطو خارج قسم الإسعاف بزهو: أعلموني حينما تستيقظ" ثم تمتم يحادثُ نفسه بسخط : ليتها لقت حتفها لننهي هذه المسألة اللعينة , وخرج تاركاً الجميع بحالة صدمة بينما باشر الطبيب بعمله لمعالجة نور.

****

أومئ له مراد وسار برفقته حتى توجها ناحية الحديقة وجلسا أمام الطاولة, التمس آدم الحزن بعيني ابن خالته فانحنى بجذعه إلى الأمام قائلاً بهدوء : هذه الحياة يا مراد مجرد كتاب, غير أننا غير مجبورين على أن نعيش بين صفحاته بالترتيب, وبذات الوقت لا يمكننا اختيار الصفحة التي نرغب أن نعيشها..نفحات الحياة كالهواء الذي يهب ليقلب صفحات الكتاب بعبثية ليستقر على إحداها ارضى بهذه الصفحة من حياتك وانسى الذي جرى بباقي الصفحات الماضية, وتطلع نحو المستقبل لربما يخبئ لك الخير"

ربت مراد على كتف آدم مجيباً بابتسامةٍ طفيفة: أصبحت فيلسوفاً على آخر الزمان ! تبسم كذلك آدم وهو يرجع بجذعه إلى الخلف : ومنكم نستفيد يا قريبي"

كـان الجـو مـن حولهمـا كئيبـاً جـداً , حيـثُ تـوارى القمـر خلـف السـحب الرماديـة وأوراق الشـيرات تصـدر حفيفـاً ممزوجـاً بهسـيس الريـاح التي بـدأت تشـتدُ شـيئاً فشـيئاً قـال مـراد يحادثـه : أتعـرف... أشـعر بالسـذاجة وأنـا مـوقنٌ أن قصـتي قـد حـدثت مـع الكثيـرين, لكـن هكـذا نحـن, نظـن بـأن قصصـنا أسـطورية وهـي ليسـت إلا حكايـة وجـعٍ متكررة,آسـفٌ لقولهـا لـك أنـت تحديـداً لكني خسـرتُ خمـس مـرات بهـذه الحيـاة وبوقـتٍ قصـيرٍ جـداً, خسـرت طفلـي, خسـرت زوجتـي الصـغيرة التي أوقعهـا القـدر مـع رجـلٍ عبثي مثلـي, وخسـرت المـرأة التي أحببتهـا بكافـة جـوارحي, خسـرت عـائلتي التـي اعتبرتني المسـؤول عمـا جـرى, وخسـرتُ احترامـي لـذاتي ...هـذا الكتـاب الـذي تـتكلم عنـه ملـيءٌ بالأوجـاع والآهـات بكـل صـفحاته يـا آدم "تقـدمت عسـل وهـي تحمـل صـينية القهـوة فقـال مردفـاً وهـو يتطلـع بشـقيقته: وخسـرت للمـرة السادسـة..بأني ابتعـدت عـن تلـك الصـغيرة بوقـتٍ كـان يجـدر بـي البقـاء برفقتهـا سـنداً وعونـاً, أتـدرك مقـدار ألمـي الآن وهـي لا تبـوح لمشـاكلها سـوى لـك ولجمانـة, أتـتفهم شعور أن شقيقتك أمامك لكنها أبعد الناس عنك" !

****

طرقت الباب ودلفت قائلةً بهدوء, دكتور هشام القِ نظرةً على هذا الملف" , وضعت الملف على الطاولة أمامه ووقفت تنتظر فأشار لها لتجلس ففعلت بينما انشغل هو بقراءة ملف المريض بتمعن وتطلعت هي بكل شيٍ حولها إلا به ريثما ينتهي!

-هل ستهربين طويلاً مني ؟, تساءل هشام وعينيه لا تنزحان عن الملف الذي بحوزته فأجابت إليسا باقتضاب : لا ولمَ أهرب منك؟

هز كتفيه قائلاً بابتسامةٍ غامضة : لا أعرف صدقاً هل بيننا شيءٌ لتهربي مني !, وثبت عينيه عليها لترتبك من نظراته المتفحصة لها ، رفع حاجبه منتظرًا لتجيبه باستسلام : حسناً لربما خجلة قليلاً من التصرف الذي اقدمت على فعله"
هز رأسه متفهمًا وهو يخط على ورقة وضعها بداخل الملف و ثم اغلقه ونهض : يحتاج إلى عدة فحوصات قبل كل شيء على الغالب سيضطر لإجراء العملية، اهتمي بالموضوع واعلميني"
-حسناً " تسلمت الملف من بين يديه وغادرت بينما هو ما

يــزال يتلاعــب بــالقلم بــين أصــابعه وارتســمت ابتســامةٌ هادئــةٌ على شفاهه..

وفي غرفــة التمــريض تقــف وحيــدة وهــي تتحــدث علــى الهــاتف تهــدج صــوتها لتتنــافر دموعهــا بقهــر وقالــت راجيــة : لــن تفعلهــا ألــيس كــذلك , لا يعقــل أن تفعهــا بــي ككــل مــرة !

توقفــت إليســا عنــدما أدركــت بكــاء دلال فتنبهــت لهــا و اغلقــت الاخيــرة الخــط بعصــبية وجلســت علــى الكرســي تجهــش بالبكــاء، هرعت ناحيتها اليسا تتسائل بقلق :-ما الأمر دلال ما بك؟

-لا شـــيء اتركينـــــي رجـــــاءاً "
انحنـــت إليســـا تجاهـــا وتلمســـت كتفهـــا مواســـية: لربمـــا اســـــتطعت مســـــــاعدتك"
اكتفــت الأخيــرة ببكــاء مكتــوم وهــي تشــيح ببصــرها فنهضــت إليســا بيــأس ومــا كــدت تخطــو خارجــاً حتــى قالــت دلال بخفــوت : طردنــي مــن المنــزل، يريــدني أن اشــتري ثــوب زفــاف وســوار لعروســه الجديــدة تخيلــي ســيتزوج علــى حســابي بــل ويريــدني أن أتـــــرك المنـــــــزل "!
توقــف إليســا بصــدمة : طــردك لأجــل فســتانٍ لعروســه!!

هــزت دلال راســها مؤكــدة وضــحكة اســتهزاء ارتســمت علــى محياها لتسحب إليسا الكرسي وتجلس قبالتها :

-لا يعقــــل ان يكــــون جــــادًا، ألــــيس كــــذلك !؟

لــوت دلال شــفاهها ســاخرة : لا تــدركين شــيئاً، هــذه ليســت أول مــــرة بــــــي"

امســحي دموعــك وانهضــي الآن وســنحل هــذا الأمــر، ســتمكثين معــــــــي.

-نعــــــــم!!

نطقتهــا دلال بعــدم تصــديق لتجيــب إليســا ببســاطة: ســتمكثين معي في المنـزل، بكافــة الاحــوال والــداي مســافران إلى الخــارج "

-لــن اســتطيع يــا إليســا اعــذريني لا اريــد التســبب لــك بالمضــايقة ســأناوب هنــا الليلــة كمــا العــادة وغــداً ســأحل المشــكلة.

ربتــت إليســا علــى كتفهــا مجيبــة بابتســامة لطيفــة:على العكــس سنتســلى ســوياً، علــى الأقــل لــن ابقــى بمفــردي كــالقطط البائســة بمنزلٍ كبير"

****

شــد شــعر رأســه بعصــبية بينمــا يتصــل بهــا مــراد للمــرة العاشــرة علــى التــوالي دون اســتجابة, لــن أســتطيع صــبراً ســأذهب للبحــث

عنها" قالها آدم واندفع خارجاً وهو يكاد يفقد صوابه فلحق به مراد: سأذهب معك انتظرني.

التقى الشابان برضوان وعبير على البوابة فألقى مرادالسلام باقتضاب عليهما وأماء لعسل بألا تشعرهم بشيء فتفهمت ذلك ونظرت تجاه والدتها راسمةٍ ابتسامةً مرتجفة على شفاهها: أهلا بالعريسان" تبسمت لها عبير وقالت: إلى أين يذهب مراد وآدم؟ اندفعت قائلةً بسرعة: لمقابلة صديق سيعودان قريباً"

ونور حضرت؟ تساءل رضوان لتنظر لوالدها تجيب بارتباك: س.. ستتأخر قليلاً بالمستشفى, هيا هيا إلى الداخل, سيبدأ فيلمٌ جميلٌ بعد قليل..

****

خطى أمير بزهوٍ لا يليق سوى بمكانته ودفع الباب ثم دلف إلى مكتبه الجديد بينما توقف المالك القديم وهو يقوم بتوضيب متعلقاته بحقيبةٍ صغيرة ووالد أمير يقف بكلِ شموخٍ أمام المكتب لتتقابل عيناهما ما بين استهزاءٍ وغضب, طالت نظراتهما لبعضهما قبل أن يقول والد أمير بجدية: هل

أعجبتـك دكتـور عمـر؟ ثـم خطـى تجاهـه قـائلاً لإنهـاء دور ذلـك الأخيـر: تبـادلٌ بسـيطٌ بـالأدوار "ونفـض ذرة غبـار وهميـةٍ عـن جاكيـت بذلتـه بابتسـامةٍ هازئـة قبـل أن يلتـف خلـف المكتـب ويجلـس بأريحيـةٍ علـى الكرسـي الجلـدي رافعـاً قدميـه علـى الطاولـة ليقـول عمـر بحـدة: سـتهدم هـذا المستشـفى التـي عـلا شـأنها علـى أكتافنـا بسـبب عنـادك يـا عمـي, أعـرفُ سـبب وأخبرتـكَ مـراراً أن لا ذنـب لهـا " ارخـى والـد أميـر جسـده قـائلاً بانزعـاج: صـوتك يـوترني يـابن أخـي ,مـا ذنبـي أنـا والـدكَ احتـاجَ أمـوالاً فـي سـبيلِ تبـادلٍ لطيـف, تعـرفُ أننـا لـن نرميـكَ خارجـاً, مكتبـك سـيكون بالجهـةِ المقابلـة فـلا تعـطِ للأمـرِ أكبـرَ مـن حجمـه " شـد علـى قبضـته بقسـوة وحمـل حقيبتـه مغـادراً بينمـا توجـه أميـر بنظراتـه تجـاه والـده: ماكـان الأمـرُ يحتـاجُ كـل هـذه الدراما"

مـط الأب شـفاهه بضـيق: أخبرتـه أن يتـولى الأمـر بقرصـةٍ خفيفةٍ لها, لكنه مثاليٌ كوالده.

-يعني أنا الشيطانُ مثلاً لذلك جعلتني أعودُ مُجبراً ؟!

التمعت عينا والده وقال بصوتٍ مختنق:

-أنـــتَ صـــاحبُ حق....صـــاحبُ ثـــأر, وعليـــك أن تأخـــذَ بثـــأرك لأرتاح..

****

أطلقـــت نـــور أنـــة ألـــمٍ وفتحـــت عينيهـــا ببطـــئٍ ليتطلـــع بهـــا أميـــر راسماً ابتسامةً ودودة : حمداً لله على سلامتك دكتورة"

فركـــت نـــور صـــدغها وســـألأت بصـــوتٍ متهـــدج وهـــي تتأمـــل صـــاحب العيـــون الزرقـــاء كلـــون الســـماء : مـــا الـــذي جـــرى؟ اقتـــرب منهـــا أكثـــر هامســـاً :خطـــئٌ مقصـــود, ثـــم أردف وهـــو يثبـــت عينـــاه علـــى وجههـــا : صدمت هذا الجسد الجميل بسيارتي"

توقفـــت أنفاســـها إثـــر اعترافـــه الصـــريح ليعتـــدل بوقفتـــه قـــائلاً بمهنيـــة : لكـــن لا تقلقـــي الحمـــد لله أمـــورك بخيـــر حتـــى أنـــه بإمكانـــك مغـــادرة المستشـــفى غـــداً " ولـــم يكـــد ينهـــي جملتـــه حتـــى اقـــتحم الغرفـــة آدم الـــذي هـــرع ناحيتهـــا بلهفـــة وانحنـــى تجاههـــا بلهفـــة وأخـــذها بـــين ذراعيـــه لتســـتكين علـــى صـــدره بيننمـــا حـــدجهما أميـــر بنظـــرةٍ شـــيطانية قطعهـــا مـــراد قـــائلاً : حمـــداً لله على سلامتك نور, أقلقتنا جداً"

قبلها مراد من جبهتها لتردف بابتسامةٍ هادئة عكس الرعب الذي دب بأوصالها من هذا الرجل الغريب ذو الصراحة الفجة ! : أنا بخير الحمد لله " تنبها لأمير الذي يقف على الجانب الآخر من السرير وهو يتألق يرتدي بذلةً سوداء ليسأل مراد : عفواً لكن ... من أنت ؟

أجابه أمير باقتضاب وهو يتطلع ناحية آدم : دكتور أمير " ضيق آدم نظراته ففهم الأخير مقصده قائلاً بصلابة : اليوم الأول لي بالعمل هنا "ثم أردف وهو يثبت نظراته الثاقبة عليها : حمداً لله على سلامتكِ مرةً أخرى" وغادر وسط نظراتها القلقة منه"

****

دلفت إليسا إلى الفيلا تتبعها دلال بارتباك فقالت لتزيل التوتر عنها : نورتِ الفيلا صديقتي.. أخيراً هنالك صوتُ نفسٍ آخر سيشاركني المكان " تبسمت دلال وهي تتطلع حولها بانبهار على الثراء الفاحش التي تتنعم به إليسا, جلست الفتاتين على الأريكة لتقول دلال بتعجب : ألا تخافين العيش وحدك ؟ هزت رأسها مجيبة : حسناً لستُ وحدي بالمعنى

الحرفي, مـدبرة المنزل هنـا لكـن علـى الأغلـب وكمـا تعلمـين أنـا أتأخر فأتناول طعام العشاء وأغط بعدها بالنوم"

خلعـت دلال حجابهـا وفـردت شـعرها الطويـل وهـي تـدلك رقبتهـا :هذه هي حياة الكادر الطبي, عملنا بجدٍ اليوم, أنا مرهقة"

هيـا إذن سـأدلك علـى غرفتـك, قـد قامـت المـدبرة بتنظيفهـا تعالي معي غيري ملابسك ريثما يجهز العشاء"

-لا رجاءاً لا اريد سوى النوم"

وتبعتهـا لتصـعدا درجـات السـلم حتـى توقفـت اليسـا أمـام إحـدى الغـرف : تفضـلي هـذه هـي غرفتـك, وتلـك التـي علـى يمينـك غرفتـي, سـتجدين ثيابـاً نظيفـة ومنشـفة إن رغبـت بأخـذ حمامٍ قبل النوم, وإن احتجتِ إلى شيْ أبلغيني"

تبسـمت لهـا دلال مجيبـة: أشـكرك فعـلاً يـا إليسـا" ثـم أردفـت : مـا إن أجـد شـقةً ملائمـة سـأنتقل فـوراً إليهـا, هـاهو سـيتزوج وأنـا متأكـدةٌ بـأن تلـك الحربـاء سـتحيل حيـاتي إلـى جحـيم وسيطردني مجدداً"

رسـمت إليسـا ابتسـامةً لطيفـة علـى ثغرهـا : لا تفكـري بشـيءٍ الآن, خـذي قسـطاً مـن الراحـة وغـداً نـتكلم بأريحيـة ونـرى مـا

علينا فعله, لكن لا تفكري بيومٍ بأنني أتضايق من وجودك على العكس.

أومأت سها شاكر ودلفت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها بينما توجهت إليسا لغرفتها لتستبدل ملابسها"

وتوقفت بعدها بشرفتها تتأمل نجوم السماء الصافية, أخذت نفساً عميقاً وأغمضت عينيها بآلامٍ لم تمحى آثارها عنها, ندت دمعةٌ منها وهي تفرك ساعديها بكفيها وعادت بذاكرتها لأيامٍ قضتها مع ذلك الجلاد الذي ضيع بأنانيته مشاعر الحب الأول الذي استوطن قلب مراهقةٍ عشقت الشوكولاه والألعاب ...وعشقت من ظنته فارسها القوي مراد ! حبٌ على الرغم من عدم توازن كفتي ميزانه إلا أنها لم تستطع التخلي عن ذكراه القاسية, بقدر حبها الطفولي له, تكرهه, وتكره ضعفها تجاهه, عيناه السوداوان الحادتان, رائحة عطره التي تتغلغل بروحها, وسامته, وخيانته القاتلة لها! غرس سكيناً بصدرها ببطئٍ وهو يتطلع بها بنظرات مكر .. صار يغرسه أكثر فأكثر وهي تتشبث به أكثر ! لكنها أقسمت منذ ذلك الحين ألا تضعف مجدداً أمامه أو أمام حب أي رجلٍ كان, فبالنهاية هم مجبولين على الخيانة"

جفف جسده بالمنشفة بعد خروجه من الحمام وارتدى بنطال منامته واستلقى على السرير, يقولون أن الحياة بلا حب كقصرٍ موحش, الحب هو بسمة الحياة, هو هذا النور الذي يشع ليبدد العتمة التي تلتهم الروح, لكن عشقه لإليسا لم يزده إلا أوجاعاً مذ عرفها وعرف الحب لم يذق طعم النوم الهانئ, لم يذق سوى الصد والأرق, اغمض هشام عينيه ونظراتها لا تغادر تفكيره, اللون اللوزي الذي سرق روحه ونهش بقلبه دون رحمة, فلترحمه وترحم قلبه العاشق بات يلاحق طيفها حتى بداخل أحلامه, تردد قليلاً قبل أن يتصل بها ... لينتشلها من شرودها بشرفتها, وضعت كوب الشاي على المنضدة بجانبها وأجابته باستغرابٍ لاتصاله بهذا الوقت المتأخر :

-ألو" نطقتها ليغيب عن هذا العالم لثوانٍ وهو يستمع لبحة صوتها الفاتنة مجاهداً لإخفاء صوت ضربات قلبه ويقول بمرحٍ كعادته : كيف حال طبيبتنا النشيطة.

****

الفصل السادس

توقــف أميــر أمــام مرآتــه ذات الإطــار المزخــرف المــذهب وهــو يتطلـــع بثبـــات ولـــون البحـــر الهـــائج يتـــدفق مـــن حدقتيـــه الواســـعتين, بلـــل شـــفاهه بلســـانه وبســـمة جبـــروتٍ زائـــف ارتســـمت علـــى محيـــاه, كـــم المظـــاهرُ خادعـــة!! همـــس وحـــدق مطـــولاً بمرآتـــه التـــي تنقـــلُ صـــورته أو الصـــورة التـــي أصـــرَ والـــده علـــى رســـمها طيلـــة ســـنوات, كالماريونيـــت قـــام بتشـــكيل شخصـــيته والآن حـــان وقـــتُ اللعـــب الجـــدي كمـــا زعـــمَ والـــده, ...حســـناً فلنلعـــب وبعـــدها ســـيكونُ كُـــلُ شـــيءٍ بخير,كـــان يحـــادث نفســـه وعقلـــه محشـــوٌ بالتســـاؤلات والحُجـــج الواهيـــة, ونـــور مـــا تـــزال عيناهـــا تعصـــف فـــي مخيلتـــه عنـــدما فتحـــت أهـــدابها ليفتـــك بـــه نهـــر العســـل المطـــل مـــن حـــدقتيها هـــل سيســـتطيعُ فعـــلاً أن يســـير بهـــذا الـــدور الـــذي رســـمه لـــه والـــده؟, هـــل ســـيقدر علـــى أذيـــة تلـــك البـــراءة؟ ..(اللعنـــة) تمـــتم بتلـــك الكلمـــة بحقـــدٍ وهـــو يعقـــد ربطـــة عنقـــه بقـــوة.. ,رن هاتفـــه ليتطلـــع بالشاشـــة ويزفـــر بازعـــاج قبل أن يرفعه على أذنه مجيباً:

_ سأقوم بكل شيٍ على أكمل وجه لا تقلق.

ألقى كلماته المقتضبة وارتدى جاكيت بذلته الرمادية وخطى خارجاً من المنزل, طوال سنواتٍ وهو لعبةٌ بيد والده يديره كيفما يشاء, ادرس الطب, تخصص بالجراحة, سافر , ارجع, سأزيد أسهمنا بالمستشفى وستصبحُ االمدير....وهو ينفذُ ما يقوله والده بقبولٍ واستسلام لأنه يعرف أن والده يقوم بصقله ليؤمن مستقبله, لكن طلبه الأخيرُ كان مخيفاً جداً, ولا ينكرُ هذه اللحظة أنه خائفٌ جداً من التنفيذ.

***

فتحت عيناها العسليتان على صوت همهماته الخافته عبر الهاتف, تنبه على استيقاظها فاستأذن لإغلاق الخط ثم قال باسماً : صباحُ الخير,هل تشعرين بالتعب؟.

اعتدلت وهي تهز رأسها بنفي : على العكس أنا بخير أخبرتك بذلك سابقاً لكنك أصريت على أن أقضي الليلة هنا.

-ألاتريدين مني الإطمئنان عنكِ, يكفي أننا لم نخبر والديكِ بالأمر,حسناً ريثما تتجهزي سأحضر القهوة وأعود سريعاً,اتفقنا"

هـزت رأسـها باسـمةً ونهضـت لتتجهـز، وصـل أميـر لتـوه وارتـدى مئـزره الطبـي الـذي أضـفى لـه هيبـةً ورونقـاً خاصـاً, خطـى خارجـاً مـن غرفتـه الخاصـة والتقـى بـآدم فـي طريقـه ليدحجـه نظـراتٍ شـيطانيةٍ لـم يتنبـه عليهـا آدم, وأكمـل طريقـه ناحيـة غرفتهـا, كانـت قـد ارتـدت حجابهـا للتـو لتسـمع صـوت انفـراج البـاب فاعتقـدت أنـه آدم لتقـول ضـاحكة وهـي تـدير ظهرهـا وتغلق الحقيبة التي على السرير: ما الذي نسيته هذه المرة ؟"

-نسـيت أن آخـذك معـي" صـدمها ذلـك الصـوت الغريـب الواثـق لتسـتدير بهلـع وتـرى أميـر خلفهـا مباشـرةً, كـادت أن تصـرخ لكنـه اغتـال كلماتهـا وهـو يسـد فمهـا بيديـه ويهمـس بصـوتٍ كـالفحيح:
_لا أحب الصوت العالي .....حمداً لله على سلامتكِ دكتورة.

نظـرت لـه بارتبـاك وعينـاه الماكرتـان تتسـعان كدوامـةٍ غريبـة, سـحرتها عينـاه الماكرتـان ليتبسـم لهـا ابتسـامته الفتاحكـة ويتركهـا لتهتـف بـه بتـوجس:
_من أنت, ماذا تريد مني ؟!

ابتعـد عنهـا قلـيلاً قـائلاً وهـو يعبـث بجيـب مئـزره : طبيـبٌ بغرفـة مريضته ما الذي يريده برأيك, سأفحصك.

أدار جهتها ناحيته ليقوم بتفحص الجرح الطفيف لكنه ضربت يده بقبضة يدها بعنف وهتفت محذرة: _سأكسر هذه الذراع إن مددتها مجدداً, وانظر أني إلى الآن لا أعرف من تكون وما الذي تريده مني... لكن تأكد بأني سأخبر السيد عمر ليطردك خارج هذه المستشفى حتى و لوانتقلت حديثاً"

تعالت ضحكاته الهازئة ثم قال مداعباً : شرسةٌ أيتها الطبيبة...وأنا أحب الشرسات, نلتقي إذن بمكتب السيد عمر " قالها وغمز لها بعينه ثم انصرف لتتطلع بهذا الطبيب الغريب ولا تدري هل لها أن تخبر مدير المستشفى عن تصرفاته, أو هل تخبر آدم!! لكنها تعرف آدم وجنونه حينها لن يتوانى عن العراك معه, بل لن يستمع لها لتكمل كلماتها.

نفثت بضيقٍ وخطت إلى الخارج لتلتقي بآدم كي تخرج من المستشفى وتستبدل ملابسها.

****

طرقت عسل باب مراد الذي انشغل بحاسوبه بداخل غرفته ولم يخرج بعد للشركة, جلى صوته ودعاها للدخول لتدلف وقد بدأت فعلاً تشعر بذلك الجرح الذي يغتال شقيقها

بعدما عرفت حقيقة مشاعره لجمانة, وسبب سفره الرئيسي, تبسمت له بلطافةٍ غير مسبوقة وهي تحمل له فنجاناً من القهوة تعجب من ذلك فهي لم تفعلها سابقاً لتتسع عيناه بذهول

-تفضل, حضرته لك" تناول الفنجان منها باسماً وقال يمازحها : هل به شيٌ ما....سمٌ مثلاً ؟

تعالت قهقهاتها قائلةً بعتاب : سامحك الله , ألا يحق لي تدليل أخي الكبير"

جلست بجانبه ليمسح على شعرها فأردفت بقلق: اصطحبني لمنزل نور أنا قلقةٌ عليها جداً"

لا عليكِ إنها بخير, ستأتي اليوم مساءاً, جيدٌ أنكِ لم تخبري والدتك بشيْ كيلا تقلق"

-هل عرفت من صدمها بسيارته؟

-سيارةٌ تحركت فجأةً وهي لم تنتبه لها وعبرت بسرعة فصدمتها, لكن الحمد لله الصدمة خفيفة

تراها كانت تتحدث بالهاتف فهي دائماً تشرد به " قهقهت وخرجت من الغرفة لتستعد للذهاب إلى مدرستها فقال مراد وهو ينبهها :

-لا نريد مشاكلاً اليوم يا عسل اتفقنا"

هزت رأسها وأشارت له تحيةً عسكرية : أمرك سيدي لن أتشاجر اليوم ولأجلك فقط"

وبعد نصف ساعة كانت عسل تجلس بجانب مراد ليقوم بإيصالها إلى مدرستها..فقال بتصميم:

-بالمناسبة وضعت إعلاناً بمكتب التوظيف ليؤمنوا لنا سائقاً, و لا أريد نقاشاً بهذا الموضوع مجدداً

-هووووف " زفرت بحنقٍ ليردف بتحذير

-وإن سمعت بأنك ضايقتِ السائق الجديد لن أتساهل معكِ هذه المرة, لستُ متفرغاً لإيصالك كل يوم.

****

أخـــذت اليســـا حمامـــاً ســـاخناً قبـــل أن تتجهـــز وتخـــرج برفقـــة دلال مـــن المنـــزل متجهتـــين إلـــى المستشـــفى...كان هشـــام خارجـــاً مـــن الـــرواق حينمـــا شـــاهدهما تســـتعدان للـــدلوف إلـــى المصـــعد فتعلقـــت عينـــاه عليهـــا وأومـــئ لهـــا إيمـــاءةً بســـيطةً مـــن بعيـــد لتبادلـــه ابتســـامةً خفيفـــة قبـــل أن تغلـــق بـــاب المصـــعد لتتطلـــع بهمـــا دلال بقهـــرٍ ابتلعتـــه وعيناهـــا اغرورقتـــا دمـــوعٍ حاولـــت وأدهـــا أمام إليسا...

عـــدة ســـاعاتٍ مـــرت كـــلٌ مـــنهم منشـــغلٌ بعملـــه حتـــى تعـــالى صـــياح أحـــد الرجـــال وهـــو يقـــتحم غرفـــة الممرضـــين, ومـــا إن رأتـــه دلال حتـــى شـــحب وجههـــا , تقـــدم والـــدها الســـكير قـــائلاً بصـــراخ : أيتهـــا الوقحـــة أيـــن قضـــيتِ الليلـــة هاه....تريـــدين إلحـــاق العـــار بعائلتنـــا يا عديمة الشرف..

تطلعـــت الممرضـــات بـــدلال التـــي انســـابت دموعهـــا أمـــام والـــدها الـــذي اشـــتد صـــراخه عليهـــا واتهاماتـــه الباطلـــة لتهـــرع إحـــدى الممرضـــــــــــات لإعـــــــــــلام أحـــــــــــد المســـــــــــئولين, كفـــى " صـــرخت بهـــا دلال وقـــد انســـابت دموعهـــا بقهـــرٍ وهتفـــت بـــه : اكتفيـــت مـــن كلماتـــك... ألـــم تطردنـــي أنـــت مـــن المنـــزل كالعـــادة لأجل عشيقتك اللعينة!! الآن لتذكرت أن تسأل عن ابنتك..

_أتـــرفعين صـــوتك يـــا فـــاجرة!! ظننتـــكِ ســـتمكثين بالمستشـــفى كعادتـــك لا أن تـــذهبي والله يعلـــمُ أيـــن قضـــيتِ ليلتـــك !!" زمجـــر والـــدها ورفـــع يـــده ليهـــوي بهـــا عليهـــا لكـــن كـــف أحـــدهم قامـــت باعتصـــار قبضـــته ليرفـــع الرجـــل عينـــاه الـــزائغتين ناحيـــة هشـــام الـــذي حضـــر لتـــوه وقـــال بهـــدوء: -مشـــاكلك العائليـــة أيهـــا الســـيد تحلها بمنزلك, أنت هنا بمستشفى محترم"

زمجـــــر الرجـــــل بغضـــــبٍ وهتـــــف بحـــــدة :
_لا تتدخل أنت ...أبٌ يربي ابنته.

شـــعرت دلال بـــألمٍ كبيـــر بفؤادهـــا مـــن هـــذا الخـــزي الـــذي تعرضـــت لـــه مـــن والـــدها أمـــام هشـــام حينمـــا أردف والـــدها بغبـــاء : الله يعلـــم أيـــن قضـــت تلـــك الفـــاجرة ليلتهـــا "
تطلـــع حينهـــا هشـــام بـــدلال بتفـــاجئ فأنكســـت رأســـها أرضـــاً حتـــى قالـــــت إليســـــا مـــــن خلفهمـــــا بحـــــدة :
-لقـــد استضـــفتها بمنزلـــي أيهـــا الســـيد, ابنتـــك لـــم تخطـــئ بشـــيء أنـــت من طردتها البارحة وقد سمعتك"

أفلـــت هشـــام قبضـــة الرجـــل الـــذي اســـتدار ناحيـــة إليســـا وهـــو يتطلـــــــــــــع بهـــــــــــــا باســـــــــــــتهزاء :

_واللهِ شـــيءٌ جميـــل ! لا ينقصـــنا ســـوى شـــبهاتك لتحـــدد أن ابنتـــي أخطأت أم لا"

صرخت به دلال برجاء : يكفي...يكفي أبي..أرجوك.

اشـــتدت شـــهقاتها الباكيـــة لتتقـــدم منهـــا إليســـا بثبـــات وتقـــول لوالـــــــــــــدها:

-اســـمعني جيـــداً, أنـــا إلـى الآن أحتـرم كونـك رجـلاً كبيـراً بعمـر أبـــي, دلال بالغـــةٌ وراشـــدة لا يحـــق لـــك إهانتهـــا بهـــذا الشـــكلِ علـى الملأ

_أيتهـــا اللعينـــة !! نطقهـــا والـــد دلال وهـــم بالانقضـــاض علـــى إليســـا لكـــن جســـد هشـــام الـــذي ظهـــر فجـأةً أمامـــه منعـــه مـــن ذلـــك :
_هيمـي هيمـي مـــا الـــذي تحـــاول فعلـــه, هيـــا اخـــرج قبـــل أن نطلـــب الأمن"

تعـــالى زئيـــر الرجـــل وهـــو يتوعـــد مهـــدداً حتـى اجتـره عنصـــرا الأمـــن خارجـــاً لـــتجلس دلال علـــى الكرســـي وتغطـــي وجههـــا باكيـــةً بقهـــر لتنحني تجاههـــا إليســـا وهـــي تربـــت علـــى كتفيهـــا: لا تقلقـــي أنـــا معـــكِ ولن أتركك"

شـكرا" قالتهـا دلال باكيـة وهـي تحتضـن اليسـا التـي ربتـت علـى ظهرها مواسية قبل أن تقول بهدوء:

- ارتاحي الآن وسنرى ما علينا فعله"

وغـادرت اليسـا غرفـة التمـريض برفقـة هشـام، توجهـا إلـى المصـعد فهمـس لهـا : لـم يكـن يجـدر بـكِ التـدخل بشـجارٍ مـع ذلك السِكير، كنتِ ستتعرضين للأذى"

-ولمَ تدخلت أنت!

-تسـاءلت وهـي تحدجـه بتلـك النظـرات التـي تفتكـان بضـربات قلبـه لتتهـاوى وأجـاب بهـدوء :

-أنا رجل أستطيع مجابهته إن تطلب الأمر"

-الدفاع عن الظلم، لا يفرق بين رجلٍ وأنثى دكتور هشام.

-أنثى!.... وما أجملكِ من أنثى.

-هشاااااام "!!

وصـل المصـعد للطـابق الثالـث فسـار بجانبهـا يلقيهـا بنظـراتٍ عابثـةٍ وهـو يتمـتم:

-أحبكِ جداً ....وأعرفُ أن الطريق إلى المستحيلِ طويلُ

-عفواً !!

تســـــاءلت باســـــتغراب ليضـــــحك قـــــائلاً :

_أغني... هل ممنوعٌ أيضاً!

ضـحكت وسـبقته بخطواتهـا إلـى المسـتودع لتحضـر مسـلتزماتها قائلة :غني...لا يمنعك أحد.

دلــف ورائهــا وارتفــع صــوته مجــدداً وهــو يبحــث كــذلك عــن الأدوات الطبيـــــــة لتســـــــمعه يدنـــــــدن : أحبكِ جداً .....وبيني وبينك ريح،وبرقٌ وغيمٌ ورعدٌ وثلجٌ ونار..

تحاشــت كلماتــه وهــي ترتــب قطــع الشــاش بالصــندوق فــأردف وقد وضع صندوقه كذلك ليعبئه:

_أيــا مــن حميتــك بالصــبر مــن قطــرات المطــر أحبــك جــداً .... واعرف أني أسافر في بحر عينيك دون يقين.

تعالــت ضــحكاتها هــذه المــرة وهــي تغتــال كلماتــه: -صــوتك بشــع، سيصيبني تلوثٌ سمعي. !

شـــرد بضـــحكاتها واســـتند بكفيـــه علـــى الطاولـــة ممـــيلاً بجذعـــه ناحيتـــــــــه وأردف:

-وأترك عقلي ورأيي وأركض..أركض..خلف جنوني.

أيــا امرأة..تمســك القلــب بــين يــديها ســألتكِ بــالله ..لا تتركينــي.... لا تتركيني.. فما أكون أنا اذا لم تكوني..

ارتبكــت هــذه المــرة فعليــاً مــن نظراتــه وكلماتــه فقالــت بلعثمــة وهـــــي تتهـــــرب مـــــن نظراتـــــــه :

_هشام !! كف عن ذلك"

تبســـــــم ابتســـــــامةً لطيفـــــــة مجيبـــــــاً بهـــــــدوء :

-أأكفُ عن الغناء !أم عن الغرقِ بعينيكِ"

انفرجــت عيناهــا بصــدمة مــن كلماتــه لتتمــتم وهــي تهــرب منــه : مــا بك اليوم بحق الله !

فأردف وهو يحمل الصندوق ويلحق بها باسماً يكمل أغنيته :

-أرفـــض مـــن نـــار حبـــك أن أســـتقيلا .....وهـــل يســـتطيع المتـــيم بالحــــــــــــــــب أن يســـــــــــــــــــــتقيلا....؟

ومــا همنــي..ان خرجــت مــن الحــب حيــاً ومــا همنــي إن خرجــت قتيلا..

عضــت علــى شــفاهها بغــيظٍ لتضــع الصــندوق علــى الطاولــة الأخــرى بجانــب البــاب وتلتفــت ناحيتــه محــذرة وهــي تشــير لــه بإصبعها: -اعتقني...أتفهم صوتك بشع"

زاغــت عينيــه عليهــا ليــردف هامســاً وقــد تعاظمــت حــدة ضــربات قلبه:

-أحبك جداً..وجدًا .....وجداً.

تملكهــا الخجــل لتســتدير عنــه وهــي تتمــتم((لا إلــه إلا الله جــن دكتــور هشــام. !!!)) أخــذت الصــندوق وغــادرت أمــا هــو فرجــع خطــوتين إلــى الــوراء لــيجلس علــى الكرســي ومــا يــزال حــاملاً الصــندوق بــين يديــه... أغمــض عينيــه وقــد ســمع صــوت ضــربات قلبــه تتعــاظم حــدتها داخــل صــدره فلطــم صــدره بأصــابعه قــائلاً بارتبــاك وهــو يخاطــب قلبــه: كــف عــن ذلــك يــا أحمق...ستفضحنا أمام خلق الله"

****

الفصل السابع

-كثيراً ما كنتُ أتعرضُ للتعنيفِ منه, كانت ضرباته تنهال على كل موضع بجسدي، تألمت وصرخت حتى كف جسدي عن الشعور بضرباته يا إليسا، ولأمي يرحمها الله نصيب من جنونه, لكن لعلها ارتاحت منه ومن تصرفاته...

قالتها دلال وهي تجفف دموعها حينما كانت تجلس برفقة إليسا بصالة الفيلا، تطلعت فيها إليسا بألم مؤيدة:

-أوجاعنا لا يشعر بها سوانا"

حدجتها دلال نظرة استنكار وتساءلت : وهل أنت ممن يتألم !

شردت بها بدموع تحجرت بمقلتيها ثم وقفت : هل لأني اسكن بفيلا مثلا! دكتورة ! والداي يعطونني حريتي بنظرك !؟ ضربت على صدرها وقالت بألم: لا تعرفين شيئاً عن ماضي ...لا تدركين كم تألمت سابقاً، كم بكيت ...كم صرخت وتملكتني أوجاع لم ولن تشفى من روحي, لكن هذه هي نتيجة أن تثق بأحدهم ثقة عمياء... وبالنهاية ستحصل على نتيجتين، إما شخص مدى الحياة أو

درسٌ مـــدى الحيـــاة.... وأنـــا لطمنـــي ذلـــك الـــدرس بقـــوة . ضـــربني بقســـوة بالكـــاد خرجـــت منهـــا بدراســـتي ....بعملـــي وقـــوتي وبإيمـــاني بأن الغدَ أفضل.

نهضـت دلال ناحيتهـا بخجـل : يـاااه يـا إليسـا ! مـا الـذي تحملينـه بقلبـك، احكـي لـي , لـن أسـاعدك حتمـا, لكنـي سأسـتمع لـك، سـتر تاحين إن شـاركت أحـدهم همومـك.
لاحـت ابتسـامة سـاخرة علـى شـفاه إليسـا واجابتهـا : ومـا الـذي سـأحكيه يـا تُـرى !؟ هـذه الحكايـةُ التـي مـررتُ بهـا لـن تجـرح سـوى قلبـي، لـن تشـعر بهـا سـوى روحـي حتـى لـو حكيـتُ لـن تفهمـي مـا مررتُ به.

تمسـكت دلال بيـدها ر اجيـة: احكـي لـي, لعلـكِ تـزيلين عبئـاً عـن قلبك"

ارتدت اليسا جالسةً على الأريكة وأجابت ساخرة:

-هـل أحكـي لـك عـن والـدي الـذي بـاعني لرجـل يكبرنـي بخمسـة عشـر عامـاء مقابـل اسـهمٍ بشـركة العـريس الثـري !
هـل أحكـي لـك عـن مشـاعر مراهقـةٍ سـاذجةٍ تبرعمـت علـى يـدي مـن أخبرونـي بأنـه زوجـي المسـتقبلي! ، شـكّلها علـى هـواه ورسـم

تفاصـــيلها وشخصـــيتها كمـــا يرغـــب هـــو، وكـــأنني مجـــرد عجينـــة صلصـــالٍ يشـــكلها كيفمـــا يشـــاء!

إليســـا لا ترتـــدي ذلـــك الثوب....فتقـــول إليســـا حاضـــر.

اليســـا ابتعـــدي عـــن صـــديقتك تلـــك لـــم أحبها....فتجيـــب اليســـا حاضـــــــــــر.

اليســـا ســـنتزوج بعـــد شـــهر... اليســـا مُستســـلمة لقراراتـــه

إليســـا لـــن تكملـــي دراســـتك حاليـــاً، لا تحتاجينهـــا، لـــن تخرجـــي إلا برفقتـــــي ...لـــــن ولـــــن..

وتقول إليسا الغبية لفارسها القوي حاضر وحاضر...

ثـــم تنهـــدت و أردفـــت بقهـــر : ومـــا إن أبـــوح لوالـــدتي تقـــول لـــي اصبري...هذه طباع الرجال ..المهم نفوذه، سلطته، ونقوده"

تملكـــت عينـــاي غشـــاوة طيلـــة ســـنوات خطـــوبتي وزواجـــي منـــه، كـــان يخـــونني , بكـــل وقاحـــة يـــذهب مـــن امـــرأة لأخـــرى وأنـــا كالبلهـــاء أتـــراقص فرحـــاً لأنـــه اشـــترى لـــي ألـــواح الشـــوكولاه المفضـــلة لـــدي، أو ذلـــك الفســـتان الـــذي أعجبنـــي, أو أخـــذني إلـــى الملاهـــي! أتـــدركين كم كنتُ غبيةً وساذجة!

صـــدمت دلال مما ســـمعته وقالـــت بلعثمـــة : كم...كـــم كـــان عمــــــــــــــــرك حينمـــــــــــــــا تزوجـــــــــــــــتِ ؟

-سبعة تقريباً عشر عاماً و تطلقت بعدها بعامين.

صـــمتت قلـــيلاً تســـتجمع شـــتات نفســـها وذكريـــاتٍ عـــادت فجـــأةً لـــتحط أمامهـــا فقـــدمتها لـــدلال دون تزييـــف, فعـــلاً كانـــت حينهـــا تحتاجُ من تحكي له, عل الحديث يريح نفسها, أردفت:

-كرهـــت نفســـي والجميـــع, حتـــى والـــداي لـــم يكـــن لـــي رغبـــةٌ بـــالمكوث بينهمـــا فســـافرت لعمـــي فـــي دبـــي, علمنـــي عمـــي رحمـــه الله الكثيـــر, جعلنـــي قويـــة, أكملـــت دراســـتي بتشـــجيعٍ منـــه..تخرجت ورجعـــت بعـــد وفاتـــه لأجابـــه مخـــاوفي مـــن جديـــد..لأثبت لمـــراد وللجميـــع أن اليسا أصبحت امرأةً أخرى لم تعد تلك الصغيرة الساذجة.

أرجعـــت رأســـها إلـــى الـــوراء وأغمضـــت عينيهـــا بينمـــا اكتفـــت دلال بالصـــمت وهـــي تحـــدق بوجههـــا الـــذي اكفهـــر وقلبـــت معالمـــه، رن هاتف اليسا لتتطلع فيه وتتبسم بسخرية,

-من؟ تساءلت دلال لتجيبها بلا مبالاة: دكتور هشام.

رفعت اليسا الهاتف لتجيب بينما عبثت دلال بفستانها تدعي اللا مبالاة مع أنها تُكوى من الداخل واستمعت لحديثها العادي معه حتى تنبهت عليها تقول:

-لا أريد هشام لا رغبة لي بالخروج"

-لكن....حسناً سأسألها"

تطلعت اليسا بدلال لتقول لها: يدعونا لتناول العشاء خارجاً"

شعرت دلال بالقهر لأن الدعوة ليست لها بل هي جسرٌ سيخطو عليه للوصول لمبتغاه, قالت بابتسامة هادئة:

-لنخرج ونتسلى قليلاً"

أجابته بالموافقة على مضض فنهضت دلال ناحيتها لإزاحة الغم عن قلبيهما و تابطت ذراعها قائلة بابتسامة : دعوته جاءت بوقتها...بدلاً من هذه التراجيديا السوداء التي أغرقتنا بها !! .كلمة أخرى و كنت سأقفز من الشرفة وانتحر!

تطلعت بها اليسا شذراً ثم تعالت ضحكات الفتاتين وتوجهتا إلى الغرف لاستبدال ملابسهما للخروج.

****

بفـيلا المنصـور تجلـس عسـل ونـور ووالـديها برفقـة آدم، انضـم لهـم بعـد دقـائق مـراد الـذي دلـف لتـوه مـن الخـارج حيـث تـأخر بالشـركة مسـاء الـورد ...لأجمـل اخ بالـدنيا "
قالتهـا نـور وهـي تنـدفع تجـاه مـراد فانضـمت لهـا عسـل بعـد ان شـعرت بـالغيرة، لتحتضـنه كـذلك وهـم يسـيرون ليقهقـه آدم قائلا:

-ستصـبح جلـيس أطفـال يـا ابـن خـالتي.
مـدت عسـل لـه لسـانها مشاكسـة وهـي تقـرص ذقـن مـراد: قـل أنـك تغـار مـن أخـي الوسـيم, أم تريـدُ حُضـناً كـذلك "
رفـع حاجبيـه وقـال ضـاحكاً :
-أغار لأنني لم احتضن بابا مراد...ضاع عمري فعلا! !؟

-والله إنكَ طفل أكثر من عسل"

رن جـرس البـاب هـذه اللحظـة فانـدفعت عسـل ناحيتـه :
_إنـه كرومـي حتمـا "أنكـس مـراد رأسـه إلـى الأرض بانزعـاج لتربـت نور على يده بعدما تنبهت له.

التفـت مـراد عنـدما دلـف كـريم ليتطلعـا ببعضـهما نظـراتٍ طويلـة بينمـا توجهـت جمانـة لتلقـي السـلام علـى الجميـع غيـر مـدركين لهيـب النظـرات المطلـة مـن عينـي كـريم ومـراد, افلـت الصغير والده و ركض مبتهجاً : عمو ملاد..

تلقفـه مـراد بـين ذراعـه قـائلاً بلهفـة : أهـلاً بقلـب عمـو مـراد, كيف حالك يا بطل؟

-أنا بخيير اشتقت لك جداً"

تبسـم مـراد وقبلـه قـائلاً : وأنـا اشـتقت لـك جـداً جـداً جـداً" تجاهله كريم متوجهاً بسلامه للجميع ثم انضم يجلس بينهم.

****

نهـض هشـام مـن علـى الكرسـي حينمـا دلفـت ملكـة قلبـه لـداخل صـالة المطعـم لتتعلـق عينـاه علـى سـطوتها التـي تجبـر قلبـه علـى التنـاطح بـداخل صـدره, لتلـك المـرأة فعـلاً تـأثيرٌ سـحريٌ عليـه, ألقـت إليسـا السـلام وكـذلك فعلـت دلال وجلسـتا علـى الطاولـة, تطلعـت اليـه دلال فـلأولِ مـرةٍ تـراه متأنقـاً بهـذا الشـكل,أزاحت ببصرها عنهما وصارت تعبث بطرف حجابها.

-جيدٌ أنكِ أقنعتِها بالخروج, لم تفعلها سابقاً" قالها هشام باشاً وهو يتطلع ناحية دلال بامتنان فأومأت له دون أن تتنبه عليها أليسا وقد عرف كيف يرضخا للخروج لتجيب اليسا بهدوء:ولولاها تعرف بأني لن أفعلها أبداً"

حدق فيها نظراتٍ مطولةٍ من رسائلها المباشرة وغمغم : من يعرف, الزمن يغير كل شيْ أليست هذه قاعدتك الأزلية"!
-نعم ...لكن لكل قاعدةٍ شواذ دكتور هشام"

عقد ذراعيه ببعضهما وقال بابتسامةٍ هادئة : وكما العادة هذا هو الأسلوب السائد بالنسبةِ لكِ وقد لايكون صحيحاً..

لاحظت دلال أضطراب الأجواء فاندفعت بالحديث لتزيل التوتر عنهما على الرغم من سهام اللهيب التي تخترق صدرها لكنها عافرت للسيطرة على أنفاسها واضطرابها أمامه, صحيحٌ انها غيرُ مرحبٍ بها بالنسبة إليه, بل لا يعتبرها أساساً بل مجرد جسرٍ خطى فوقه وسحقه بقدميه لكنها كانت فعلاً بحاجةٍ لاستنشاقِ هواءٍ نظيف...تطلعت على هاتفها قائلةً باندفاع: اعذراني يجب أن أغادر حالاً"

نهضت خلفها أليسا تتساءل بقلق : ما الأمر دلال؟

ارتبكت مجيبة...لأن..ال...أبي...أبي اتصل بي, سأذهبُ لملاقاته .

وهرولت من أمامهما لتقف إليسا بارتباكٍ من تواجدها وحيدةً برفقة هشام الذي همس بعد لحظات: تفضلي, أم لأنها اضطرت للرحيل ستغادرين فوراً.!!

تطلعت فيه بارتباكٍ وخجل وعادت لتسحب الكرسي وتجلس معه فلن يكون موقفها جميلاً إن تركته بعد هروب دلال...

تبسم وعيناه تتراقصان بشغف وهو يراقبها بصمتٍ فقد كان الأمرُ أسهلَ مما تصور, خرجت دلال تتمشى خارجاً وقد التهب الدمع بمقلتيها, حتى انهارت باكيةً على إحدى مقاعد الحديقة القريبة من المطعم وهي تعاود قراءة رسالته التي أرسلها قبل ساعات ((أقنعيها كي أستطيع مقابلتها خارجاً ولن أنسى معروفك أبداً)) رمت الهاتف بقهرٍ ومسحت آثار الدموع عن عينيها.

****

تطلـع آدم تجـاه نـور وغمـز لهـا لتـتفهم علـى الفـور وتهتـف بمـرح : هيا منذ زمنٍ طويلٍ لم نفعلها"

نهض مـراد قـائلاً ببـرود : بالهنـاء, أنـا مرهـق سأصـعد لأرتـاح بغرفتـي" تمسـكت نـور بسـاعده : لـن أقبـل أي اعتـذار, جميعنـا سنخرج.

-كـريم ...هيـا أم لـديك اعتـراضٌ أنـت أيضـاً؟ قالهـا آدم واتجـه ناحيـة كـريم الـذي ضـيق مـا بـين حاجبيـه وقـال باستسـلام : ليس لدي اعتراض.

حملـت عبيـر جـواد الـذي غفـي علـى الأريكـة لتأخـذه إلـى غرفتهـا وقالت بحنو: اذهبوا في رعاية الله سأهتم به مع عسل,

فهتفت عسل بغضب:واللهِ لن يخرج أحدٌ بدوني.

تعالـت ضـحكات آدم وهـو يعبـث بشـعرها قـائلاً : لـن يخـرج أحـدٌ بدونك طبعاً وهل نستطيع" !!

تجهـز الجميـع وانطلقـوا بسـيارة مـراد حتـى وصـلوا ناحيـة المطعم..

-ما أحلى اجتماعنا سوياً مجدداً : قالها آدم باسماً وهو يقلب نظراته مابين كريم ومراد الذي هز رأسه موافقاً بينما كريم يحوط جمانة بذراعه وكأنه يرسل تهديداً صريحاً وتأكيداً بأنها له وملكه فقط بينما مراد أحنى رأسه إلى الأسفل راسماً ابتسامةً صفراء من سخافة أفعال ابن عمه !تعالى رنينُ هاتفِ كريم فأجابه بينما انشغل مراد بالحديث مع آدم عن مشروعٍ جديدٍ لتصميم بناءٍ لشركةٍ تجارية, وانشغلت الفتياتُ بثرثرتهن المعهودة, وكما تقول عبير دوماً ...الساحراتُ الثلاث!

****

شرد هشام بها وهو يسند رأسه بكفيه وقال:

_أتعرفين أنكِ تشبهين فصول السنة"

-أنا!

هز رأسه مؤكداً وتابع:

-شعركِ كأوراق الخريف الأحمر..

رائحةُ عطركِ كزهور الربيعِ مجتمعة..

عيناكِ يحملان لهيب منتصف الصيف، لكن...

قرب يده ليلمس بأصابعه كف يدها الباردة لتسحبها فوراً فأردف بابتسامة ساخرة:

-وهكذا أنتِ باردةٌ كالشتاءِ..

ثم قرب جذعه أكثر هامساً: بل وتبدئين بإطلاق جنون عواصفك الثلجية على من يحاول الاقتراب منكِ.

صمت الجميع حينما قالت عسل بتفاجئ: أليست هذه أليسا !!

رفع الجميع أنظارهم ناحية اليسا التي احتقن وجهها بارتباكٍ من كلمات هشام فقال معقباً : هل أنا مخطئٌ بما قلته؟

حركت رأسها بارتباكٍ فهمس مجدداً : لمَ تهربين دائماً ؟!

-إنها إليسا فعلاً" قالتها نور بابتسامةٍ واسعة فنهضت برفقة عسل وجمانة ناحيتها,بينما تعلقت عينا مراد على اليسا التي تجلس ومن وجهة نظره بانسجامٍ مع هذا الرجل ! تجرأ هشام لاحتضان كفها هذه المرة بقوةٍ أكبر ليقول بهدوء: تعرفين أني معجبٌ بكِ جداً, ولن تشفع لكِ هذه المرة نظرية القاعدة

والشـــواذ, " فتبســـمت بهـــدوء وهـــي تســـحبُ كفهـــا مـــن كفـــه وبرأسها تعصف مئات الأفكار

تنبــه كــريم لنظــرات مــراد الــذي يتابعهمــا مــن بعيــد فــأطلق بســمة اســتهزاءٍ وهــز رأســه متمتمــاً بلــؤمٍ ظــاهر : تــم القصــف... و جــاري الإبادة"

اعتصــر مــراد الشــوكة بيــده وهــو يتطلــع بنظــرات كــريم الهازئــة وقــال جــازاً علــى أســنانه: اهــتم بشــؤونك وكلمــةٌ أخــرى ســتندم علــــى اليــــوم الــــذي ولــــدتَ فيــــه"
زفــر آدم قــائلاً بحــدة يخاطبهمــا : يكفــي إلــى هــذا الحــد وأنهيــا خلافكما السخيف لم نخرج لنتشاجر بل لتتصالحا!

****

-إليســا... كيــف حالــك يــا بنــت " قالتهــا نــور بمــرح لتتطلــع اليســا ناحيـــة الســـاحرات الـــثلاث وتنفـــرج عيناهـــا بتفـــاجئ, دفعـــت الكرســـي بهـــدوء واعتلـــت شـــفتيها ابتســـامةٌ ســـاحرة وعانقـــت الفتيات بلهفة.

-مــر وقــتٌ طويــلٌ جــداً..." قالتهــا جمانــة التــي رحبــت بهــا بحفــاوة لتتطلع بها اليسا وتجيب ببرودٍ لم تمانعه جمانة : معك حق.

_أنتِ عسل أليس كذلك" هزت عسل رأسها لتحتضنها اليسا بمحبةٍ وهي تقول : ما شاء الله أصبحتِ بغاية الجمال"

ثم نقلت بصرها بينهن وقالت : انه دكتور هشام , أستاذي في المستشفى.

تطلعت الفتيات ببعضهن بتفاجئ لتجيب اليسا وهي تحدق بنور : أكملت تعليمي وتخرجت من كلية الطب وحالياً متدربةً بقسم الطوارئ

-رائع..." ضحكت نور بانبهار وأردفت :

-فعلاً رائع أحسنتِ صنعاً.

أومأت لها إليسا وقالت بثبات : علينا أن نستمر بهذه الحياة.

-طبعاً, علينا أن ننسى الماضي ون نستمر بهذه الحياة "قالتها جمانة بفخر .. فكم تغيرت أليسا بنظرهن جميعاً!

انتشلهم من حديثهم صوت آدم وكريم اللذان تقدما كذلك لإلقاء السلام على اليسا بينما عقد هشام حاجبيه لتقوم اليسا بتعريفه عليهم ليرحب بهما كذلك, توقعت اليسا أن يكون مراد برفقتهم فانزاحت عيناها أرجاء الصالة حتى وقعت نظراتها على مراد الذي ما يزال يجلس على الطاولة

وهو ما يزال يعتصر الشوكة بيده كمن توقفت الحياة عنه, كان لاهثاً وراءها ليحصل على الصفح والغفران الذي أراده منها والآن حين مقابلتها كان كالأبله فعلاً!

-لا هذه تحتاج لجلسةٍ طويلة" قالتها نور ثم أردفت جمانة: انضموا لنا رجاءاً هنالك يبدوا أن الكثير قد فاتنا يا إليسا"

شعرت بالحرج فقالت جمانة بابتسامة: إلا إذا كنا قد تطفلنا عليكما وتريدان التكلم حديثاً خاصاً"

أما إليسا تناوبت نظراتها المرتبكة عليهم وعلى هشام لتقول بسرعة ربما لتهرب منه فالجلوس بينهم هذه اللحظة أهون عليها من الانفراد مع هشام : لا ..لا أبداً لا يوجد شيءٌ خاص نتكلم به, ما رأيك أن نشاركهم؟

هز رأسه بهدوء قائلاً : لا مشكلة نتشرف بمشاركتكم "مشى الجميع وقامت اليسا بتعريفهم على هشام بسرعة, ثم وصلت ناحية مراد الذي نهض ما إن وصلوا ناحيتهم فصافح هشام ليقول بثبات:

-زوجها مراد

حدق فيه هشام وشد على كفه باسما : زوجها السابق"

أومئ له : نعم السابق"

احـــتقن وجـــه مـــراد أمـــا اليســـا فجلســـت بـــلا مبـــالاة علـــى الكرســـي الـــذي بجانـــب هشـــام وتشـــاغلت بعســـل الثرثـــارة التـــي لـــم تكـــف عـــن الحـــديث لحظـــة واحـــدة عمـــا فعلتـــه طيلـــة ســـبعِ ســـنوات!.تجاذب الجميـــع أطـــراف الحـــديث وكـــلٌ مـــنهم يـــدور بفلـــك أفكـــاره العاصـــفة.... عشـــاءٌ غريـــبٌ جـــداً تنـــاولوه , وكـــأنهم يضـــعون ذكريـــاتهم علـــى أطبـــاقٍ بلوريـــةٍ تعـــري الماضـــي.. يتناولونهـــا بألم, فيشعرون بكل لقمةٍ وكأنها دموعٌ مُرةٌ يلوكونها..

ســـألتها جمانـــة : كيـــف حالـــكِ الآن ووالـــديكِ, متـــى رجعـــتِ مـــن دبي ؟

تطلعـــت فيهـــا اليســـا بابتســـامةٍ هادئـــة وأجابـــت: بعـــدما تـــوفي عمـــي منـــذُ حـــوالي عـــامين رجعـــت, وبالنســـبة لوالـــدي الحمـــد لله إنهمـــا بخيـــر, مســـافران للخـــارج عنـــد شـــقيقي, ولا أدري ربمـــا يســـتقران في أمريكا.

-إذن أنـــت بمفـــردك بـــالمنزل, ألا تشـــعرين بالوحـــدة؟ ســـألتها عســـل لتجيـــب علـــى الفـــور: أقضـــي أغلـــب الأوقـــات فـــي المستشفى,ولا أعود سوى ليلاً وأرتمي على الوسادة.

أعقب هشام وهو يتبسم بحنو : إنها ذكيةٌ جداً و تعمل بإخلاص وتفاني, سيكون لها مستقبلٌ باهر بإذن الله.

بادلته ابتسامته اللطيفة وقالت بخجل: لا تبالغ بمدحي وإلا أُصبتُ بالغرور.

تراقصت عيناه ببريقٍ خلابٍ وكأنه تناسى الجميع حوله وأجاب بصدق : تعرفين بأني لا أبالغ بأي شيٍ يُخصك.

اشتعلت وجنتاها من الخجل والارتباك من نظرات الجميع اللذين فهموا ما يرمي إليه ومراد يعبث بطبقه ثم قال وهو يثبت نظراته ناحيتها:جيدٌ أنكِ قررتِ العمل لمستقبلك, إنه شيءٌ يدعو للفخر.

أجابته بهدوء: نعم..الحياة مستمرة, لن تتوقف على ماضٍ عشته, ولا على شخصٍ خسرته, فالمستقبل فقط هو ما يجب أن نسعى إليه كيلا تتكرر أخطائنا السابقة.

ترك كريم الملعقة وعقد أصابعه قائلاً :الماضي يااااه ... الماضي لا يُنسى, لا تُمحى آثاره بسهولة..خصوصاً إذا كان محفوراً ومتأصلاً بقلوبنا وعقولنا.

شبح ابتسامةٍ ارتسم على محياها وأجابت بثبات : معك حق سيد كريم... الماضي لا يُنسى, لذلك لا أندمُ على معرفة أي شخصٍ مر بحياتي...وكما يقولُ المثل , الناس الجيدون يعطونك السعادة, والناس السيئون يعطونك التجربة. أما الأسوأ فيعطونك درساً لتعتبر منه.

فقاطعها مراد قائلاً: وأفضل الناس هم من يعطونك الذكريات التي تفخر بها.... والتي يجب أن تظل محفورةٌ بذاكرتنا..

ابتلع كريم ريقه وقال وهو يتطلع بإليسا:

أتعلمين....بوقتٍ ما نحدث نفسنا ونقول أن لا شيء يستحق الغضب لأجله لكننا ندرك ذلك في وقتٍ متأخرٍ جداً, نقولها بعد أن نكون قد أفنينا أعمارنا فيمن لا يستحق فعلاً" وغمز مردفاً : وأحدثكِ عن تجربةٍ بالمناسبة"

اخترقت كلماته قلب مراد سهامٍ حارقة وقال :نعم....تحديداً نفني أعمارنا فيمن لا يستحق وذلك الشخص قد يكون أقربهم إليك لكنه يطعنك بظهركَ بدمٍ بارد, يستلذُ بحركَ ببطءٍ وإصرار"

اتخذَ الحوارُ شكلاً عدائياً, تطلع الجميع بعيني مراد وكريم التي اشتعلت من الغضب والغيظ, حتى أن هشام تنبه لهذه الحرب بينهما تمسكت جمانة بكف كريم للسيطرة على أعصابه المشدودة فقاطعتهم نور لتغير مجرى الحديث:

-و وبأي مستشفى تعملين حالياً"

انسلخت نظرات كريم ومراد بصعوبة عن بعضهما لتردف هي ومراد بذات اللحظة : بمستشفى الرحمة"

ثم تطلعت بساعتها, اعذروني لكن تأخر الوقت يجب أن أعود سررت فعلاً برؤيتكم الليلة.

نهض الجميع حينها لتحتضنها اليسا مجيبة: ونحن كذلك سعدنا جداً بلقائك, سأعطيكِ رقم هاتفي وسأزوركِ قريباً.

****

الفصل الثامن

وقف هشام بتلقائية وسط نظرات مراد المبهمة المنكبة عليه وقال بحبور: تشرفت بمعرفتكم, عن إذنكم " ليغادر مع إليسا..

تمتمت نور بانبهار: أيعقل أنها إليسا....يا إلهي كم تغيرت!

فأعقبت جمانة : وازدادت جمالاً " تناول مراد جاكيت بذلته وغادر وقد شعرَ باختناقٍ رهيب بصدره, وسط نظراتهم ولم يعلق أحدهم بحرفٍ آخر,

وصلت اليسا ناحية سيارتها وألقت السلام على هشام واستقلت سيارتها لكنه سارع وفتح الباب الآخر وجلس على المقعد وسط ذهول اليسا من تصرفه فقال بهدوءٍ وهو يلمح مُراد خارجاً من باب المطعم: بإمكانك إيصالي أليس كذلك تعرفين أني لا أملكُ سيارة

شعرت بالحرج منه ولم تتنبه هي على مراد الذي تعلقت عينها عليهما ليحتقن وجهه بانفعالٍ هو نفسه لا يدري له سبباً مقنعاً لانزعاجه بعد هذه السنوات!

شغلت سيارتها وانطلقت مارةً من أمام مراد حتى تنبهت عليه أخيراً لتشيح بنظراتها عنه فوراً وتقبض على المقود بعصبيةٍ زائدة, لاحت ابتسامةٌ منهكةٌ ثغر مراد ورمى جاكيت بذلته على كتفه ومشى بخطواتٍ قاسيةٍ حتى قادته قدماه ناحية الحديقة القريبة من المطعم, تهادى على المقعد وهو يشعر بضيقٍ شديد, أرجع جذعه إلى الخلف وعادت كلمات اليسا تطرق ذاكرته بعنف((الحياة مستمرة, لن تتوقف على ماضٍ عشته, ولا على شخصٍ خسرته, فالمستقبل فقط هو ما يجب أن نسعى إليه كيلا تتكرر أخطائنا السابقة)) هذه الصغيرة علمته درساً قاسياً وما زالت حتى اللحظة تعطيهِ دروساً بالحياة!

توقفي إليسا"قالها هشام بعدما لاحظ اضطرابها الشديد لتتطلع به بضياع فعاود الحديث: سأقود أنا" استسلمت له وخرجت ليتبادلا المقاعد,ارتمت على الكرسي وهي تكافح

دموعها, لم يشغل السيارة,بل جلس يراقبها بصمت: هل أنتِ بخير؟

هزت رأسها بإيجاب وتشاغلت بالتحديق بالنافذة ليتابع بهدوء: دليني على منزلك لأوصلك" هزت رأسها وأملته العنوان وأغمضت عينيها بعدها, التمس هشام ذلك الحزن الذي نُقِشِ على تعابير وجهها والذي جاهدت طيلة الجلسة معهم لإخفائه, آثر الصمت فهي لن تبوح له كعادتها..توقفت السيارة بعد مضي نصف ساعة أمام الفيلا ترجلا من السيارة وتوقفا على أعتاب البوابة الحديدية

-شكراً لك"

تبسم مجيباً بصدق: بل أنا من أشكركِ"

صمت محاولاً استجماع كلماته من جديد ومع أنه راغبٌ وبشدة التعرف عليها أكثر, على ذلك الماضي الذي تتأثر كلما طرق ذاكرتها, على زوجها السابق الذي يلوعها عذاباً في كل مرةٍ يتقابلان لكن ابتلع حروفه حينما هربت من أمامه لتحتمي بمنزلها من صقيع الذكريات..

****

استمع مراد لأنينٍ هو أشبه للبكاء, استدار بتلقائيةٍ ليرى تلك الفتاة التي تجلس على المقعد الخشبي أسفل الشجرة خلفه وتبكي بخفوت, ضيق عينيه أكثر وتقدم ناحيتها ..تنحنح قليلاً وتساءل: هل أنتِ بخيرٍ آنستي؟ أتحتاجين إلى مساعدة؟

رفعت رأسها ناحيته ومسحت دموعها نافيةً وهي تنهض من مكانها: لا..شكراً لك " ومشت من أمامه بغير اتزان,

قطب ما بين حاجبيه وتساءل وهو يسير خلفها: أمتأكدة ؟ لا تبدين بخير؟

توقفت واستدارت ناحيته وصرخت : أخبرتك أني بخير ألا تفهم!!

توقف مشدوهاً للحظاتٍ وقال بتأفف بعدما عرف بأنها تلك الممرضة التي قابلها سابقاً بالمستشفى,وتشاجر معها عندما سأل عن اليسا : كما تشائين كنت أريد المساعدة فقط" وخطى مبتعداً عنها بغضب فلا ينقصه هذه اللحظة جنون النساء, ولم يكد يبتعد حتى سمع صوت ارتطام, استدار ليراها قد سقطت مغشياً عليها, هرع ناحيتها يتحسس وجنتها فكانت باردةً كالثلج, نادى عليها وهو يربت وجنتيها بخفة وما

كـاد يخـرج الهـاتف ليتصـل بالإسـعاف حتـى بـدأت باسـتعادة وعيهـا فتحـت عينيهـا لتنفـر بعـد هنيهـةٍ بفـزعٍ مـن كونهـا بـين ذراعيـه, تبسـم قـائلاً لطمأنتهـا: حمـداً لله علـى سـلامتك, أغمـي عليـكِ" سـاعدها علـى الاعتـدال فتلمسـت حجابهـا الأبـيض للاطمئنان على أنه لم ينزاح وشكرته فخفوت..

-عـذراً لكن...هـل التقينـا سـابقاً وجهـك مـألوف؟ قالتهـا وهـي تحدق به فأجاب باسماً: وجهك يبدو مألوفاً أيضاً.

-حسناً لا عليكِ, اسمحي لي بإيصالكِ إذن"

نهضت دلال وهي تنفض ثوبها الطويل :لا شكراً لا داعِ لذلك.

_آنستي رجاءاً تبدين متعبة, ووجهكِ شاحب"

صـمتت تحـدق فيـه وبعـدها هـزت رأسـها موافقـةً فهـي لازالـت تشـعر بـدوارٍ شـديد: يبـدو أن ضـغطي قـد انخفـض" تمشـيا ناحيـة سـيارته التـي ركنهـا بجانـب المطعـم ليسـتقلها وتمـتم بينـه وبين نفسه : وأنا ضغطي قد ارتفع اليوم جداً!!

****

دلفت إليسا إلى الفيلا واستبدلت ملابسها لأخرى مريحة وجلست أمام التلفاز لكن فكرها كان يسبحُ بعيداً, بعيداً لجلادها مراد, لابتسامته التي لا تريد التصديق بأنها اشتاقتها وبذاتِ الوقت تكرهها حد النفور !, لرائحة عطره الذي اجتاحت روحها من جديد....ما يزال يضع ذات العطر الذي كبرت على استنشاقه.. بدا مُختلفاً جداً, شاحباً كسيراً!!,خلعت تفكيرها مرغمةً عنه و تطلعت بساعتها التي تجاوزت الحادية عشرة بقليل ودلال لم تعد بعد! نهضت من مكانها لجانب النافذة العريضة وتناولت هاتفها الموضوع على المنضدة بجانب النافذة,كادت أن تتصل لكنها رأت سيارةً تدلف حديقتها حدقت أكثر باستغراب فلا أحد يزورها بالعادة! خرجت تستطلع من يكون, توقفت السيارة وتقدمت اليسا منها حينما شاهدت دلال تترجل منها, اقتربت أكثر لتستطلع لكن السيارة كانت قد غادرت, وتقدمت منها دلال.

-لما تأخرتِ؟ قلقتُ عليكِ جداً.

-لم أنتبه على الساعة.

-مالذي يريده والدك.

تطلعـــت فيهـــا دلال بعـــدم فهـــم لتســـتكمل أليســـا وهمـــا تـــدلفان إلى الفيلا: ألم تقولي أنه يريدك.

-آه...نعم إنه, يبدو أنه سيتزوج

-يتـــزوج!! تســـاءلت إاليســـــا باســـتغراب لتتـــأبط دلال ذراعهـــا مجيبةً بابتسامة باهتة: نعم...

هــزت رأســها باقتنــاع وتســائلت مجــدداً بعــدما غمــزت لهــا بمكــر : ومن أوصلكِ.

ضحكت دلال مجيبة: ابن الجيران.

-أهـــو جميـــل ؟ تســـاءلت إليســـــا بابتســـامة لتجيبهـــا دلال بضحكة.

-جداً......جداً يااااه طولٌ بعرض... بارتفاع. .

-الله !! سأشهد قصة حبٍ إذن.

ســحبت دلال يـــدها عـــن ســـاعد اليســـا وقالـــت وهـــي تصـــعد درجـــات الســـلم, لا حـــبٌ ولا ســـلطة بـــاللبن ...انـــه متـــزوج, لـــيس مـــا يدور بخلدك, تصبحين على خير.

ودلفت إلى غرفتها هرباً من أسئلة أليسا المتلاحقة بينما اليسا كذلك دلفت إلى غرفتها وأغلقت الباب لترتمي على سريرها...

لن أفكر بك, اخرج من عقلي ..اخرج.. " نطقتها اليسا وهي تتقلب على السرير..ثم تمتمت وهي تدفن رأسها بالوسادة: بالكاد شُفيتُ منك...لما اقتحمت حياتي مجدداً ! لما عدت؟.!

ودلال..تستند بجسدها على زجاج النافذة... شاردةً بألم,, بيأسٍ من أن يبادلها هشام هذا الشعور... بدلاً من أن تثير انتباهه قدمته ببساطةٍ لإليسا وعلى طبقٍ من ذهب !, مسحت دموعها التي ما تزال مصرةً على أن تروي وجنتيها, تشعر بالغيرة, بالحنق, بالغضب...وباليأس والضعف, لا تمتلك مقوماتٍ ك إليسا, الغنى, الجمال, من عائلةٍ مرموقة بمقابل فتاةٍ بسيطة الحال والدها سكير! تبسمت بتهكم على ما آل عليه حالها وخطت ناحية السرير لتندس فيه على أملِ أن تنام.

****

بداخل الطابق الثاني من فيلا المنصور، رضخ كريم مرغماً لطلب عمه وعبير للبيات مع جمانة بها هذه الليلة لأن الصغير جواد نائمٌ بغرفة عسل...تقدمت منه جمانة قائلةً بعتاب:

لقد قسوتَ جداً بكلماتك الليلة" رمى قميصه بعنفٍ وهتف بها : عفواً.... أحزنتِ عليه، أوجع قلبك أليس كذلك"

حدقت به بصدمةٍ مجيبة : ما بك كريم، ما الذي جرى لك ... إنه ابن عمك، صديق طفولتك، مخبأ أسرارك ؟

-كان.... والزمن يغير كل شيء"

تطلعت فيه جمانة وهتفت به بحدة:

-لم أعد أعرفك يا كريم.! لقد تغيرت جداً منذ عودته وكأنك رجلٌ آخر" !

-ليته لم يعد ولو باستطاعتي لطردته من حياتنا جميعاً لننعم ببعض الهدوء" قالها بحقدٍ واضح وهو يجلس على السرير لتزداد صدمتها، لا يعقل أن يكون كرهه له تخطى الحد!

-أسفي عليك " نطقتها بلومٍ وخرجت من الغرفة.

بينما كريم ركل المنضدة بعنفٍ لتتساقط ومحتوياتها على الأرض ويتهشم ما عليها, تطلع ببقايا الزجاج المتناثر على الأرض...وكأنه يتطلع بشظايا روحه التي تخاف فقدان جمانة, دلف بعدها إلى الحمام ليأخذ حماماً ساخناً علّه يساعده على التخلص من التوتر بينما نزلت جمانة إلى حديقة الفيلا لترتمي على الأرجوحة الأريكة .. أنزلت إحدى قدميها لتهز الأرجوحة وهي تتطلع ناحية السماء وأخذت نفساً عميقاً تستنشق ريح النسيم المائل للبرودة.... لا تنكر أنها تعشق كريم, تحبه, تحب غيرته المجنونة, لكن ليس إلى هذا الحد ! لا يعقل أن يحمل كل ذلك الحقد على ابن عمه لذكرياتٍ انقضى عليها أكثر من سبع سنوات ! وضعت سماعة الأذن مشغلةً أغنيةً صاخبة وأغمضت عينيها بضيق وبذات اللحظة عبرمراد بسيارته البوابة الحديدية, ركنها وترجل منها دالفاً إلى الفيلا حتى لفت انتباهه ذلك الجسد الضئيل الذي يرتمي على الأرجوحة, تبسم بتلقائية وتوجه منها بخطى بطيئة, وقف قبالتها تماماً ونادى: -جمانة.

-جماااانــــة" هزهـــا برفـــق لتفـــتح عينيهـــا فجـــأةً مرتعبـــة ليضـــحك علـــى هيئتهـــا... خلعـــت ســـماعات الأذن وهتفـــت بـــه : هـــوووف يـــاه !! أرعبتني ما بك!

-آسف لكن ظننتكِ نائمةً هنا, الجو بارد ادخلي"

اعتدلت قائلة : سأدخل بعد قليل"

-حســـناً ..تصـــبحين علـــى خيـــر " قالهـــا ومشـــى خطـــوتين لتقـــف متسائلة : أنت بخير, ءء أقصد اليوم , يعني...إليسا ؟

اســـتدار ناحيتهـــا وضـــج قلبـــه حينهـــا بطرقـــاتٍ عبثيـــة وتبســـم بتكشـــيرةٍ طفيفـــة: لـــن أكـــون بأفضـــل ممـــا أنـــا عليـــه, لا تشـــغلي بالكِ بي"

ثم ابتعد مكملاً :تصبحين على خير"

****

وسطعت شمس نهارٍ جديد لتنير أبصار سكان الأرض لكن...
هل ستنير تلك الأشعة قلوبهم !كانت تجلس بالمكتب داخل المستشفى تراجع ملفات إحدى المرضى حينما دلفت إحدى الممرضات تقول لها:

-يستدعونك لمكتب المدير دكتورة نور اجتماعٌ طارئ"

-خيراً إن شاءالله ..حسناً قادمة"

قالتها بابتسامةٍ لطيفة ثم ألقت الملف و نهضت من خلف المكتب تحكم إغلاق معطفها الطبي, ودخلت إلى مكتب المدير حيث اجتمع الكادر الطبي, اتخذت مقعدها بينما تعالت تمتمات الأطباء من حولها حتى دلف أمير قائلاً بابتسامةٍ فتاكة وهو يرتدي معطفه الأبيض ويتركه مفتوحاً ومن تحته قميصاً و بنطالاً أسودين:

-آسفٌ لجعلكم تنتظرون كان علي إنهاء بعض الأعمال"

سكت الجميع فجأةً يحدقون ببعضهم باستغراب من هذا الشاب الذي توقف وراء كرسيه وأمسك مقعده قائلاً بابتسامة:

-الدكتورأمير الرّيس, المديرُ الجديد لهذا المستشفى!!

حدقت به نور بصدمةٍ شديدة وبغيظ عندما ثبت نظراته عليها ..نظراتٍ كانت شديدة القتامة ولا تعلم لما دب الرعب بأوصالها من نظراته وكأنها تهديدٌ صريحٌ لها لكن تهديدٌ من أي نوع !, كانت على يمينه مباشرةً , أزاح الكرسي وجلس قائلاً بمهنية: سيتبقى النظام على ما هو عليه لكننا سنغير القليل بجدول المناوبات.

ظهر الامتعاض على وجه نور وأزاحت نظراتها عنه ليردف وهو ينهض ليوزع عليهم الجدول المبدئي يشرح لهم سير العمل , استلمت نور الورقة وقرأتها لتزم شفاهها بغضب ثم قالت بصوتٍ جاهدت لجعله متماسكاً,لكني لا أستطيع المناوبة ليلاً ليومين متتاليين أنا متزوجة.

-عفواً...دكتورة !! اقترب منها أكثر مدّعياً أنه يقرأ الاسم المدون على بطاقتها المعلقة على صدرها وقال وهو يكتسح روحها بنظراته: - دكتورة..نور, لستِ الوحيدة المتزوجة هنا على ما أظن ! إن ...جاءكِ مريضٌ بحالةٍ اسعافية ليلاً تقولين له عفواً أنا متزوجة لا أستطيع علاجك انتظر حتى الصباح!

-

لم أقصد أن ءء" قاطعها قائلاً وهو يعتدل : مهما كان قصدك"

ثم قال مخاطباً الجميع: إن المريض لن يستطيع أن يلبس ثوب العافية بمجرد رغبته بذلك...لذلك من حقه علينا كأطباء أن نقدم له المساعدة اللازمة متى احتاجها, ومن الآن من لا يملك الشجاعة للتحمل والصبر بتقديس واجبه كطبيب...ومن لا يعي دوره كاملاً فليتفضل ليجلس بأحضان منزله الدافئ.

أطرقت نور رأسها للطاولة بغضبٍ وإحراج فهذا الوغدُ محقٌّ بكلماته بدأت تهز رأسها بعصبية انتبه عليها ليقول :انتهينا لهذا اليوم , و شكراً لأنكم منحتوني القليل من وقتكم الثمين "

نهض الجميع مغادرون فنادى عليها : دكتورة نور" تطلعت فيه وهي تعتصر قبضة يدها بغضب وتجاهد كيلا تفلتها على وجه الثعلبي : لا ضغينة بيننا أليس كذلك ؟

ثم اقترب منها أكثر بعدما انصرف الجميع قائلاً بعبث: على الأقل في الوقت الحالي"

رفعت رأسها ناحيته وقالت جازةً على أسنانها : ما مشكلتك معي ؟

تبسم بهدوءٍ مستفز: - لا تستعجلي على رزقك.

أغمضت عينيها واستدارت عنه لتضرب الأرض ضرباً وهي تغادر ليراقبها وترتسمُ تكشيرةٌ مخيفةٌ على وجهه.

****

حالةٌ من الهرج سادت بقسمم الاسعاف حينما وصلت سيارات الإسعاف وهي تحمل مصابي حادث سير قبل أن ينظم الطاقم الطبي الحالات ويبدئون بعلاجها وتقديم العناية اللازمة للمرضى,انهمك هشام بإحدى المرضى كانت حالته حرجةٌ وزوجته رغم إصابتها تصرخ باكيةً بخوفٍ على زوجها من بعيد....

صعدت إليسا بعد ساعةٍ للطابق الثاني فشاهدته يرتمي على أعلى السلم يسند ظهره على الحائط مغمضاً عينيه....معطفه الأبيضُ ملطخٌ بالدماء واسفل السلم سكينٌ ملطخٌ بالدماء كذلك هرعت ناحيته بلهفةٍ هزته وهتفت بجزع

: هشـــااام ! " فـــتح عينيــه بتفــاجئ لتتنهــد اليســـا وتضــحك ببلاهـــة : أنت..أنت بخير..

تطلــع فيهـــا حتـــى اســـتوعب مـــا يـــدور وتطلـــع لمعطفـــه الـــذي اغـــرورق بـــدماء إحـــدى المرضـــى ليبتســـم بإنهـــاك علـــى هيئتهـــا المرتعبة ! لا عليكِ أنا بخير"

-الدماء تغرقك!

-نفـخ بضـيق وأجـاب بـألم : كانـت حالتـه حرجـةٌ جـداً ....مـات, لـم أستطع إنقاذه.

جلســت مواجهــةً لــه أعلــى الســلم وربتــت علــى كفــه : ليرحمــه الله, أكيدةٌ بأنك حاولت جاهداً.

-المـوتُ بشـعٌ جـداً يـا إليسـا....رغم أننـا نقابلـه بشـكلٍ شـبه يـومي, لا نستطيع أن نعتاد عليه!

أجابــت: المـــوتُ لبعضـــهم راحـــةٌ يـــا هشـــام, ولحالـــة ذلـــك الرجـــل, أكيـــدةٌ بـــأن المـــوت كـــان لـــه راحـــةٌ أكثـــر مـــن أن يعـــيش بعاهـــةٍ دائمة"...

قلب كفه التي ما زالت إليسا تضع كفها عليه ليشابك أصابعه بأصابعها وقال بصوتٍ أجش :صراخُ زوجته حتى اللحظة يصمُ أذني... كانت تصرخ بألمٍ وقهر.

-لأنها فارقت رفيق الدرب.

أغمض عينيه وفتحهما قائلاً بخفوت:

-أنا.... أموت بكِ عشقاً, ومستعدٌ للموتِ لأجلك.... والبعدُ عنكِ كالموتِ تماماً"

حاولت سحب يدها بارتباكٍ من كلماته لكنه اقترب أكثر مكملاً ويتطلع بها بعينين منهكتين : حين تبتعدين عني...أشعر بأن روحي تنسحب عن جسدي ببطءٍ معذب, حتى لو لم يكتب لك أن تكوني من نصيبي... لكن لا تحرميني من وجودكِ بجانبي.

****

الفصل التاسع

ارتبكت من كلماته قائلةً بلعثمة: يجب..أن ..الإسعاف, سأذهب إليه" وأفلتت كفها بسرعةٍ عنه وهرولت تتقافز درجات السلم وبينما هو أرجع بظهره مجدداً مستنداً على الحائط يراقبها بعينيه تهرب كما العادة كالسندريلا من أميرها ! لكن السندريلا خاصته لاتريد أن تتجاوز مشهد ساعة منتصف الليل فهي في هروبٍ دائم ! لمح دلال تتقدم عبر الرواق تحمل فنجان قهوتها تشرب منه فضج عقله المشوش وجسده المنهك يطلبها , تبسم وكأنه ظفر بالجائزة الكبرى وهب كالأسد عبر تلك الدرجات بثلاث قفزات حتى جمدت دلال برعبٍ حينما خرج أمامها كالجني منتشلاً الكوب بخفةٍ من بين يديها قائلاً قبل أن يتجرع منه وكأنه لم يتذوق القهوة بحياته:

-دائماً ما تظهرين بالوقت المناسب دلالي,أعدي لنفسكِ كوباً آخر"

غمز لها بعينه ومشى يشربه باشتياق المغترب ليتوقف قلبها عن ضخ الدماء وما زالت أذنيها تعيدان كلمته((دلالي...دلالي

)) تبسمت ببلاهة وهي تجيبه : - بالهناء دكتور" هزت رأسها وقد استفاقت من حلمٍ جميل على دفعةٍ خفيفةٍ من إحدى المرضات : ما بكِ تنحي قليلاً أحمل صندوقاً كبيراً ! استدارت ناحية زميلتها وابتعدت عن الباب الذي تقف قبالته وأكملت طريقها..

****

رفع أمير ساقيه على المكتب يستريح بعد إجرائه عمليةٍ جراحيةٍ لأحد المرضى, يستعيد التوازن لروحه وجسده المنهك, على الرغم من غطرسته إلا أنه يقدس مهنته كطبيب , وبات يقدس هذه المهمة التي أُوكلت له من والده لأنها عرفته على صاحبة أجمل عيونٍ رآها بحياته, طرقت الباب مرتين ولم يجب لشروده, فتحته ودلفت إلى الداخل وتسمرت بمكانها وهي تراه مسترخياً بجلسته رأسه لأعلى مغمضاً عينيه وما يزال يسند قدميه فوق الطاولة, يبدو مسالماً جداً وهو يغلق عينيه, على عكس خبث نظراته ولونهما المربك ! جلت حنجرتها لتصدر صوت حمحمةٍ خفيفة وتقدمت أكثر لتضع الملف على الطاولة, فتح ستار أهدابه عن بحر عينيه القاتمتين ليتطلع بها وقد شُتت تفكيره لوهلةٍ وهو لايصدق

كونهـا واقعـاً أمامـه وقـد كـان مغمضـاً عينيـه ليسـترجع سـحر عينيها,جسـدها المتنـاغم, صـوتها وهـي تهـدده.... أنـزل قدميـه علـى الأرض كـالمنوم مغناطيسـياً فقالـت بهـدوء: أحتـاج توقيعـك علـى هـذا " رفـع إحـدى حاجبيـه وتنـاول الورقـة يقرأهـا ثـم تطلـع بهـا وهو يمزقها ويرميها على الأرض قائلاً : مع الرفض"

اعتصـرت قبضـتي يـديها فقـال مجـدداً: أتريـدين الهـرب مـن الآن, ما زلنا في البداية"

ضـيقت عينيهـا وهتفـت بـه بتهديـد: اسـمعني يـا هـذا ومـن كنـت.. ابتعد عن طريقي أو تكلم بشكلٍ مباشر, ما مشكلتك معي؟ !

نهـض عـن مقعـده وتمشـى ناحيتهـا : ومـن أخبـركِ بـأن مشـكلتي معك ؟ !

ثبتت نظراتها عليه : إذن مع من مشكلتك؟

طـرق بـرؤوس أصـابعه علـى الطاولـة الخشـبية مجيبـاً : أتعـرفين دكتـورة... أحيانـاً نكـون بالمكـان الخـاطئ بالتوقيـت الخـاطئ مـع الشخص الخاطئ...لكن هذه هي مفارقة القدر"

ركـزت عينيهـا تحـاول استشـفاف مـايرمي إليـه لتهـز رأسـها: لـم أفهم, تكلم بوضوح"

تبسم قائلاً بلهجة الذئاب التي تبغضها : اذهبي لعملك, وتعلمي المواجهة بدلاً من الهروب!

لسعتها كلمته الآمرة التي تحتوي إغواءاً من نوعٍ غريب مرعب لتستدير بحنق مغادرة فقال مجدداً : بلغي تحياتي لآدم"

توقفت لبرهة ثم غادرت المكتب.

****

وقفت عسل أمام مدرستها تنتظر أن يشفق مراد أو آدم على حالها لإيصالها كما العادة بعدما هرب السائق الأخير من سلاطة لسانها, نفخت بحنقٍ وهي تتطلع على الساعة التي تجاوزت الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر لتلمح أخيراً سيارة مراد تتوقف أمامها, أطلت برأسها لتأنب أخيها على تأخيره لكنها تفاجأت بهذا الشاب الذي يجلس خلف المقود يخفي عينيه بنظارةٍ سوداء,مرتدياً كنزةً قطنية خضراء, شعرٌ أسودٌ كأشباح الليل, ناهيكَ عن عطره الذي غمر السيارة! أرجعت رأسها مجدداً إلى الخلف وقد زمت شفاهها من الغيظ فها هو

سائقٌ آخر ستضطر إلى لسعه بكلماتها...أخرجت الهاتف واتصلت بمراد الذي أجابها على الفور: إذن وصل السائق.

-نعم أخي وصل "

قال مراد بهدوء : إن اشتكى منكِ لا تلوميني حينها, اتفقنا"

-لكن أخي!!

-هيا أغلقي لدي اجتماع "أغلق الخط من فوره لتقحم الهاتف مجدداً بحقيبتها بغيظ وتتوقف صائحةً بالشاب: أنتظر أن تنزل وتفتح لي الباب أيها المحترم"

طرق بأصابعه على المقود وكأنه يلحن مع الأغنية التي يستمع لها عبر سماعات الأذن:

-وأين يديكِ ؟

ثم تطلع ناحيتها دون أن يزيح نظارته وقال بهدوءٍ ينافي براكين عينيها المتوقدة : مهمتي أن أوصلكِ فقط آنستي الصغيرة"

انفرجت عينيها بغضبٍ وحدقت به وهي تفتح الباب الخلفي وترمي الحقيبة وترتمي على المقعد بينما تطلع الشاب لها عبر المرآة وشغل السيارة لينطلق"

عقدت يديها على صدرها طوال الطريق فها هو قد كسب ومن الجولة الأولى لاستفزازها, كان طوال الطريق مشغولاً يدندن مع الأغنية حتى وصلا ناحية الفيلا أوقف السيارة لتترجل منها وتغلق الباب بعنف وما كادت تمشي حتى قال بهدوءٍ مستفز :

-هذا الباب لا يصفق بتلك الطريقة يا صبية " شدت عسل بقبضتها على الحقيبة وتجاهلته لتدلف إلى الداخل بينما خلع فهد نظارته ورماها على تابلوه السيارة : آه...لا أحب ارتداء النظارات"!

دلفت عسل كالإعصار لترمي الحقيبة على مدخل الصالة وتوجهت ناحية عبير وتقرص وجنتها بمشاكسة: ست عبير.. اشتقت لك جداً"

-أهلا حبيبتي, غيري ملابسك وتناولي غداءك"

أين جمانة؟ تساءلت وهي تصعد درجات السلم لتجيبها عبير : غادرا منذ الصباح "

طيب سامر عليها مساءًا " قالتها وأكملت الصعود ناحية غرفتها واستبدلت ملابسها لأخرى مريحة وما تزال مغتاظةً من هذا السائق الجديد وتمتمت بسخط"

-وكم أنا مستفزة, أستفزني ذلك الأحمق ومن أول لحظة"!!

****

قاربت الساعة على أن تستقر على العاشرة مساءاً عبر كريم بسيارته بوابة الفيلا وترجل عن سيارته ليتبسم حينما لمح جمانة تضع تلك العصبة على عينيها وهي تلاعب جواد وأصوات ضحكاتهما قد ملأت الحي كله ! كانت ما تزال غاضبةً منه فهو حتى صباحاً لم يلقي عليها تحية لاالصباح ولم يتحادثا بما جرى ليلة البارحة, اقترب بهدوء منهما وقبل أن يصدع صوت الصغير أشهار له بالسكوت والإبتعاد فانصاع جواد لوالده وهرول داخلاً إلى الفيلا وقد تعالت ضحكاته بينما ما زالت جمانة تنادي على الصغير الذي اختفت فجأةً ضحكاته, توقفت بمكانه ونادت بوجل : جواد ! ولم يجب, كادت أن تفك العصبة عن عينيها وبلحظةٍ كانت مرميةً على كتف كريم ! شهقت بتفاجؤٍ لكنها سرعان ما قالت بغيظ بعدما ميزت رائحة عطره: أنزلني كريم"!

تجاهلها وسار بها ناحية الحديقة الخلفية, خلعت العصبة بيديها لتضربه على كتفه بغيظ: أنزلني قلت لك ألم تسمع"

جلس على الأريكة الأرجوحة يتمسك بها وأمالها برفقٍ لتجلس وجلس بجانبها مبتسماً ابتسامةً بلهاء تزيد من غيظها, حاولت النهوض والتحرك لكنه منعها عن ذلك وقال هامساً : ما تزالين غاضبةً مني إذن " أشاحت بوجهها عنه ليمسح بيده على شعرها بحنو وصولاً إلى ذقنها فأدار وجهها ناحيته وهمس بصدق : آسف, أخبرتك سابقاً, وسأخبرك مجدداً لا قدرة لي على تحمل وجوده بالقربِ منكِ"

زفرت بهدوء قبل أن تجيب: و أخبركَ مراد سابقاً أن كل شيٍ انتهى بالنسبة إليه"

-ثمان سنوات تقريباً مرت يا جمانة، كلماته عنكِ حينما كان يأتيني ثملاً كل يوم.. وصفه لكِ..لن استطيع عدم التفكير بتلك الأشياء والكلمات التي كان يقولها"

احتضنت كفه بين كفيها وقالت بهدوء : أتعلم أنك بطريقة تفكيرك السلبية وبنبشك للماضي, قد تزيد الأمور سوءاً, أنا زوجتك الآن, ولدينا طفلٌ جميلٌ جداً ....والأهم من ذلك, أنا

أحبك , ما الذي تريده أكثر ... مجرد ذكرياتٍ عن الماضي تبني عليها أوهاماً ستعذبنا كلينا...

-ونظراته تجاهك حتى اللحظة ماذا تسميها؟ لستُ أحمقاً ...أتفهمين ؟" أشاحت بوجهها عنه فلا قدرة له على أقناعه فهو عنيدٌ جداً " أتعبتني كريم ! حسناً حتى ولو كان يكن لي أية مشاعر إلى الآن لا أهتم ولن أهتم ولن يفعل هو شيئاً رجاءاً أرح أعصابك المشدودة وأرح أعصابي كذلك, لقد تعبت من طريقةِ تفكيرك السلبية على الدوام"

-سأحاول" قالها بابتسامةٍ عذبة لتتبسم بدورها بخجل عندما قبّل يدها معتذراً"
جفل الإثنين على صوت عسل المجنونة وهي تصيح باستنكار :استغفر الله... ما قلة التربية هذه !! فعل فاضح في الطريق العام !

افلتت جمانة نفسها فوراً ووقفت على الأرض بصدمة بينما عسل صدعت ضحكاتها العابثة لتهتف بها جمانة بغضب : فعل فاضح يا ابنة المجنونة !! والله لأكسر عظامك أيتها الوقحة !!

وركضت خلف عسل التي هربت بدورها بينما صدعت ضحكات كريم ونهض ليدلف إلى الفيلا من البوابة الخلفية وهو يهتف: يا لهذه الفتاة ! عائلة مجانين اقسم بالله !

قفزت جمانة على عسل لتطيحها على العشب ثبتتها وشرعت بدغدغتها لتتعالى ضحكات عسل .. لا رجاءاً كفي عن ذلك سيتوقف قلبي من الضحك !! أفلتتها جمانة وقرصتها من أذنها لترفعها ولم تنتبه لمن يتطلع ناحيتهما بابتسامةٍ هادئة:

-كم مرةً أخبرتك أن تتأدبي يا بنت, عيب لم تعودي صغيرة على تلك التصرفات, وما الذي جاء بك إلى هنا بهذا الوقت بمفردك وتتلصصين كالسارق ؟

-أنا أحضرتها " جمدت جمانة لثوان عندما تكلم مراد لترفع رأسها بهدوء وتنهض لترحب به بارتباك : -أءءأهلاً.

-أهلاً بكِ " أدار وجهه قائلاً : أين الأحمق.. ناديه .

-نعم؟ تسائت بعدم فهم ليتبسم مراد قائلاً : زوجك الأحمق أريده. ؟

-إنه...إنه بالداخل حضر لتوه, تفضل.

-أعـرف أنـه حضـر لتـوه ... ناديـه رجـاءاً اتصـلت بـه لكـن هاتفـه مقفل"

-حاضـر سأسـتدعيه " نطقتهـا وانصـرفت بينمـا مشـت بجانبهـا عسـل وهمسـت لهـا بخبـث : لـم أكـن الوحيـدة التـي رأيـت ماحصـل بالمناسـبة " لتبهـت ملامـح جمانـة بـإحراج وخجـل شـديدين وتضـرب عسـل علـى رقبتهـا فهـذه الصـغيرة ستصـيبها بالجنون حتماً.

دلفـت الفتاتـان إلـى الـداخل بينمـا وقـف مـراد و حولـه أوراق الشـجرة التـي تتلاعـب بهـا نسـيمات الليـل البـارد لتتـراقص،و شـرد بالارجوحـة التـي كانـا يجلسـان عليهـا منـذ لحظات.....اتجهـت عسـل مـن فورهـا ناحيـة كـريم الـذي اسـتبدل ملابسـه وجلـس علـى الاريكـة بالصـالة الرئيسـية ,أطلقـت صـفيراً عاليـاً وجلسـت بجانبـه وهـي تقـول بانبهـارٍ مفتعل:

_الله أكبر...عضـلاتك يـزدادون انتفاخـاً .. قلبـي سـيتوقف يـا ابـن عمـي مـن حلاوتـك ..اللهـم لا حسـيدة أخـاف أن تفقـع عضـلات صدرك وساعديك إن نطقتُ حرفاً آخر"

تعالت ضحكات كريم وهو يحاوط كتف عسل بذراعه ويتكش شعرها بقوة قائلاً : يا لهذا اللسان الذي سأقصه بالقريب العاجل, ومن أحضرك بها الوقت المتأخر أم أنكِ هنا من قبل !؟ "

قالت جمانة : مراد من أحضرها, وهو بالخارج بانتظارك" نظر لها بامتعاضٍ واضح وارخى قبضته عن كتف عسل التي قالت بجدية:انا طلبت منه أن ارافقه لأنكما هربتما صباحا دون أن أراكما, كرومي, أنت تعرف أني أحبك كمراد تماماً ..رجاءاً تصالحا اشتقت لجمعتنا سوياً دون مشاكل, أرجوك"

تبسمت ببراءةٍ مبالغٌ بها وهو ينفخ بعصبية وينهض قائلاً : إن شاءالله, لا تشغلي بالك أنتِ بمواضيعنا" مشى على مضض الى الحديقة وتوقف أمام مراد الذي ألقى سيجاره وسحقه بحذائه الجلدي الأسود بينما راقبتهما جمانة وعسل من الشرفة بتوجس,

-ادخل : نطقها كريم ليهز مراد رأسه نافياً : أنت من سيخرج معي لنتحدث"

-فيمَ سنتحدث؟

-تعرف أنه يوجد الكثير لنتحدث به يا ابن العم, أنا بانتظارك بالسيارة " قالها وتوجه ناحية سيارته وجلس بداخلها فيما خطى كريم إلى الداخل لينتشل مفاتيحه وهاتفه وغادر لتراقبهما جمانة بتوتر...

دعس على دواسة البنزين لينطلق بسيارته على الطريق الرئيسي بسرعةٍ وكريم يتطلع أمامه مباشرةً متحاشياً الحديث فيكفي تلك الأجواء المشحونة ..قبض على المقود أكثر ومشاهدتهما سوياً بالحديقة منذ دقائق لم يفارق مخيلته أبداً زاد من سرعته أكثر وكأنه يهرب من ذكرياته معها ومرآها التي ما تزال تربكه ببقايا مشاعر وأدها تحت طبقاتٍ وطبقات من التجاهل, لكن من يتجاوز حادثة موت روحه!

تلاشت الأبنية من حولهما وصارت الأشجار تتسابق كومضاتٍ متسارعةٍ حولهما حتى دعس مراد فجأةً على الفرامل لتصدر سيارته صريراً عالياً قبل أن تتوقف كجثةٍ هامدة بهذا المكان المعزول ! ترجل منها ومشى بضع خطوات على التراب وتوقف ليترجل كريم كذلك من السيارة ويسير

تجاهـــه وقـــال ســـاخراً : يبـــدو أنـــك ســـتغتالني حتـى اصـــطحبتني لهذا المكان,

احتقنـــت عينـــا مـــراد بغضـــبٍ مميـــت, بقهـــرٍ واضـــح استشـــفه كـــريم بســـهولة, بـــل ويعرفه...لأنـــه يعـــرف ابـــن عمـــه, يعـــرف صـــديق طفولتـــه وســـكناته وحركاتـــه, لكـــن كـــريم ولأجـــل جمانـــة مســـتعدٌ بأن يسحق الجميع بمن فيهم مراد إن فكر بأن يفرقه عنها.

طالـــت نظراتهمـــا المشـــتعلة قبـــل أن يخـــرج مـــراد مسدســـه مـــن حـــزام خاصـــرته ويمـــد يـــده بتلقائيـــةٍ ناحيـــة كـــريم وهـــو يقـــول : الجميـــلُ ألأننـــا نفكـــرُ بـــذاتِ الأســـلوب, طلقـــة وينتهـــي كـــل عـــذابك يا ابن عمي.... وعذابي

****

الفصل العاشر

تطلعت جمانة إلى الساعة التي تجاوزت الثانية عشر بقليل، لا تعلم لما انتابها قلقٌ مفاجئ على كريم! جلست عسل بتململ على الأريكة حتى كادت أن تغفو وهي بانتظار مراد, اخرجت جمانة الهاتف لتتصل لكنه لم يجبها كادت أن تحاول مرةً أخرى حتى سحبت عسل الهاتف من يدها وقالت بتأفف: دعينا منهما الآن دائماً ما يتشاجران ويتصالحان, أنا جائعة"

تبسمت جمانة وقالت بنفاذ صبر: تفضلي لنأكل وأنا أشعر بالجوع كذلك, كلما أتوتر أشعر بالجوع !

قهقهت عسل وتبعتها إلى المطبخ لتعد جمانة شطيرتين بينما شرعت الأخرى بعمل ابريقٍ من الشاي...

****

تعانقت نظراتهما مطولاً قبل أن يجز كريم على أسنانه بغضب وكف مراد ما تزال مبسوطةً يتوضع عليها المسدس الذي قدمه له, ضرب كريم المسدس بيده ليسقط على

الأرض وتقدم منه وتمسك بتلابيبه بغضبٍ وهو يصر على أسنانه صارخاً :ما الذي تحاول فعله أيها الغبي!

-أحاول أن أريحك وأريح نفسي ... من اتهاماتك الغبية عن مشاعري لزوجتك,أحاول إراحة نفسي لأني وكلما حاولت وأد ماضيها وحبي لها, تقحمها بمخيلتي مجدداً, بتصرفاتك اللعينة و غبائك اللامتناهي"

كثير من الناس يعيشون طويلاً في الماضي، والماضي منصة للقفز لا أريكة للاسترخاء.... بينما كريم لم يتخلى عن الماضي.. نهشه حب مراد لجمانة ومشاعره التي وعلى الرغم من مرور تلك السنوات يبدو أنها لا تريد أن تنطفئ , أغمض كريم عينيه بقهرٍ تعاظم داخل صدره يتمنى لكمه وإردائه صريعاً هذه اللحظة, استدار عنه بحنق و جاهد نفسه لكن مراد دفع أكثر لاستفزازه وتقدم لقبالته و دفعه بعنفٍ وهو يصرخ :

-هيا اضرب.... اضربني اعرف انك هذه اللحظة تتمنى فعلها.... لا تفكر بماضينا سوياً فقد محيناه منذُ لحظة خيانتي يا صديق الطفولة , تمسّك بالآن، هُنا، حيث يغرق

كل المستقبل في الماضي, إفعلها وسأصبح ماضياً, بعدما فقدتُ أنا ماضيي وحاضري فالمستقبل بين يديك أنت ....

تعالت وتيرة صراخه على كريم الذي جمد بمكانه كالصنم من لوعة كلمات ابن عمه ...يرغب فعلاً بلكمه هذه اللحظة وهو يعرف جيداً أن ضرباته إذما أفلتها عليه سيرديه صريعاً حتماً والأحمق ما يزال يستفزه.

-لا تريد ! أنا سأفعل " صرخ بها مراد بحدة وهجم على كريم بكل ما أوتي من قوة ليسقطا على الأرض بعنف تناثرت من حولهما الأتربة الجافة.... تعالى زئيره وهو يلكم كريم ويصرخ بجنون تزامناً مع جنونِ الريح بهذا المكان القاحل:

_هذه لأنك طعنتني بظهري وتقربت منها بعدما بحت لك بمشاعري عنها"
أكال له لكمةً أخرى وصرخ مجدداً :
_وهذه لأنك سرقت حب حياتي وتزوجتها"
انهمرت دموعه مما جعل كريم يشفق عليه لأول مرةٍ بحياته رغم آلامه, لكمه مجدداً على معدته بعنفٍ وصرخ:
_وهذا لأني نسيتها .... نسيت حبها اللعين"

نهض من عليه يمسح دموعه وهو يلهث ليجاهد كريم ويقف على قدميه من ورائه فاستدار مراد ناحيته مجدداً وركله حانقاً:

_وهذه لأني أريد أن تعود علاقتي بك كما السابق"

ارتد كريم ليسقط على الأرض مجدداً بإنهاكٍ ودمعت عيناه هذه المرة بألمٍ وقهر فأغمضهما بقوةٍ بينما ارتمى كذلك مراد جالساً على الأرض, خيم الصمت عليهما لدقائق طويلة كان كريم فيها يفكر, يراجع حساباته مرةً وراء مرة, يراجع ذكريات صديق الطفولة والشباب, ...من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل، ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي....لذلك كان لا بد له أن يمسك زمام الأمور, هو الأقوى حالياً لذلك أطلق سبةً بذيئةً قبل أن ينهض بصعوبةٍ تجاه مراد ويتوقف قبالته, مد يده ناحيته ليساعده على النهوض فتطلع به مراد ومد يده ناحيته ليقف, تبسم كريم ابتسامةً أقرب لتكشيرة وبلحظةٍ كانت قبضة يده تخترق معدة مراد ليطلق صرخةً مدويةً بينما صرخ هو هذه المرة بجانب أذنه : لم أسرقها, هي اختارتني أنا...لو عرفتُ أن مشاعركما متبادلة لانسحبتُ من حياتها وتعرفُ أني لن أتردد في ذلك رغم صعوبة الأمر"

نازع مراد ليعب الهواء وقد شعر بألمٍ رهيبٍ بأمعائه وما يزال كريم يتمسك به ورغم ذلك جاهد ليرفع رأسه ركله كريم بعنفٍ مجدداً وقال بهسيسٍ مختنق:

-وهذه لأني أريد كذلك أن تعود علاقتي بك كما السابق يا اخي"

ورغم آلامه الشديدة زرع ابتسامةً على وجهه قابلها كريم بكل صفاء ثم سحبه من على الأرض فاعتدل الأخير بوقفته ليتعانقا عناق أخوين فرقتهما الحياة وآلمهما حب امرأةٍ واحدة...لكن جمعتهما روح الطفولة والذكريات التي لا يريد أحدٌ منهما أن تُمحى من ذاكرته.

****

تجاوزت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل وقد خارت قوى جمانة عن التحمل, لم تطق صبراً أكثر فاتصلت بآدم الذي هرع من فوره ملبياً نداء شقيقته التي ينهشها القلق, ربتت نور على كتفها لتطمئن لكن الأخرى كذلك بحالة قلقٍ على مراد, يخاف الجميع من شجارٍ حتميٍ بينهما...يقف آدم محتاراً

وقلقاً وهو يعيد اتصالاته لكن هاتفي مراد وكريم خارج نطاق الخدمة....

عبرت سيارة مراد بوابة الفيلا ليسمعها الجميع ويهرعون إلى الخارج, ترجل مراد وكريم من السيارة ثيابهما غير مهندمة وملطخةً بالتراب, ركضت جمانة بسرعةٍ لترتمي على صدر كريم وقد اغرورقت عينيها بالدموع بينما أغمض مراد عينيه عنهما بابتسامةٍ هادئة وتوجه ناحية نور وعسل وآدم بنظراتهم القلقة و استفهاماتهم عما حصل ولم تأخرا!

مسح كريم دموعها بيديه قائلاً وهو غارقٌ بعينيها السوداوين المحمرتين من البكاء: أنا بخير حبيبتي آسفٌ لأني أقلقتك؟

وكما قال له مراد قبل ساعات..((.تمسّك بالآن، هُنا، حيث يغرق كل المستقبل في الماضي....)) و تمسك كريم بجمانة, بماضيه الرائع الذي قضاه برفقتها, بحاضره المبهج معها, بمستقبله الذي يريد منه أن يغرق بها وفيها ومعها .... ولأجلها فقط.

****

حطت الساعة على التاسعة صباحاً حينما توجه مراد لتوقيع عقد عملٍ جديد لإنشاء تصميمٍ هندسيٍ لفيلا أحد رجال الأعمال , بينما وصلت أليسا إلى المستشفى, وكعادة هشام الذي يكون قد سبقها بساعتين إلا أن صباحه لا يبدأ إلا برؤيتها فقط... تبسمت له ملقيةً تحية الصباح برفقة دلال, وشرعت متجهةً إلى عملها عندما رن هاتفها برقم شقيقها فأجابت على الفور ليتزلزل كيانها وتصرخ بهستيريا: مستحيل...

مستحيل !! هرع ناحيتها هشام بقلق بينما تلقفت دلال الهاتف الذي وقع على الأرض وتحدثت به لتزم شفاهها بألمٍ وشفقة وهي تجيب: -عظم الله أجركم, ليرحمهما الله, لا تقلق سيدي نحن برفقتها"

عاونها لتجلس بمكتبه بينما كانت ذاهلةً تحدق باللاشيء أمامها ...جمدت عبراتها كما جمدت نظراتها بالحائط أمامها وهي تعيد كلمات شقيقها((توفيا بحادث سيارة ليلة الأمس ....)) مالت برأسها على كتف هشام دون أن تتحدث ودون أن ينطق هو بكلمة كذلك, مهما تكلم وواساها لن يستطيع إطفاء حزن فقدانها والديها سوياً, لربما بقيا ساعةً كاملةً هي

تـذرف الـدموع بصـمت وهـو بكـل حـبٍ يتقبـل دموعهـا لتـروي كتفه ..

-هيـا إلـى المنـزل اليسـا" نطقهـا أخيـراً لتتنبـه أليسـا أنـه بجانبهـا, رفعـت رأسـها عـن كتفـه الـذي أصـابه الخـدر لطـول المـدة التـي اتكـأت برأسـها عليـه وتطلعـت بـه بعينـين منكسـرتين, كقطـةٍ جائعـةٍ للأمـان, فقـدت أمانهـا فجـأةً, علـى الـرغم مـن أنهـا عاشـت وحيـدةً أغلـب شـهور السـنة, لكـن تفكيرهـا بأنهمـا فارقاهـا للأبـد جعلتهـا كسـيرة القـوة.... ومـن قـال بأنهـا قويـة, هـي ضـعيفةٌ جـداً, ضـعيفةٌ وخائفـة مـن كـل شـيء بهـذه الحيـاة, رفعهـا بخفـةٍ مـن خاصـرتها لتسـير بجانبـه خطـواتٍ بطيئـة بينمـا اضـطرت دلال لتبقى بالمستشفى لحين أن يوصل هشام أليسا إلى المنزل ,

قاربـت السـاعة علـى الثانيـة عشـرة ظهـراً, دلفـا بهـدوءٍ بعـد أن أخـذ المفـاتيح مـن حقيبتهـا وفـتح البـاب, سـاعدها لـتجلس علـى الأريكـة وتوقـف حـائراً لا يـدري هـل عليـه أن يجلـس بجوارهـا أم يخـرج, ضـيق عينيـه وهـو ينظـر ناحيتهـا بـألمٍ ينهش روحـه أطلـق زفيـراً ثـم مـال ناحيتهـا هامسـاً : -هل..هـل مـن أقـارب لـكِ أتصـل بهم ؟

تطلعت فيه وكأنه بوادٍ آخر عنها......بات صوتُ هشام بعيدٌ جداً عنها, بعيدٌ لدرجة أنها لم تفقه من كلماته حرفاً, هو يتحدث فقط يحرك شفاهه لكن دون صوت! كف عن سؤالها بعد أن لاحظ أنها لا تستجيب نظر إلى ساعته وتناول هاتفها من حقيبتها وبحث بين الأرقام لكنها لا تحتوي على اسم أحدٍ من عائلتها ! زفر بحنقٍ عندما تراقص أمام عينيه اسم نور المنصور... إنها شقيقة زوجها السابق! هل يتصل بها؟ احتار بأمره لكنها الخيار الوحيد حالياً نهض من مكانه وتوجه إلى الخارج ليتصل ب نور التي أجابت على الفور ظناً منها أن أليسا من تتحدث, جمدت من كلمات هشام وهرعت من فورها ناحية فيلا أليسا بعد أن أملاها هشام الموقع "

عاد إلى الداخل ليجد أن أليسا قد تمددت على الأريكة بوضعية الجنين مغلقةً عينيها, صعد ناحية إحدى الغرف ليحضر لحافاً انحنى ناحيتها وقام بتغطيتها... أحست لتفتح عينيها المحمرتين وكأنها تناجيه أن يبقى بجوارها, شعرت بأنه يريد الهرب...كان يقاوم محارباً ضربات صدره بأن يأخذها بين ذراعيه ليمدها بالقوة والصلابة , لكنه يعرف بأن هذا لا يجوز....لا يصح له بأن يفعلها, مسح على شعرها برفقٍ وهمس: أنا هنا, سأبقى بجانبك اتفقنا, نامي الآن"

وكــأن كلماتـــه مـــع ابتســـامته المطمئنـــة جعلهـــا تطمـــأن لتســـدل أهـــدابها المرهقـــة لتغفـــو مجـــدداً هربـــاً مـــن قســـوة الواقـــع ومرارتـــه, تراجـــع هشـــام إلـــى الـــوراء وجلـــس علـــى الأريكـــة محـــدقاً بهـــا بعـــدما شـــغل القـــرآن الكـــريم علـــه يبـــث الســـكينة لنفســـها, والرحمـــة لوالـــديها المتوفان....دلفـــت نـــور بقلـــقٍ مـــن بوابـــة المنـــزل بعـــدما شـــاهدته مفتوحـــاً وهشـــام يجلـــس علـــى الأريكـــة المقابلـــة لإليســـا, توقـــف مكانـــه لتتقـــدم نـــور ناحيتهـــا بحـــزنٍ جلـــي, تبـــادلا بضـــع كلمـــاتٍ ليتـــرك بعـــدها اليســـا مرغمـــاً مـــع نـــور ويغـــادر لأنـــه حاليـــاً الطـبيبُ الرئيسي بقسمِ الطوارئ وتواده ضروريٌ جداً .

كـــان المســـاء قـــد حـــل لتعـــود دلال إلـــى الفـــيلا مســـرعةً بينمـــا نـــور كانـــت قـــد ظلـــت طـــوال تلـــك الفتـــرة برفقـــة أليســـا بعـــدما أعلمـــت آدم بمـــا جـــرى وبأنهـــا ســـتتأخر, جلســـت دلال برفقـــة نـــور و أليســـا التـــي مـــا تـــزال نظراتهـــا الكســـيرة تتنـــاوب بينهمـــا, إنهمـــا غريبتـــان عنهـــا, لـــن تشـــعرا بمـــا تعانيـــه أبـــداً, تـــرى نظراتهمـــا الشـــفقة تجاههـــا فتـــزداد ألمـــاً, ربتـــت دلال علـــى كتـــف نـــور وقالـــت بهـــدوء : بإمكانـــك الرحيـــل إن رغبـــتِ أنـــا برفقتهـــا ولـــن أتركهـــا " تطلعـــت نـــور إلـــى ســـاعتها التـــي قاربـــت علـــى التاســـعة مســـاءاً لتهـــز رأســـها موافقـــةً علـــى مضـــض ثـــم ربتـــت علـــى كتـــف اليســـا وعانقتهـــا مواســـية: ســـأمر عليـــكِ صـــباحاً " أومـــأت لهـــا أليســـا بصـــمتٍ لتغـــادر نـــور

وتبقى دلال برفقتها وهشام يتصل كل ساعةٍ للاطمئنان عنها ولا يستطيع المجيء لأن الوقت متأخرٌ والفتاتان بمفردهما"

أطلت الشمس أخيراً لتفك القيد عن حرية تحركاته ليتجهز هشام منطلقاً ناحية حبيبة الروح التي لم يمل الليل وهو يحادثها حتى ولو لم تجبه أو أجابته بمجرد همهمات, حتى تأكد من أنها غفت ليلاً, وصل صباحاً ليرى الفتيات مجتمعاتٍ حولها, دلال, عسل, نور, جمانة, عبير والتي عرف بأنها والدة مراد... للحظةٍ ارتعدت أوصاله وهو يرى أنها فعلاً بكنف عائلةٍ محبة, شعر بالخوف على الرغم من شعوره بالأمان لتواجدهم حولها, دلف كذلك آدم وكريم ليتكفلا بإجراءات العزاء اللازمة, الجميع يتحدث, يتحرك, يساندها .. حتى قرر كريم وآدم المغادرة لأعمالهما , ربت آدم على كتف هشام قائلاً بهدوء: الفتيات سيهتمن بها لا تقلق دكتور" تطلع به هشام وأومئ للجميع بامتنان لينطلق إلى عمله برفقة دلال التي أصرت كذلك عبير على ذهابها.

-ماما عبير" نطقتها أليسا وهي تسند رأسها على حجر عبير ثم أردفت: شكراً لحضورك"

قبلتها عبير بعطف وأجابت: بهية يرحمها الله كانت صديقتي المقربة, وأنتِ يا أليسا معزتك ومكانتك بقلبي لك مكانة نور وعسل, لعن الله الشيطان الذي تدخل بينك وبين م٤٤"

قاطعتها أليسا برجاء: لا تذكريه أمامي, لا تخبروه رجاءاً لا أريد رؤيته"

أشفقت عبير عليها وربتت على كتفها وقد رضخت لمطلبها...

****

يجلس بإحدى الملاهي الليلية وهو يقبض على كأس المشروب بين يديه يتطلع بتلك الراقصة التي يهتز جسدها بجنونٍ متزامنةً مع الموسيقى المجنونة التي تتواثب في المكان, منتظراً مراد الذي واعده بهذا المكان, استند برأسه على كفه يلعب بفوهة الكأس حتى ألقى مراد السلام عليه, نهض وصافحه بابتسامةٍ واثقةٍ

-مراد بك...شرفٌ لي قبولك دعوتي المتواضعة.

تبسم مراد بلباقةٍ مجيباً: مع أني حالياً أحاول جاهداً الابتعاد عن هذه الأماكن, لكن لم أشئ رفض دعوتك سيد عماد"

جلس الرجلان يتبادلان الأحاديث ومن بينها أفكار عماد عن فيلا أحلامه التي أراد من مراد خصيصاً تصميمها:

-أريدك أن تعتبر أن تلك الفيلا هي ملكٌ لك...أبدع في تصميمها رجاءاً أريدها ذات تصميمٍ فريد وأخبرتك سابقاً أن الميزانية مفتوحة"

نطقها الرجل بجدية ليجيبه مراد برزانة:بغض النظر عن الميزانية أنا كل مشروعٍ أصممه أعتبره لي , لا تقلق, ستحصل على منزل أحلامك"

-لهذا اخترتك أنتَ لتصميمه, أنتَ عبقريٌ يا رجل"

تطلع مراد على ساعته التي تجاوزت الواحدة ليلاً ونهض قائلاً بهدوء: والآن أستأذنك عماد بك عندي عملٌ غداً صباحاً والمكان هنا أصابني بالصداع, بإمكانك المرور على المكتب لتوقيع الأوراق ولنباشر العمل"

أومئ له بابتسامةٍ واثقة ليغادر مراد الملهى بينما رفع عماد الكأس وتجرعه بالكامل قبل أن يضع الكأس على الطاولة محدثاً دوياً لم يصل لأحدٍ من الحاضرين بهذا المكان الشيطاني حتماً.

الفصل الحادي عشر

تمطت عسل قليلاً أمام بوابة مدرستها قبل أن تتجه على مضض ناحية فهد الذي يتكئ على سيارة رضوان بانتظار أن يوصلها إلى المنزل, يضع نظارته الشمسية ويقف تحت أشعة الشمس التي تلتهب فوق رأسه, انزل قدمه حينما تقدمت وتوقف راسماً ابتسامةً عريضة تظهر غمازتيه الغائرتين قائلاً وقد أيقن بأنها لن تتكلم : صباحُ العسل"

توقفت أمامه ببلاهة قبل أن تهتف بغضب : أتغازلني يا محترم ومن ثاني يومٍ فقط لعملك عندنا ! واللهِ لأشكوك لأخي" أخرجت الهاتف لتتصل لكنه سحبه من بين يديها بخفة مجيباً: لا بد وأنك فهمتني بالخطأ...آنسة عسل" أقصد صباح الخير.... أنسة عسل, سقطت كلمتان سهواً"

-وأل التعريف التي بدئتها على اسمي ؟

قطبت حاجبيها تتساءل بحنق لترتسم ابتسامةٌ هادئة على شفاهه مجيباً: أل التعريف جاءت من حيثُ لا أدري...تحدث مثل هذه الأمورأحياناً"

نفخت بعصبية وفتحت باب السيارة ورمت الحقيبة لتجلس بعدها على المقعد الأمامي وهي تهتف به : انطلق وكف عن الثرثرة"

أدى لها تحيةً مرحةً بيده واستقل مقعده مشغلاً السيارة فرفعت صوت المسجل على أغنيةٍ صاخبةٍ ذات إيقاعٍ تدندن معها متجاهلةً فهد الذي يدرس حركاتها جيداً, مد يده بتلقائيةٍ وأطفئ المسجل وبدل الموسيقى لأخرى هادئةً لتقطب حاجبيها : من سمح لك بتبديلها؟

رفع كتفيه قائلاً ببرود: الموسيقى هي التجسيد الملموس للجمال المسموع يا عسل، ودونها سيغدو الإنسان كائناً، جافاً، مُتصحراً، خاوياً، عيناً دون دمعها، وجسداً دون روحه... أنتِ بهذا الوقت وبعد ساعات دوامك تحتاجين ما يهدئ روحك, تحتاجين ما يسمو بك نحو السكون والراحة لأعصابك لا ما يزيد توترها"

فتحت فاهها بغباء بنتٍ في الخمسة عشر عاماً يحدثونها عن المفاعل النووي ! ابتسم لها ابتسامةً غارت على أثرها غمازتيه وأردف بهدوء ..الموسيقى الصاخبة لها وقتها صدقيني ...

زمت شفاهها وقد أغراها حديثه حقاً عن الموسيقى وبعد محاولاتٍ جاهدةٍ من المقاومة استدارت مجدداً ناحيته وسألت: ومتى وقتها يا ترى؟

خلع نظارته بعدما دلفت السيارة بداخلِ نفقٍ بعد أن سلك طريقاً أطول ليكسب زيادةً في الوقت, وأجاب دون أن يتطلع ناحيتها: عندما تشعرين بالتوتر مثلاً... بالغضب, عندما تشعرين بأنك تريدين تفريغ شحنةٍ سلبية ضعي اغنيةً صاخبة...سيتناغم جسدك معها, سيفرغ غضبك من خلال الحركات اللاإرادية التي تقومين بها, كالطرق بأصابعك, هز قدميك وأنت جالسة, لربما الرقص كذلك...

تطلع فيها يحاول استشفاف تأثير كلماته فكانت نظرة الغباء ما تزال تطل من حدقتيها البنيتان : فهمتِ"

تساءل بابتسامةٍ هادئة لتتنبه على شرودها بعينيه السوداوين الرائعتين وتقول باندفاع : طبعاً....فهمت هل تظنني غبية؟

هز رأسه نافياً واجاب : لستِ غبيةً حتماً"

-حسـنـاً إذن أنـا الآن كمـا أخبرتني...متـوترة وأحتـاج لموسـيقى صـاخبة" لاحـت ابتسـامةٌ هادئـةٌ علـى محيـاه قـائلاً : أنـت الآن مرهقـة, وهنالـك فـرقٌ كبيـر بـين الإرهـاقِ والتـوتر و الغضـب, فرقي بـين المشـاعر التـي تنتابـكِ لتسـتطيعي اختيـار الأغنيـة التـي تناسب حالتكِ المزاجية"

ضحكت باستهزاء متسائلة: أنت سائقٌ أم خبير صوتيات ؟

-لسـتُ خبيـر صـوتيات, أتكلـم عـن تجربتـي الشخصـية, اسـمعي الآن...لنجرب هذه التجربة ما رأيك؟

-ومـا هـي ؟ تسـاءلت بعـدم فهـمٍ ليعـرج نحـو شـارعٍ جـانبي حيـث خفتـت ضوضـاء السـيارات حتـى صـارت شـبه معدومـة...أوقف السـيارة وقـال بهـدوء : الآن أغمضـي عينيـكِ وأرجعـي رأسـكِ للوراء واستمعي إلى هذه المعزوفة اتفقنا"

-مـا هـذا الغبـاء؟ قالتهـا ضـاحكة ليجيـب بـذات الابتسـامة: ألـم نتفق أن تجربي"

-حسـنـاً حسـنـاً... لكـن بعـدها سـتتجه فـوراً إلى المنـزل كـيلا أتـأخر "

-اتفقنا لن أؤخرك" قالها لتغلق عسل عينيها وترجع برأسها إلى الوراء تستند به على المقعد ليشغل لها الموسيقى... كانت تبتسم بسخريةٍ فلم تأخذها على محمل الجد ليتأملها مقاوماً ضحكاته ثم أطفئ الموسيقى فوراً لتفتح عيناً من عينيها وتقول ساخرة: هل انتهت التجربة الخارقة, ومن هذا ؟ تعالت ضحكاته وهز رأسه نافياً : لا طبعاً لن تنتهي حتى تأخذيها على محمل الجد وتكفي عن الابتسام كالخرقاء وثانياً إنها موسيقى ضوء القمر لبيتهوفن"

-آه بيتهوفن.. تشرفنا, حسناً لا تتجاوز حدودك فلستُ خرقاء ",

-حاضر لن أتجاوز حدودي, هيا أغمضي عينيكِ مجدداً وكفي عن الابتسام"

أومأت له وأعادت الكرة مجدداً هذه المرة تقاوم ابتسامتها حتى استطاعت فعلاً الاسترخاء والاندماج بالموسيقى وبعد خمس دقائق أوقفها... استغرقت القليل من الوقت حتى تفتح عينيها مجدداً بابتسامةٍ بلهاء على محياها, هز رأسه متسائلاً : هاه بما تشعرين الآن؟" .

_أشعر بالسخافة ! انطلق بحق الله ما هذا الهبل !" عض شفاهه بحنقٍ بينما تعالت ضحكات عسل العابثة وهي تعيد تشغيل موسيقاها الصاخبة تستمع لها ليشغل السيارة وينطلق مكملاً طريقه..مع أنها فعلاً شعرت بالاسترخاء والسكون.

****

اعتاد على زيارتها منذ عدة أيام بعد انتهاء دوامه كل يومٍ منذ وفاة والديها, جلس على الأريكة المقابلة لتستقبله بفستانها البيتي الأسود الطويل ذو القبة الخانقة, وشعرها المتماوج الذي يميل للاحمرار, توقف بلا إرادةٍ منه يحدق بهذه الزهرة الذابلة ومع ذلك بدت كالقمر بالنسبه له,وضعت جمانة فنجان القهوة أمامه تحدق فيها فبدت اليسا كمن يأخذ حفنةً من الملح ويسكبها فوق جراحه لتزيد من آلامها الصامتة وهي منفصلةً عن الواقع .

كيف حالكِ اليوم؟ تساءل بابتسامةٍ هادئةٍ لتهز رأسها مجيبة: الحمد لله"

-ما رأيكِ أن نتمشى بالحديقة قليلاً, الجو رائعٌ الليلة"

-لا أريد"

حك هشام ذقنه بينما هزت جمانة رأسها بيأس فغمز لها بعينيه بأنه سيقنعها حتماً ثم حادث أليسا مجدداً :عليكِ الخروج ومعاودة العمل بالمستشفى لتتجاوزي محنتك, لن تنسي إذما بقيتِ تعتكفين بالمنزل.

-أتريد مني أن أنسى أهلي ؟ هتفت بها بحنقٍ لينهض ويجلس بجانبها قائلاً بعتاب : لم أقصد بأن تنسي أهلكِ طبعاً, لكن هذه مشيئة الله, وواجبكِ كطبيبة يجعلك مجبرةً على مزاولة مهنتك حتى رغم آلامك.

أعقبت جمانة بعدما تطلعت على جواد الذي يلعب بالصالة... : نعم يا اليسا الدكتور هشام على حق عليكِ العودة لعملك أو على الأقل اخرجي لحديقة منزلك لتشتمي هواءاً نقياً الجلوس بالمنزل سيزيد آلامك"

حدقت اليسا بجمود ناحية جمانة التي اعتادت بشكلٍ شبه يومي أن تزوها بل وتمكث معها طيلة الفترة الصباحية حتى تصل دلال مساءاً...

****

ولـمَ لـم تخبريـني قبـل الآن !! انـتفض مـراد صـارخاً بحـدة علـى نـور وأردف بغضـب : لـو لـم أعـرف بالصـدفة مـن الانترنـت بعدما استطعت تصفحه لم يكن ليخبرني أحد!!

أخي..أهـدأ كنـت منشـغلاً جـداً بـالفترةِ الماضـية...,و.. والله لا دخل لي كانت أيضاً لا ..لا أعرف يبدو أنها لا تريد رؤيتك !

-لا تريد رؤيتي !!

-لا تريـد رؤيتـي!!! ارتفـع صـوته بحـدة وقـذف بفنجـان القهـوة المتموضـع علـى المنضـدة بجـواره ورد بحنـق : طبعـاً... أكيـد مـا أنـا مـراد الوغـد عـديم الشـرف والـذي أحـال حيـاة الجميـع لجحيم"

-أخي لا تتكلم بهذه الطريقة!!

مسـح وجهـه بيديـه وغـادر حانقـاً بينمـا تناديـه نـور وعسـل لتهدئتـه لكنـه لـم يسـتجب وغـادر وهـو يتمـتم بغضـب : الكـل يعرف وأنا كالعادة خارج حساباتكم بكل شيْ...

انطلـق بسـيارته بسـرعةٍ ليتهـادى بعـض دقـائق علـى أعتـاب المستشـفى بعـدما توجـه للفـيلا القديمـة التـي يعرفهـا لكنـه تفـاجئ بـأنهم قـد انتقلـوا منـذ زمـنٍ منهـا... توقـف بسـيارته

مغمضـــاً عينيــه يحــاول تهــدأة أعصـــابه التـي تلُفَـت, فـــتح زر قميصـه ليـدلك رقبتـه وقـد شـعر باختنـاقٍ شـديد, فـدفع البـاب ليخــرج وهــو يتــنفس بصـعوبةٍ وقــد اشــتعلت النيــران بصــدره, كـان يريـد تحطـيم كـل مـا حولـه, كـلُ شـيْءٍ تمنى أن يحطمـه هــذه اللحظــة وهــو يســتند بيديــه علــى ســيارته تتعــاظم آلام صـدغه ولـم يسـتفق مـن غضـبه إلا علـى صـوتٍ أنثـويٍ ينـاديـه: هل أنتَ بخيرٍ سيدي ؟

رفــع رأســه بهــدوء وتطلــع ناحيــة الجهــة اليمنى ليفــاجئ الاثنــان : سيد مراد ! ...أنتَ بخير؟

ضـيق عينيــه يحــاول تــذكر ملامــح هــذه الشــابة المحجبــة حتى تبسم بتكلف : آنسة دلال !, أنا بخير لا تشغلي بالك"

-اسمح لي...لا تبدو بخير

أخــذ نفســاً عميقــاً واعتــدل بوقفتــه أكثــر رافضــاً دعوتهــا لكنهــا قالــت بهــدوء: لــو ســمحت ســيدي وجهــك محــتقنٌ جــداً, دعني أقيس لك الضغط على الأقل.

-لا...لكن..ســآخذ كــأس مــاءٍ فقــط " ومشــى معهــا ليــدلفا اســتراحة المستشــفى وارتمــى علــى الكرســي بينمــا توجهــت دلال

مـن فورهـا وعـادت بعـد لحظـاتٍ تمسـك ببيـدها جهـاز قيـاس الضـغط ليزفـر بضـيق : أخبرتـك أنـي بخيـر مجـردُ صـداعٍ وسيزول"

-رجـاءاُ سـيدي" تطلعـت فيـه بابتسـامةٍ مطمئنـة لينصـاع لهـا ويشـمر عـن كـم قميصـه لتقـوم بقيـاس ضـغطه ثـم تقـول بعتاب : أرأيت ضغطك مرتفع قليلاً"

أرخـى كـم قميصـه مجـدداً وحـاول تغييـر دفـة الحـديث: تنـاوبين الليلة هنا ؟

-لا, لكـن لظـروفٍ خاصـة اضـطررتُ التـأخر قلـيلاً " صـمتت قليلاً ثم تابعت بتردد:

-أنتَ...اسـفةعلى تطفلـي ...لكـن جئـت لهنـا هـل تحتـاج إلـى شـيءٍ ما ؟

هـز رأسـه نافيـاً وأجابهـا :لا تشـغلي بالـك " وطـال صـمتهما هـذه المرة لتقطعه بعد فترة: رافقني لأعطيك دواءاً قبل أن أغادر"

-صدقيني لا داعِ لذلك"

اقتربت منها احدى الممرضات قائلةً بامتعاض : اسمعي واليوم كذلك لن يجيء عم عيسى لإيصالنا" تجهم وجه دلال وزفرت بحنق : حسناً سنجمع بعضنا كالبارحة ونستقل إحدى سيارات الاجرة وأمرنا لله" لتوافقها صديقتها وتذهب لإخبار البقية

نهض مراد لتنهض بدورها : أنا مصرة...كإصرارك ذلك اليوم حينما أوصلتني عندما كنت متعبة,دعني أرد لك الدين على الأقل"

تبسم هذه المرة من قلبه وأومئ لها مجيباً : لكن على شرط أن أوصلك مرةً أخرى اليوم فكما سمعت أن عم عيسى لن يوصلكن"

تعالت ضحكات دلال : عم عيسى دائماً مريض...ليكن الله في عونه وعوننا"

وفعلاً ماهي إلا دقائق حتى كانت دلال تستقل السيارة مجدداً برفقته ليقوم مراد بإيصالها مرةً أخرى...

****

أومأت لهن أليسا بطاعة لتخرج إلى الحديقة عل الهواء العليل يزيل عنها القليل من الحزن الذي استعمر فؤادها وجلست على الكرسي بينما استأذن هشام للذهاب إلى الحمام وقد انشغلت جمانة بجواد لتجلبه فقد تأخروحان وقت رحيلها, لمحت إليسا سيارةً تقترب حتى توقفت بساحة الفيلا.. استدارت ونهضت عن كرسيها ليترجل مراد ودلال من السيارة بذات اللحظة التي تطلعت فيها بصدمةٍ زلزت كيانهما معاً ...

اجتاحتها مشاعرٌ متضاربةٌ لا تعرف كنهها, هبت مشاعرٌ محملةٌ بعبق الذكريات الغابرة.... بعبق الألم والحنين الموجع لرجلٍ اغتال مشاعرها, ودهسها بعنف مراتٍ ومرات... والغريب أنه دهسها كذلك هذه اللحظة ودلال برفقته, واختفت ابتسامةُ مراد حينما ظهرت أليسا أمامه, أكانت كفينوس أو هكذا ترائى له ! توقف صوته وهو يحادث دلال التي تشكرته, اختنقت الحروف بحنجرته ولم تخرج وهو يرى ذبولها بهذا الشكل توقف قلبه عن النبض, توقف الزمن به وهو يتطلع بها, بثوبها البيتي الأسود الذي يسترسل على طول جسدها الممشوق لشعرها الذي يتهادى على كتفيها

استدارت دلال بتلقائيةٍ ناحية إليسا التي احتقن وجهها..لتنفرج عينيها بصدمة والآن فقط لربطت بين اسم مراد زوج اليسا السابق وهذا الرجل...بل وتذكرت أنه ذاته من تشاجرت معه منذُ عام حينما سألها عن إليسا, تمتمت بسخطٍ تكلم نفسها : يا لغبائي, كيف لم أتذكره!

ووسط فوضى المشاعر المتضاربة تقدم مراد ناحية اليسا بخطى بطيئة...يسير ويسير لكن قدماه لم تقودانه إليها رغم المسافة القصيرة التي تفصله عنها, نقلت دلال عينيها بينهما " سلخت اليسا نظراتها القاتلة عنه, تشكرته دلال وهربت لتتركهما بمفردهما, استدارت اليسا لتلحق بدلال لكن يده سارعت بالتقاط ساعدها وشفاهه تقول: رجاءاً....إليسا.

استدارت وتطلعت بضيق ناحية كفه التي تقبض على ساعدها فأنزلها فوراً, قال بلهفة : لم أعرف أنكِ تقطنين هنا" ثم أردف:

-ليرحمهما الله, علمت اليوم فقط بالحادثة , ذهبت لمنزلكم القديم وعلمت بأنكم انتقلتم.

اقترب منها أكثر باللحظة التي خرج فيها هشام ليرى مراد أمامها ويشعر بلطمةٍ قويةٍ على صدره.... قال مراد بعد صمتها المطبق:

-أعرف أن الوقت ليس ملائمٌ لكن....هل لنا أن نتحدث

-لا شيء نتحدث فيه مراد بك.

-بلى إليسا يوجد" .....

-لا أعلم ما يدور بخلدك, لكن....صدقني, بالنسبة لي انتهى كل شيء"

تقدمت جمانة لتنضم لهشام الذي يراقب حديثهما أعلى الدرجات القليلة ولا قدرة له على الاقتراب, لتهمس بتفاجئ بجانبه : مراد هنا!

كان الصغير أن يهرع ناحيته لكن جمانة حملت جواد وقالت بهدوء : ليس الآن عزيزي...

-لم أستطع أن أكون بجانبك حتى بهذا الوضع ...آسف " قالها مراد فأشاحت بنظراتها بعيداً تكافح لخنق دموعٍ تتسابق للتمرد والتساقط تقدم منها أكثر قائلاً برصانة : لا

أريد منكِ أن تتقبليني بحياتكِ مجدداً إن لم ترغبي لكن...أود فعلاً أن أكون بجانبكِ هذه اللحظة,على الأقل حتى تتجاوزي محنتك"

لكنها تبسمت بقوةٍ استهجنها فعلاً تهدج صوتها مجيبة:سأتجاوز هذه المحنة بكَ أوبدونك"

شد فكه متنفساً بعمق قبل أن ينطق :لا أريد منكِ شيئاً...سوى أن تسامحيني, أنا آسف....

قاطعته وأجابت وهي تحدق بعينيه بقوة :

-وأنا آسفة... آسفةٌ على سنواتِ عمري التي ضاعت هباءاً برفقتك, آسفةٌ على مشاعر تذوقتها لأول مرة بحياتي....ظننتها ستستمر أبد الدهر مع أولِ حبٍ بحياتي...لا ليس أول حب, بل من تبرعمت مشاعر الحب على يديه, لكنه أثبت لي أن الحب كذبة وأن الخيانة هي من أصل البشر!

وهربت من أمامه لتجتاز هشام الذي تبسمرَ أمام الباب, رفع مراد نظراته ليتلقى الصفعة العاشرة لهذا اليوم. ... جمانة هنا, وهشام أيضاَ ... دلف هشام وراء إليسا وكأنه من أهل المنزل, أطلق بسمةً بروحٍ ميتة ناحيتهم...وكأن الثلاثة

يقيمون حفل تأبينٍ لروحه وهم يدورون حول جثمانه !حتى جواد الصغير الذي ركض ناحيته متمسكاً بساقه لم يستطع أن يلتفت ناحيته كما العادة !

أغلقت اليسا باب غرفتها واستندت عليه مغمضةً عينيها بقهر تكافح لتتنفس وهشام توقف أسفل السلم يتطلع لأعلى بينما تراقبه دلال من الصالة بغيرةٍ تنهش روحها...مراد تحاشى جمانة التي تتطلع ناحيته بشفقة وابتلع الغصة المستوطنة بأعماق روحه وغادر.....الانكسار قد تضخم ليشمل الجميع هذه اللحظة, انكسرت أرواحهم وتناثرت شظاياها تخترق صدورهم واحداً تلو الآخر...

هرب مراد كعادته مع أنه كان راغباً بهذه اللحظة بأن يخبر اليسا بما اعتمر بصدره منذ سنوات.. أراد بأن يخبرها بأنه نادمٌ فعلاً, يحترق على كل دمعةٍ ذُرِفت من عينيها بسببه...يريد الصفح فقط! استدار مجدداً ليستقل سيارته وارتمى على المقعد بينما ارتمت إليسا على سريرها...خارت قواها أخيراً لتطلق العنان لدموعٍ حبستها طويلاً لكن مراد ...سجن دموع عينيه بأهدابه, أغمض عينيه بقوة, ضغط بإصبعيه عليهما و هو يلعن جبنه وخوفه وماضيه, صعد

هشــام بتثاقــلٍ درجــات الســلم حتــى توقــف أمــام غرفتهــا, طــرق الباب وهو يستمع لشهقاتها الباكية التي سحقت روحه.

تراجعــت دلال نحــو الحديقــة علهــا تبكــي بحريــةٍ بعيــداً عنهمــا... وظــل مــراد يســتند برأســه علــى المقــود لــدقائق منتظــراً جمانــة التــي فهمــت انتظــاره لهــا ليقــوم بإيصــالها لأن الوقــت قــد تــأخر, تقــدمت بخطــى متــرددة بينمــا يكــافح جــواد النــوم لتضــعه علــى المقعــد الخلفــي وتتقــدم لــتجلس بجانــب مــراد الــذي رفــع رأســه حينمــا جلســت بجانبــه وصــفقت البــاب, تجاهلهــا وشــغل الســيارة لينطلــق بهــا وســط صــمتٍ مطبــق, غفــى الصــغير بعــد دقــائق ورن هــاتف مــراد الــذي اخــذ نفســاً عميقــاً وزفــره برويــة, أوقف السيارة وأجاب : أهلاً فهد....

اخــذ نظــرةً خاطفــةً ناحيــة جمانــة التــي تشــرد بالنافــذة خارجــاً وأردف يحادثــه : ســنلتقي إذن إن شــاءالله غــداً, وشــكراً لــكَ مــرةً أخرى.

صمتَ قليلاً يسمعُ اليه وأجاب بنزق فليسَ وقته الآن :

- أعــرفُ أن الوضــع صــعبٌ عليــك لكنــه الحــل الوحيــد, لا أريــد أذيتها فلن تتقبل الأمر إذا كان مباشراً.

الفصل الثاني عشر

توقف مراد بعد دقائق أمام فيلا عمه محمد دون أن يتفوه بحرف, استدارت جمانة ناحيته وتطلعت بتعابير وجهه المتجهم: شكرا للتوصيلة"

نطقتها جمانة ليهز مراد رأسه وهو لا يتطلع بها فشعرت بما يعانيه من ألم في الفترة الأخيرة, فتحت باب السيارة وترجلت منها وكادت أن تفتح باب الجهة الخلفية لتحمل صغيرها فعالجها بقوله: لا تنسي وشاحك" استدارت ناحية يده الممدودة بعدما ترجل كذلك لكنها هزت رأسها نافية: ليس لي"

ضيق ما بين حاجبيه ليغمغم معتذراً: إذن هو لدلال, لا يهم أعيديه إليها عندما تزورينهم" انفرج حاجباها دهشةً كونه يعرف دلال بل وتستقل السيارة برفقته, شردت قليلاً قبل أن تمد يدها وتتناولته من بين يديه : حسناً سأفعل" وحملت الصغير لتغادر وسط نظراته التي جاهد لانتزاعها عنها"واستقل سيارته من جديد مستكملاً الطريق إلى منزله وتمتم بابتسامةٍ متألمة : ما زلتِ تضعين العطر نفسه!

أطل صباح اليوم التالي تجهزت ورفعت شعرها المائل إلى الحمرة, وتطلعت بنفسها في المرأة باللباس الأسود الذي ترتديه, ابتداءاً من البنطال حتى القميص والجاكيت, أحكمت لف وشاحها الصوفي الأزرق حول رقبتها وخرجت لتلحق بدلال قبل مغادرتها,

وصلتا بعد مضي نصف ساعة, لتتلقى التعازي من الجميع أما هشام فلأول مرةٍ يكون قد تأخر في الذهاب, لقد طال سهاده الليلة الماضية بعدما جرى بمنزل اليسا, حينها لم تجبه بل اكتفت ببكاءٍ متألمٍ ليرتد عن الباب بضع خطوات ويجلس أعلى الدرجات بدون حولٍ ولا قوة, يريد مواساتها, طمأنتها أنه هنا, لكن مجيء زوجها السابق حطم كل شيء

بقي لساعةٍ من الزمن يجلس أعلى السلم حتى انقطع صوت بكائها, اقترب من الباب أكثر يستمع فعلى الأغلب قد غفت لشدة إرهاقها, أطلق تنهيدةً عميقة وهرول بعدها درجات السلم ليغادر المكان, حينها حتى بمنزله جافاه النوم,

****

ارتـــدت إليســـا معطفهـــا الطبـــي وشـــرعت بمعاينـــة أحـــد المرضـــى, تجـــاوزت الســـاعة العاشـــرة والنصـــف, وصـــل هشـــام أخيـــراً وفـــور وصـــوله اشـــترى لنفســـه القهـــوة علـــه يتنشـــط قلـــيلاً ثـــم بـــدأ بعملـــه ليعـــود بعـــد فتـــرةٍ لمكتبـــه... دلـــف إلـــى الـــداخل ليتوقـــف علـــى بعـــد خطـــواتٍ مـــن المكتـــب ويبتســـم بحنـــو بعـــدما رأى أليســـا منهمكـــةً بالعبـــث بحاســـوبه جلـــى صـــوته قـــائلاً بإشراق: وأتسائل لما كان المستشفى منيراً على غير عادته..!

جفلـــت إليســـا لثـــوان لحديثـــه المفـــاجئ لكنهـــا تبســـمت : - أهـــلاً دكتور, تأخرت اليوم على غير عادتك"

-إحـــداهن أطـــارت النـــوم عـــن عينـــي ليلـــة البارحـــة " قالهـــا بمـــرحٍ وغمز لها ثم ارتمى على الكرسي أمامها لتجيب بخجل:

-آسفةٌ على ما جرى لم أودعك بشكلٍ لائق"

-لاعليـكِ...المهم أنـكِ بخيـر" أومـأت لـه وانشـغلت مجـدداً تعمـل علـى الحاسـوب ليقـول باسـماً وهـو يحنـي جذعـه للأمـام مسـتنداً بكفـه علـى الطاولـة: - لـو كنـتِ زوجتـي لقلـت أنـكِ تفتشـين ورائي بغيابي"

أطلقت ضحكةً خافتة على كلماته وقالت بخجل: أتثقف قليلاً من مجلداتك الشيقة , يبدو أن معلوماتي الطبية عن بعض الأمراض بدأت تتبخر"

-إن كان الأمر كذلك فاعبثي به على راحتك " ثم مال هامساً : لكن إياكِ أن تقربي على ملفٍ يحمل عنوان

(Stealing my heart) غمز لها نهض وغادر المكتب!

****

وعلى عكس الهدوء النسبي السابق كان المستشفى الذي تعمل به نور تسود حالةٌ من الهرج ....اجتمع الاطباء يستقبلون الحالات الإسعافية جراء انقلاب إحدى الحافلات لتتفاوت الحالات ما بين الحرجة والطفيفة, استنفر الأطباء والممرضون لإنقاذ الأرواح بينما نور ولأول مرةٍ تلمح الجانب الإنساني من أمير الذي نزل عن عرشه الذي لطالما أرهبها به ليقوم بواجبه على أكمل وجه على الرغم من كونه مختصاً بالجراحة لكنه نزل ليكون معهم, , بل ولمحت لثوانٍ لمعةً من الطيبة والنقاء بعينيه الزرقاوتين عندما تلاقت نظراتهما لوهلةٍ حينما اجتمعا على علاج أحج المصابين الذي عانى من

كسرٍ بالرقبة... أشاحت بنظراتها عنه وانشغلت بعلاج الرجل ليتنهد أمير بعد أن استطاعوا السيطرة على الوضع ليرتمي الجميع بعدها بإنهاك...بعدما توزع المرضى على الغرف لينعموا براحةٍ مؤقتة.

توجه أمير ناحية المغسلة ليشطف يديه اللتين تلطختا بالدماء وخلع معطفه الطبي الأبيض ورماه بإحدى سلات الغسيل وخرج ليقف امام باب المستشفى ليستنشق الهواء النقي ويريح أعصابه التي تلفت هذا اليوم .. ومن بعيد تقدمت جمانة لتدلف إلى المستشفى ليتطلع أمير بها وقد عرفها فوراً,تابعها بعينيه حتى توارت عن ناظريه ودلف ورائها بثقة, استقلت المصعد كاد أن يغلق لولا أن وضع أمير يده يمنعه ومن الإنغلاق ودلف معها باسماً : صباح الخير"

تطلعت جمانة بهذا الجبل الجليدي الذي سيلتصق بالسقف جراء فارق الطول بينهما وغمغمت باستغراب : صباح النور"

خرجت من المصعد وتوجهت ناحية غرفة التبديل حيث تكلمت مع نور وأخبرتها بمكان جلوسها بينما تابع أمير للطابق

الأخيـر متوجهـاً ناحيــة مكتبــه, دلفــت جمانــة إلــى الــداخل لتفــاجئ بهيئة نور المزرية !!

-مـا الــذي حصــل لتتلــوثي بهــذا الشــكل؟! تنهــدت نــور مجيبــة : حــادثٌ مريــعٌ جــداً حصــل اليــوم.... علــى الــرغم مــن ارتــدائي المعطــف لكــن الــدماء أغرقــت البنطــال كــذلك. لــذلك طلبــتُ منكِ إحضار ملابسٍ لي"

-لا عليكِ أصلاً كنتُ أريدك بموضوعٍ مهم"

-خيراً ؟

-غيــري ملابســك ولــو أنــتِ متفرغــة ســأنتظركِ باســتراحة المستشفى وسنتحدث "

-حسناً لن أتأخر"

****

تطلعــت ناحيــة البــاب لبرهــةٍ ثــم نقــرت علــى هــذا الملــف بعــد بحثٍ بين أقراص الحاسوب عنه...

فضــولها غلبهــا طبعــاً, هكــذا هــي طريقــة البشــر.... لــو قــالوا أن أمامــك تســعةٌ وتســعون بابــاً إدخلهــا كلهــا لكــن البــاب الأخيــر

إيـــاك أن تطرقـــه, ســـنترك الأبـــواب التســـعة والتســـعين وســـتدفع الباب الأخير لتدخله!

وفعـلاً مـا إن فتحـت الملـف الـذي يحمـل عنـوان (Stealing my heart) حتى تفاجـأت بعشـرات الأيقونـات, اختــارت خيــار تكبيـر الصــورلتنفرج عينيهــا .. عشـرات الصــور لهــا, بــل تجميعيــة صــورٍ وأغلبها تم التقاطها لها عن بعد.. !

تاهــت مــع كميــة الصــور المتواجــدة لتمــرر لأســفل حتــى لمحــت ملفــاً آخــر باســم (امتلاكــي) ســعادةٌ غريبــةٌ تغلغــت بروحهــا وهــي تنقــر لفتحــه كــذلك ففضــولها قتلهــا فعــلاً : ملفــات وورد.... الكثيــر منهــا دون أســماء.. اختــارت إحــداها ونقــرت عليــه ... لتنقــر روحهــا تلــك الخــاطرة العذبــة ... بــل نقــراتٍ ونقــراتٍ دغــدغت روحهــا وهــي تقــرأ حروفــه عنهــا ..ومــع كــل حــرفٍ تنفصــل عن واقعها..

))أنــتِ مــن تملكــتِ هــذا القلــب الــذي ينــبض وســينبض لــكِ حتــى آخــر العمــر... اليســا زهرتــي, العطــر الــذي يغلــف ســماء هذه الحياة التي يفوح بها شذاكِ كمعنى اسمكِ تماماً..

(ملاكي! لربما تم استخدام هذا الاسم كثيراً بين العشاق حتى صار بلا معنى ... أنتِ لستِ بملاكي أنتِ امتلاكي... شيءٌ يخصني, كالكلمات حينما تعانقها الأسطر.. كالأسطر حينما تغفو بداخل وريقات الكتاب بسلامٍ إلى الأبد, فلو فكر أحدهم أن يمحو تلك الكلمات...تتمزق صفحاته فيفقد الكتاب محتواه إلى الأبد)

(الحبُ..أنتِ والحياةُ هواكِ)

وغيرها وغيرها..... قلبت وقلبت لتكتنز عينيها بدموعٍ نديةٍ, ذلك الشعور الذي دغدغ روحها لم تستشعره سابقاً بهذه القوة, صحيحٌ أنه اعترف لها سابقاً, لكن كتاباته عنها...خواطره واحاديث روحه الصادقة لها رونقاً خاصاً, تساقطت دمعةٌ على طول وجنتها وهي تلعن غبائها حينما تذكرت والديها ...فباغتها صوته هامساً : أتدركينَ أن أنفاسك المتواجدة بسماء المستشفى هي من يحييني"

انتفض جسدها على تواجده المفاجئ فأغمضت عينيها ليسحب الكرسي ويجلس بجانبها بابتسامةٍ حانية وهمس مجدداً : الفضولُ قتل القط"

تبسمت بخجل وأطرقت رأسها على حجرها وقد جمدت يدها الممسكة بفأرة الحاسوب وشعرت بتشنجٍ بها فلم تستطع حتى إغلاق الملفات.

-أنا... يجب أن..

قالتها بلعثمةٍ ثم استدارت للجهة الأخرى لتغادر فأمسك كفها بسرعةٍ وهمس : إلى متى ستهربين مني؟

تطلعت بيده التي تقبض على كفها وقطبت حاجبيها بضيق ليسحب يده فوراً وينهض متكأً بظهره على الطاولة ,

-أنا...لا أهرب"

-ألم يحن الوقت لتفسحي المجال لتجربةٍ جديدةٍ بحياتك؟

اعتصرت قبضة يدها بتوتر ثم تطلعت فيه وما زالت عينيها تكتنزان بالدموع : أنا حالياً بأسوء أيام حياتي, هذا الموضوع بعيدٌ عن تفكيري حالياً ما لم اعيد التوازن لنفسي.

-لأنكِ بأسوء أيامك دعيني أقف بجانبك, يكفيكِ هرباً من ذكرياتكِ , نظفي روحك من شوائب الماضي وأمسكي بكفي لننطلق لرحلةٍ جديدةٍ سوياً إليسا ...

-المسألةُ ليست بهذه البساطة, أنا.... أنا قلبي ميت أتفهم, أتدركُ ما عانيته بالماضي ؟

تنهد تنهيدةً عميقة وأجاب بصدق : معك حق... لا يشعر بأوجاع الروح سوى أصحابها لكن, أتعرفين ما سينتشلكِ حتماً من ضيقك ؟

تطلعت فيه بابتسامةٍ باهتة وأجابت : من ؟ أنت!

أطرق رأسه إلى الأرض ضاحكاً وقال وهو ينحني تجاه درج المكتب ليخرج منها مصحفاً ثم رفعه قائلاً بثبات: بل توكلك على الله, تحتاجين ما يزيل الشوائب من قلبك وروحك إليسا, والقرآن الكريم وتمسكك بالله هو ما سيفيدك حالياً, لا أنا ولا غيري.

تفاجأت بكلماته الحانية الصادقة ليضج قلبها بعنفٍ فشعرت أن كلماته زلزلت كيانها ...وضع القرآن الكريم على المكتب وأردف: خذيه, اقرأي فيه كل يومٍ ليلاً قبل أن تنامي..بالمناسبة, هذه النسخة هديةٌ من والدي رحمه الله , أي أنها عزيزةٌ جداً على قلبي.

وخطى خارجاً من الغرفة..

تطلعت نور بجمانة باستغراب بعدما جلستا بمقهى المستشفى وقالت بقلق : لا أظنها فكرةٌ جيدة, أخاف أن يغضب إن اكتشف أننا....

مالت جمانة بجذعها ناحية نور وقالت بنفاذ صبر : أتدركين أنه حتى اللحظة لا يستطيع نسياني أو حتى الابتعاد عنها ! إنه عالقٌ بالماضي ولا يتزحزح عنه... أيعجبكِ حالُ شقيقك.

نفثت نور بضيق ورفعت كتفيها : أعرف ما به وأشعر.., إن مراد.. وعلى الرغم من حياته السابقة لكن حبه صادق, عميق, لا يتنازل بسهولة.

-لهذا علينا نحن إخراجه من الماضي.., حتى الآن علاقته جيدة بكريم بعد عودتهم تلك الليلة, لكني خائفةٌ فعلاً من المستقبل من لحظة ضعفٍ أو طيشٍ يتصرفها فنقعُ بمشكلةٍ جسيمة !

اعتصرت نور الكوب بقبضتها وتمتمت : أتمنى أن تنجحي صدقاً... لكن إن علم كريم أوآدم..

-لاا..إيـــاكِ , هتفــت فيهـــا جمانـــة وأردفـــت: هـــذا الموضـــوع بيننـــا فقــط مفهــوم علــى الأقــل فــي القــوتِ الحـــالي و أنـــا اتفقــتُ مــع عسـل علـى ذلـك وتفهمـت الموضـوع بـل وستسـاعدنا, عليـكِ أنـتِ فقط أن تخبريني بالوقت المناسب للتنفيذ.

-حسناً..

****

وضــع مــراد مخططـــات الفـــيلا أمـــام آدم الـــذي رفــع حاجبيـــه دهشةً وربت على كتفه :

-إنه رائعٌ فعلاً !! يا إلهي لن أصل لبراعتك مطلقاً!

اعتـدل مـراد بوقفتـه وحـك أرنبـة أنفـه قـائلاً بفخـر: كـي تعـرف مع من تتعامل"

تعالــت ضــحكاتهما فتســائل آدم: لكنـــه مكلــفٌ جــداً ! هــل أخبرتــه بالتكاليف ؟

قال وهو ينقر بأصابعه على التصميم : الميزانية مفتوحة.

_اللهم لا حسد.

رمـاه مـراد بـالقلم وهتـف : مـا بالـك كالنسـاء العجـائز! ,هيـا وقـع على الموافقة أيها المدير لنباشرالعمل الفعلي !

عـض آدم علـى شـفاهه وتطلـع بتـردد ناحيـة مـراد قبـل أن يلـتقط القلم من على الأرض ويتقدم ليجلس قبالته:

-تعـرف أنـي لسـتُ بمسـتواك..وليس مـن حقـي أن أديـر شـركةً أفنيت أنت ووالدك سنواتٍ من عمركما عليها, أليس كذلك؟

نفخ مراد بضيق : لا تردد تلك الأسطوانة مجدداً آدم!

رمـى آدم القلـم بعصـبيةٍ علـى الطاولـة : هـذه الشـركة لـك, مكانـك الأسـاسـي هنـا خلـف المكتـب لا أمـامي, إلـى متـى سنسـتكمل هـذه اللعبـة السـخيفة! يكفـي بـأني توليـت الإدارة بسنوات غيابك, والآن لقد رجعت فانتهى دوري.

نهـض مـن وراء المكتـب ونفـخ بعصـبية وكـاد أن يغـادر لكـن آدم هتـف بـه : مـا رأيـك بـأن أقـدم اسـتقالتي, وحينهـا لنـرى مـن سيدير هذه الشركة.!

تطلـع فيـه مبهوتـاً وأجـاب : أتريـد أن تضـعني تحـت الأمـر الـواقـع أليس كذلك ؟

تقـــدم منـــه آدم وشـــد علـــى عضـــده قـــائلاً بثبـــات : لا بـــل أريـــد أن أعيـــدك لموقعـــك الأساســـي, لا ســـنك ولا مكانتـــك تجعلـــك تنتظـــر موافقتي على بضع مشاريع.!

تطلـــع فيـــه بثبـــات ليستســـلم ويهـــز رأســـه موافقـــاً ليحتضـــنه آدم وهو يضحك فدفعه مراد بغيظ : ولد" !!

تعالـــت ضـــحكات آدم العابثـــة وركـــض نحـــو المكتـــب ليعبـــث بإحدى الأدراج ثم أخرج الورقة وقال آمراً : وقع.

تقـــدم منـــه مـــراد بتفـــاجئ : أوقـــع علـــى مـــاذا! قـــرأ الورقـــة ليشـــهق : وجاهزةٌ أيضاً!!

-طبعاً...أتريـــد مني أن أنتظـــر كـــي تغيـــر رأيـــك ! لقـــد جهزتهـــا منـــذ عـــامٍ كامـــل, ورضـــوان بيـــك قـــد وقـــع كـــذلك منـــذُ زمـــنٍ طويـــل وتحتاجُ توقيعكَ فقط.

تبســـم مـــراد وجلـــس خلـــف المكتـــب ووقـــع علـــى ورقـــة تنحـــي آدم ليتم تعيينه مديراً فمال من خلفه آدم وقال هامساً:

_حســـناً... أنـــا لـــم أعـــد مـــديراً, لكنـي اعتـــدتُ علـــى البـــذخ...ارفع راتبي حباً بالله"

صــــر مــــراد علــى أســـنانه بغــيظ وضـــربه بكوعـــه علــى معدتـــه ليتمتم بسخط : اكبر يا ولد!!

-حبيبي.

****

الفصل الثالث عشر

الآلام التي تستعمر قلوبنا كأوراق أشجار الخريف...حينما تهب عليها الرياح تتطاير الأوراق حاملةً معها الذكريات المؤلمة...ستتعرى قلوبنا كالأشجار حينها لتلتهب أوجاع الروح...سيلسعنا الصقيع كما الشتاء , لكننا حتماً سنُزهِرُ مجدداً, ستتفتحُ قلوبنا بعد الألم, فهذه هي الحياة...وآن أوان قلبك أن يزهر ((

طوال طريق عودتها وهي تتذكر كلمات هشام, هو محقٌ فعلاً, بكل ما قاله, دلفت إلى المنزل بعدما تجاوزت الساعة االتاسعة مساءاً ونادت على دلال التي سبقتها لانتهاء دوامها , لكنها لم تجب ! تعجبت وبحثت عنها بأرجاء المنزل حتى دلفت لغرفتها فرأتها تصلي, استندت على الباب وتطلعت بها, لطالما كانت دلال تحافظ على فروضها,لم تكن سابقاً تقف عند هذه النقطة لكن الآن تحديداً لا تعرف اليسا لما شعرت بشوقٍ للصلاة التي تناستها مطولاً,أغمضت عينيها وهي تغادر إلى غرفتها وفتحت الحقيبة لتخرج القرآن الكريم الذي أهداها إياه هشام, وتطلعت فيه...هل قراءته ستساعدها حقاً! بعد دقائق نهضت إلى الحمام وتوضأت وفتحت القرآن

لتقـــرأ بـــه, بينامـــا انتهـــت دلال مـــن فرضـــها خلعـــت الإســـدال وذهبـــت لملاقـــاة اليســـا , تقـــدمت خطـــوتين فلمحتهـــا تجلـــس علـــى السـرير وهـي تقـرأ مـن كتـاب الله وقـد تهـدج صـوتها أثنـاء الـتلاوة, تبســـمت بســـعادة وتراجعـــت عـــدة خطـــوات كـــيلا تزعجهـــا وهبطت السلم إلى الصالة لتجلس بانتظارها ,

****

غـــادر أمـــير المستشـــفى, اســـتقل ســـيارته وانطلـــق بأقصـــى ســـرعته فيهـــا ينهـــب الشـــوارع حتـــى توقـــف أمـــام الشـــاطئ, أطفـــئ محـــرك السـيارة وأرجـع برأسـه إلـى الـوراء لـدقائق قليلـةٍ كانـت كافيـةً لاســتعادةِ التــوازن لنفســه قبــل أن يترجــلَ مــن ســيارته وجلــس علـى الكرسـي أمـام الشـاطئ يستنشـقُ عبيـرَ البحـر الأخـاذ الـذي أخـذهُ لرحلـةٍ بعيـدةٍ جـداً أرجـع رأسـه للـوراء وأغمـضَ عينيـه متنهـداً حتـى انتظمـت أنفاسـه, كـانَ مُرهقـاً جـداً هـذا اليـوم جـراء كثـرة المصـابين الـذي قـام بإسـعافهم, لـذلك استسـلم للنـومِ علـى الكرســـي بعـــدما داعبـــت نســـيمات الليـــل البـــاردة جســـده, هاجمتـــه أثنـــاء غفوتـــه صـــورةَ بيســـان وهـــي تصـــرخ .... تصـــرخُ وتشـــتمه حتـــى تقطعـــت أنفاســـها وهـــي تدفعـــه بعنـــفٍ : أنـــت لستَ أخي..... أنتَ شيطان, شيطان!!

تلبـــدت الســـماءُ بغيـــومٍ داكنـــةٍ وبـــدأت قطـــراتُ المطـــرِ تُبلـــلُ وجنتيـــه ليشـــهق وقـــد تعالـــت وتيـرة ضـربات صـدره, حـــدق ناحيـــة الســـماء مُســـتقبلاً دمـــوعَ الســـماءِ بصـــمت, هـــذه اللحظـــة دمعـــت عينـــاهُ لتمتمـــزِجَ بقطـــرات المطـــر تـــدارك نفســـه وهـــبَّ واقفـــاً وخطـــى نحـــو ســـيارته وارتمـــى بـــداخلها وانطلـــق ومـــا زالـــت كلمـــاتُ شقيقته بيسان تطرقُ ناقوسَ ذكرياته:

-أنـــتَ ووالـــدك لعنـــةٌ حلـــت علـــي... بســـببكَما تـــدمرتُ وخســـرتُ حُبَ حياتي.

صـــفعها حينهـــا بعنـــفٍ لترتمـــي تحـــت قدميـــه فـــانحنى تجاههـــا وهـــو يقـــبضُ علـــى شـــعرها بعنـــفٍ وجرهـــا ناحيـــةَ غرفتهـــا ومـــا زالـــت تتلـــوى مـــن الألـــم, قـــاطع شـــهقاتها الباكيـــة وهـــو يهتـــف: إن ســـمعتُ كلمـــةً أخـرى عنـــه ســـتكون نهايتُـــكِ علـــى يـــدي ســـتتزوجين من أحمد وهذا قرارُنا الأخير.

تطلعـــت فيـــه بعجزِحينهـــا ووقفـــت مترنحـــة, وبلحظـــاتٍ كانـــت بيســـان قـــد زحفـــت بإنهـــاكٍ ناحيـــة الشـــرفة وبلحظـــةٍ رفعـــت ســـاقيها وتعلقـــت علـــى الســـور, انفرجـــت عينـــاهُ بهلـــعً وخطـــى تجاههـــا لكنهـــا صـــرخت مُجـــدداً : لـــن أقبـــل بـــه , أفهمـــتم, المـــوتُ

أهـــونُ علـــيَّ مـــن هـــذه الزيجـــة الملعونـــة, ان كنـــتَ أنـــتَ لعبـــةً بـــي والدك لن أكون أنا كذلك يكفي ما أمرُ به.

قالتهـــا وقـــد تهـــدج صـــوتها... ارتعـــب مـــن فكـــرة فقـــدانِ شـــقيقته الوحيـــدة وتوســـلها حينهـــا بـــأن تهـــدئ لكنهـــا كانـــت مُغيبـــةً تمامـــاً عـــن التعقـــل,اقترب خطـــوةً أخـــرى منهـــا وهـــو يتأســـفُ ويعتـــذر فهـــذا قرارُ أبيه , وعدها بأنهما لن يزوجوها من ابن ذلك التاجر.

وفعـــلاً هـــدأت قلـــيلاً إثـــر كلماتـــه ونبرتـــه الصـــادقة وحينمـــا قطـــع الخطـــوات القليلـــة للإمســـاكِ بهـــا كانـــت قـــد تبســـمت وهمســـت وكأنهـــا انفصـــلت عـــن الواقـــع : لكـــن آدم, وبعـــدَ كـــلِ شـــيء تـــزوج !! تركني أنا وتزوجها!

همســـتها وقـــد تورمـــت عيناهـــا مـــن شـــدة البكـــاء وأرجعـــت بظهرهـــا إلـــى الـــوراء باستســـلام لتهـــوي ناحيـــة الأرض بعنـــفٍ ولتنطلـــقُ مـــن حُنجرته صرخةٌ مدوية هزت أركان الشارع بأسره ,

رجـــع مـــن لطـــم ذكرياتـــه على صـــوت بـــوقِ ســـيارةٍ كـــاد أن يـــرتطم بهـــا فـــدعس علـــى الفرامـــل بقـــوة وقـــد تعالـــت وتيـــرةُ أنفاســـه الغاضبة ,

****

بالمناسبة...الحب مسألةٌ متأرجحةٌ كما الحياة تماماً, عليكَ أن تتجاوز الأوجاع, أن تدهسها ولربما أن تدهس الحُب.. لتسترجع ربيع روحك..

نطقتها جُمانة صباحاً ما إن دلفت لغُرفةِ مراد, فانتفض من على السريربتفاجُئ وهو يُحدقُ بها وظنَ لوهلةٍ بأنه يحلم! توقف وجمد للحظاتٍ وهي تدلفُ بكل ثقة وتُغلِقُ الباب من خلفها وتسيرُ بثباتٍ ناحيتهُ حتى لم يعد يفصلُ بينهما الكثير..

-جمانة!! ماذا تُريدين؟

تساءل بارتباكٍ وهو يُحدقُ فيها ويعتلُ بجلسته فما زال النُعاسُ يداعبُ جفونه المتثاقلة, فأجابت بثقة : أريدُكَ أن تكونَ بخير.

تطلع فيها مبهوتاً وابتلع ريقه بتوترغير مُدركٍ لانقلاب تصرفاتها ,أغمضَ عينيه بقوةٍ مستغفراً الله وكأن النظرَ إليها لعنةٌ ستغرقه في الضلال , ثم أمسك كفها بقبضته بعنفٍ عندما شعر بأنها ستتمادى و زمجر:

-مـــاذا دهـــاكِ, أأنـــتِ واعيـــةٌ علـــى تصـــرفاتك !!.

فغمغمـت بجمـود : واعيــة, ومدركــةٌ لمــا أفعــل... أريــدُ أن تعــود مراد القديم".

أدركـت التمـاع عينيـه ونظـرة التحيـر والخـوف والتخـبط التـي تطـل منهمـا, فـي هــذه اللحظــة لكـم كرهــت نفسـهاخوفاً مــن عواقــب مــا تقــدم علــى فعلــه , اقتربــت منــه أكثــر فــدفعها بعُنــفٍ بيديــه لترتــدَ إلــى الــوراء وقــال بحنــق :هــل شــربتِ شــيئاً جمانــة , هل تشاجرتِ كريم!!

تبسـمت وأجابـت وهـي تتطلـعُ فيـه بثبـات : أتعلـم... بعـد زواجـي, كنــتُ دائمــاً أســألك عمــا بك..لأنــك ابــن خــالتي, لأنــك الرجــل الــذي أعــادني لأهلــي, الرجــل الــذي أعــادني للحيــاة بعــدما كنــتُ علــى شــفا حفــرةٍ مــن الموت,وصــحيحٌ أنــك لخبطــت مشــاعري لأيــامٍ قبــل ابتعــادي عنــك, لكــن الآن انتهــي كــل شــيءٍ بالنســبةِ لــي, محــوتُ آثــارَ عاطفــةٍ كانــت تســتميلني نحــو الرجــل الوســيم الثــري الــذي تمســك بــي وبحــث عنــي طــويلاً, وأثبــت لــي فــي كــل مــرةٍ صــدق مشــاعره, الحــبُ يــا مــراد لــيسَ ســبباً كافيــاً للارتبــاط, بــل أن تُفكِــرَ بعقلكَ وقلبكَ معاً كي تختار شريكك المناسب.

اهتز صوته وهو يسألها بثباتٍ يدعيه: ما الذي تريدينه مني؟

خطت تجاهه وأمسكت بكفه بين كفيها الصغيرين وقالت برجاء :

-مكانتك كبيرةٌ جداً بقلبي مراد, وجود عائلتي بعدما تعايشتُ مع أني يتيمة جعلني أتمسكُ بكل واحدٍ فيكم, لا أريد أن تضيع نفسك جراء الماضي, إنسى كل ما جرى, إنساني, إنسى أليسا لأنها كذلك قد اختارت حياتها...وأظنك فهمت قصدي جيداً,فهشام قد استطاع أن يُساعدها ويمد لها العون وأثبتَ بأنهُ يستحِقُها, ابتعد عن الماضي وادفعهُ بعيداً عنك, عُد لعملك بشكلٍ جدي , ابحث عن الحب الحقيقي هذه المرة, الحب الذي سيقوّيك ويقودك لبر الأمان فنحنُ لم نسبب لكَ سوى الألم"

-كفى جمانة " قالها بهسيسٍ وهو يتطلع فيها بعينين ملتهبتين, لكنها تطلعت فيه بثبات وأردفت:

-ما زلت على غبائك القديم مراد! , نظراتك الحمقاء ما تزال تلاحقني, نظراتُكَ تجاهي تقلقني منك ...وتخيفني وبذات الوقت عُدتَ تلاحق اليسا ...أنت ذاتك ما تزال خائفاً

ومضـــطرباً... لربمــا أنــا فعــلاً وكغــرورٍ أنثــوي ... أحــب أن يتلــوى أحــدهم لأجلــي... حتــى ولــو كنــتُ متزوجــة, لربمــا تفكيــري مــريض لكنــك تغذيــه بأفعالــك وطيشــك فأنــت أضــعف مــن أن تواجــه مشــكلاتك وأضــعفُ مــن أن تبتعــد, كفــاكَ ضُــعفاً وانتبــه لنفسك !

مشــت مــن أمامــه بعــدما اطلقــت ســهامها وهــي متأكــدةٌ مــن أنــه ســينفجر...وما خــاب ظنهــا بــه أمســكها مــن ســاعدها وأدارهــا ناحيته قائلاً بغضب بعدما زلزلت كيانه من الداخل :

-وأنــا ...لــن أكــون بخيــرٍ فعــلاً, مــا دمــتِ تظهــرين أمــامي كمــا السابق, وتتطلعين بي كما السابق, وتقتربين مني"

-أتعلم.....ســأقتربُ منــك يــا مُــراد وبكــلِ مــرةٍ أراكَ بهــا فأنــا أحــب نظراتــك المنكســرة نــاحيتي فهــل ســتفعلها مجــدداً وســتخونُ ابــن عمك. !

قالتهــا بلــؤمٍ جلــي وهــي تحــدق بعينيــه اللتــين ضــاقتها بشــكلٍ مرعــب, فتطلعــت فيــه نظــرةً أخيــرة قبــل أن تغــادر مــن أمامــه ليرتــد علــى الســرير وقــد تعالــت وتيــرة أنفاســه الحانقــة, بينمــا هــي ســرعان مــا ركضــت تجــاه غرفــة عســل ومــا إن دلفــت حتــى

استكانت على الباب خلفها وقد ارتجف جسدها بأكمله خوفاً واضطراباً, وبالكاد أعادت السيطرة على نفسها وتمنت فعلاً أن تكون قد نجحت في القسم الأول من خطتها وما عليها الآن سوى أن تكمل القسم الآخر ,

تطلع بالباب بحنقٍ ومشى باتجاهه قبل أن يخبطه بعنفٍ لينغلق وقد شعر بأن جمانة قد اختلعت روحه من مكانها, كان يودُ لو يصرخ, يريدُ أن يفعلها هذه اللحظة لكن يخشى أن يُفزعَ جميعَ من بالمنزل...

هندمت جمانة ملابسها قليلاً وخرجت بحذرٍ وما إن رأتها عسل بأسفل السلم حتى هرولت تجاهها لتومئ لها بأن كل شيءٍ سار كما هو مخططٌ له لطمأنتها... مع انها تشعرُ أنها ارتكبت خطأً ربما!! تمتمت عسل : الجميعُ ما يزالون نائمين الحمدُ لله ,

-سأعودُ الآن إلى المنزل إذن

أومأت لها عسل مودعةً وخرجت برفقتها لتوصد البوابةِ وتعودَ إلى غُرفتها فتلاقت بالرواق مع مراد الذي استحالَ وجههُ لنارٍ متأججة الاشتعال, أطرقت رأسها ناحية الأرض

وتمتمت : صباح الخير اخي, قبل أن تهرول من أمامه وتدلف إلى غرفتها لتتجهز للذهاب إلى مدرستها, بينما هو أكمل طريقه إلى الخارج وانطلق بسيارته بسرعةٍ ليلتقي بجمانة على الطريق أوقف السيارة بعنفٍ لتصدر عجلاتها صوتَ صريرٍ عالٍ أفزعها لتتطلع ناحية عينيه المشتعلتين, ترجل عن سيارته وصفق الباب بعنفٍ ليرتج الزجاج حتى كاد أن يتهشم, وتقدم ناحيتها ليشد على ساعديها بعنفٍ وكاد أن يمزقهما لشدة ضغطه عليهما, تطلع فيها بعينين كالجحيم وهتف بعدما دفعها بغلظةٍ على الحائط الذي تدلت أمامه الحشائش فأغرقها بها حتى كادت أن تختفي بين الأوراق الخضراء انغرست إحدى الأشواك بكتفها فأغمضت عينيها بألمٍ لكنه كان حالياً غائباً عن الوعي أو المنطق زمجر قائلاً بهسيسٍ مختنق وقد دمعت عيناه:

-من الآن وعزة الله وجلاله سأختلع هذا الأحمق الذي ما يزال ينبض لكِ وسأدهسه بحذائي, وسأعود كما السابق هذا وعدٌ مني ...أنتِ من الآن, لا شيءَ بحياتي, صفحةٌ ومزقتُها من كتابي.

تبسمت بارتياح مفتعل وأجابت وهي تسيطرُ على اضطرابها :
يااااه... هذا ما أريده بالضبط ,اخلع قلبك وادهسه بوطئ قدميك وإن رغبت سأساعدك بدهسه وبتمزيق صفحاتي جميعها من داخل كتابك....لكن بشرط أن تعيد التوازن لحياتك يا ابن خالتي"

افلت ساعديها من قبضتيه باستسلام فدفعته برفقٍ لتعبر متجاوزةً إياه ثم ربتت على كتفه وشدت عليه بأناملها وقالت بهدوء وهو ما يزالُ محدقاً بالحائط العشبي أمامه متخشبٌ لا قدرةَ له على التحرك:

اعتبر مشاعركَ تجاهي بهذه اللحظةِ كأوراق الخريف المتطايرةِ التي اختطفت قلبك ورمته بعيداً جداً... بعيدٌ لدرجةِ أن تذهب وتبحثَ عنه لعله وقعَ بمكانٍ يقودُكَ لبر الأمان , افتح عينيك جيداً فالحياةُ تستحقُ أن تعيشها سعيداً بعيداً عن الجميع... وعني.

ثم أكملت المسير وقد ندت عينيها بدموعٍ متعاطفةٍ معه, بالكاد استطاع السيطرة على ضربات قلبه التي تناطحت بداخل صدره المكلوم, لكنها كانت محقة, كان لا بد من مواجهته بعد هذه السنوات, هو تجابه مع الجميع

عـــداها,وحارب الجميـــع بســـببها ..عـــداها !! وهـــاهي الآن قـــد وضـعت النقطــة بــآخر الســطر, انــدفعت يديــه ليضـرب الحــائط لتنغــرسَ الأشــواكُ بكفيــه واســتند برأســه ليغــرق كــذلك بــين الاوراق وصــارت عينــاه تســقيان أوراق النبــاتِ الأخضــر بصــمت, توقفــت على بعــد عــدة أمتــار لأنهــا لــم تســمع صــوتَ ســيارته لتــراهُ منغرســاً بــين الأعشــاب المتدليــة علــى الحــائط, أطلقــت تنهيــدةً عميقةً وأكملت طريقها حتى وصلت ناحية حديقة الفيلا

****

بعد عدة عدة ايام...

خرجــت عســل وكــان فهــد بانتظارهــا كمــا العــادةِ مرتــدياً نظارتــه الســـوداء حتـى ولـــو كـــان الجـــوُ غائمـــاً ومُلبـــداً بغيـــومٍ تنـــذرُ بأمطـــارٍ عنيفــة, ألقــت الســلام وارتمــت علــى المقعــد المجــاور بينمــا خلــع هـــو نظارتـــه متبســـماً ابتســـامةً أظهـــرت غمازتيـــه الغـــائرتين وألقـــى النظـــارة ثـــم بـــدأ بقيـــادةِ الســـيارة, صـــحيحٌ انـــه اتفـــق مـــع مُـــراد علـــى جلســـات العـــلاج واقتصـــارها علـــى الســـيارة بحجـــة أنـــه الســـائق, وصـــحيحٌ أنـــه اســـتهجن هـــذا الاقـــتراح بدايـــةً لكنـــه الآن, يشـــعرُ فعـــلاً بالبهجـــةِ كلمـــا التقـــى كتلـــة الاعصـــارِ المســـماة بعســـل, هـــي حالـــةُ فريـــدةٌ جـــداً ! ليســـت مريضـــة, بـــل هـــي عاقلـــةٌ لدرجـــةِ

أن تُحـــاربَ الخطـــأ وتجابهـــهُ بشراســـة, ليســـت مريضـــة, بـــل ذاتُ مبـــدءٍ وهـــدفٍ واضـــح, تُريـــدُ أن تلتحـــق بالكليـــة الحربيـــة ! . ويـــا لـــهُ مـــن طمـــوحٍ جـــامح بالنســـبةِ لفتـــاةٍ كعســـل, اســـمٌ لا يُشـــابِهُ تصرفاتها البتة!

اعترفـــت لـــه في تلـــك الأيـــام عـــن ســـر الشـــجار الأخيـــر في المدرســـة , وكيـــف اســـتطاعت أن تخلـــع الحـــزام مـــن وســـطها لتضـــربَ بـــه زميلتهـــا دفاعـــاً عـــن الأخـــرى! ضـــحك حينهـــا مـــن أعمـــاقِ قلبـــه لدرجـــةِ أنـــه أوقـــف الســـيارة وقـــد تعالـــت قهقهاتـــه ... هـــذه الفتـــاةُ ممتعةٌ جداًا!!

لكنهـــا بعـــدما ضـــحكت عـــبسَ وجههـــا وتطلعـــت فيـــه بيـــأسٍ مُردفة :

-أحيانـــاً أشـــعرُ أنهـــم لا يفهمـــوني!! حتـــى أنـــي ســـمعتُ والـــدتي تُخبـــر والـــدي بـــأني احتـــاجُ استشـــارةً نفســـية!! وكـــأنني فتـــاةٌ مريضـــةٌ يا فهد!, ما ذنبي ان كانت هذه شخصيتي.

اعتـــدل بجلســـته وقـــد انتبهـــت حواســـه ليســـألها منتقيـــاً كلماتـــه بعناية :

-لستِ حتماً مريضةً يا عسل, لكن بطبيعة البشرِ تنبذُ أي أحدٍ مختلف, ووالدتكِ كأي أمٍ تريدُ أن تكون ابنتها فتاةٌ رقيقةٌ شفافة, وربما تحبُ أن تتصرفَ كالفتياتِ بحياءٍ وخجل,

-لكن تصرفاتي ليست خاطئة !!

-ربما, لأنهم يرون الموضوعَ من جهةٍ واحدة, عليكِ أنتِ أن تشرحي لهم, أن تفتحي قلبك لعائلتكِ وتتناقشي معهم وتدافعي عن مبادئك وما تعتقدينه صحيحاً أليسَ كذلك ؟

تطلعت فيه عسل حينها وشردت بحديثه قبل أن تباغته بسؤالها:

-ماهي دراستُكَ يا فهد!! تبدو مثقفاً ومتفهماً جداً على عكسهم.

صمت قليلاً يفكر, فهو فعلاً لا يريدُ أن يكذب ولا يريدها أن تبتعد بعدما وثقت به لذلك رفع وجهه قائلاً نصف الحقيقة,

-درستُ علمَ اجتماع..

قاطعته بلهفة وقد انفرجت عيناها: وتعملُ سائقاً!!!

تبسم حينها وشغل السيارة من جديد قائلاً:

-كلٌ منا يحاربُ على طريقته آنسة عسل.

****

الفصل الرابع عشر

حسمت جمانة أمرها وانطقت مساءاً برفقة نور وعسل إلى منزل إليسا لزيارتها , جلست الفتياتُ في حديقة المنزل وقد رحبت بهن أليسا بحبور حيثُ كانت النسيماتُ الباردةُ تزكي أنوفهن فالتحفت كلٌ منهن بشالٍ صوفيٍ تقيهن البرد وشرعنَ بالثرثرة,حيث كانت اليسا قد استعادت حيويتها وتناست حزنها قليلاً, غادرت بعد دقائق لتحضر مشروباً ساخناً فأخرجت جمانة فوراً الوشاحَ من حقيبتها وقالت تحادث دلال:

-خذيه إنه لكِ لقد طلبَ مني مراد أن أعيدهُ لكِ فقد نسيتيه بسيارته,

تسلمت دلال الوشاحَ من جمانة ووضعته على حجرها وشكرتها, وبعد أن عادت اليسا ووزعت عليهن أكوابَ الشاي الدافئ رن هاتفُها لتتبسم مجيبةً شقيقها ساهر فتنفرجُ أساريرها بفرحٍ عارم وهي تحادثه, أغلقت الخط وقالت بسعادة : سيأتي أخي من أميركا يا بنات.

تبسمت الفتيـاتُ بسـعادةٍ فـي حـين قالـت دلال : إذن حـانَ الوقتُ كي أنتقلَ لمسكنٍ آخر يا اليسا.

-لا طبعـاً, لـن تنتقلـي لأيِ مكـان, زيارتـه لـن تتعـدى الأسـبوعين فلديه عملٌ وعائلةٌ خارجاً.

هـزت دلال رأسـها بـرفضٍ مجيبـة: لا تنسـي أنـي محجبـة, سـأحرجهُ وأحـرجُ نفسـي, كمـا أنـي بكافـةِ الأحـوالِ يجـبُ أن أسـتقلَ بمنـزلٍ خـاصٍ بـي لـن أبقـى عنـدكِ دائمـاً, مـا فعلتيـهِ معـي كافٍ جداً حتى اللحظة.

تطلعـت جمانـة ناحيـة نـور بنظـراتٍ مطولـةٍ لـتفهم الأخيـرة مـا ترمـي إليـه وقالـت مباشـرةً لـدلال: إذن سـتنتقلين للسـكن الملحـقِ الخـاصِ بمنـزل خـالتي عبيـر يـا دلال, إنـه فـارغٌ منـذُ زمـن, ما رأيكِ يا نور.

تطلعـت فيهـا نـور وقالـت مؤكـدة: طبعـاً فكـرةٌ جميلـةٌ جـداً, لقـد سبقتني باقتراحِكِ يا جمانة.

صـفقت عسـل بمـرح: نعـم وبـذلك يكـونُ لـي صـديقةٌ تسـليني فأنـا أشعرُ بمللٍ كبيرٍ مساءً وحدي.

-شكراً لاقتراحكِما لكني لا أستطيع, أريدُ الاستقلالَ بمنزلٍ خاصٍ بي لن أتنقل طوالَ عمري,

رحبت اليسا بالفكرةِ بعفويةٍ وقالت تحثها على الموافقة :
تحتاجينَ الآن للنقودِ يا دلال قبل أن تستقري , امكثي في المُلحقِ لعدةِ أشهرٍ على الأقل وبعدها بإمكانكِ الاستئجار براحةٍ أكبر, على الأقلِ مبدئياً إن تهجمَ والدكِ عليكِ مجدداً كما فعلَ بالمستشفى يتصدى له أحدهم ويحميكِ.

هل ما زالَ يتواصلُ معكِ ويهددك؟ تساءلت جمانة فقد باحت لهن دلال سبب انتقالها للمعيشة برفقة اليسا, لتهز رأسها مؤكدة:

-لا أظنه سيتهج علي مجدداً, سيتزوج قريباً ويحتاجُ مني مساعدةً ماليةً أخيرة على حد قوله,

تغضن جبينها بأسى لتربت نور على كتفها : أرأيتِ لذلكَ يجبُ أن تكوني بحمايةِ أحدهم, وأهلي سيدافعونَ عنكِ

فوافقتها الفتياتُ مما دفع دلال لتقول بهدوء: إسألي والديكِ قبلاً يا نور وبعدها نرى ما علينا فعله.

-طبعاً ولن يرفضا الأمر إن شاءالله. بل سيرحبانِ بكِ.

جلسَ كـريم برفقـةِ مـراد كأيـامٍ خلـت, وانضـم إليهمـا آدم لآن نـور لـديها مناوبـةٌ فـي المستشـفى, أخرجـوا أوراقَ اللعـبِ بعـدما اسـتدعوا ضـياءَ الـدين, زوجَ رهـف_ شـقيقة كـريم_ للعـب بـرفقتهم لتمضـيةِ الأمسـيةِ بلعبـةٍ خفيفـة, كـان كـريم يتطلـعُ بـه بـين حـينٍ وآخـر, تلـكَ النظـرةُ المُنطفئـةُ بعينيـه أتعبتـه كمـا أتعبـت الجميـع, يحتـاجُ تغييـراً جـدياً بحياتـه فعـلاً, لـم يـدع الشـكَ هـذهِ المـرةَ يُسـيطرُ عليـه, وربمـا جمانـة التـي قـررت أن تـروي لـه القليـلَ ممـا نوتـه بالاتفـاق مـع نـور, أخبرتـه حينهـا أنـه التقتـه بـالطريقِ صـباحاً حينمـا كانـت تهـرولُ خارجـاً, أخبرتـهُ بأنهـا تتـألمُ لأجلـه وتريـدُ مسـاعدته, وعلـى الـرُغمِ مـن غيرتـه الشـديدةِ إلا أنـه اسـتمعَ لهـا, علـى الأقـلِ اعترفـت لـهُ أنهـا تريـد مسـاعدة مـراد بطريقـةٍ غيـرِ مباشـرة, وعـن فكرتهمـا هـي ونـور, فرحـبَ بتلـكَ الفكـرةِ ووافقهـا بشـدة, تعالـت صـيحاتُ الشـبابِ والضـحكاتِ مـن آدم وضـياء الـدين الـذين احتـدا بـاللعب لينطلـق مـن ألسـنتهما السـبابُ الهـادرُ لتصـل أصـواتهم لعبيـر وتتبسـم قبـل أنـت تغفـو بجانـبِ زوجهـا وهـي تـدعوا لابنهـا مُـراد بصلاحِ حاله....

****

تجاوزت الساعةُ الثانية بعدَ منتصفِ الليل، خُفِفَت الأنوارُ وقد داعبَ جفنيها النُعاسُ لتسدلهما وهي جالسةٌ باستراحةِ المستشفى وقد أسندت رأسها على الطاولةِ الزجاجية.

بطقمه الطبي الأزرق ومن فوقه قميصهُ الأبيض المفتوحُ تقدم أمير ليرتشفَ كوباً من القهوةِ تُبقيهِ متيقظاً، حصل على قهوته لتداعب أنفه رائحتها المُحببةَ إلى قلبه، ومن بين البُخارِ المُتصاعِدِ من الكوب، أدرك وجهها الملائكي، بقميصها وحجابها الأبيضين فبدت بين البخار المتصاعد من كوبه كملاكٍ أخاذ، ليتقدم كالمُغيبِ ناحيتها، سارَ بتؤدةٍ حتى صار قبالتها ليسحبَ الكرسي المقابل بهدوءٍ ويجلسَ أمامها، كان عقلهُ الآن يعملُ بجنون، كيفَ له أن يؤذي هذا الملاك حتى ولو عن طريقِ زوجها، لن يقدرَ على ذلك. يستحيلُ أن يبكي هاتين العينين اللتان سلبتاه عقله وتفكيره! للحظاتٍ تشتت تفكيره قبل أن يغمض عينيه بقوةٍ ويدفعَ بالكرسي بعنفٍ ليصدرَ صوتَ احتكاكٍ عالٍ على الأرضية وهو يسيرُ مبتعداً يتمتم بحنق : اللعنةُ عليكَ أيها الجبان، شقيقتك ماتت بسببهم !! بينما فتحت نور عينيها بفزعٍ جراء صوتِ الكرسي الذي زُحزِحَ عن مكانه لتتطلع به وهو يسير مبتعداً فتتأففَ

بحنقٍ وتتمتم : فعل ذلكَ عن عمد, يا له من مزعج وكأنه إذا ملكَ المُستشفى ملكَ الكون كله!!

في السادسةِ والنصف صباحاً دلف لداخل المنزلِ الذي يعبقُ بذكرى الألمِ من كل جانب, خلع سترته وارتمى على الأريكة وقد أخذ منه الإرهاقُ مأخذه بعد مناوبته الطويلةَ في المستشفى, كان أمير يشتهي النوم فقط ولا شيء غيره, خلع حذاءه وتمدد واضعاً ساعده على جبهته وما كان يغمضُ عينيه لدقائِقَ حتى سمع صوت انفراجِ بابِ غرفةِ والده وصوتَ خطواته تقترب بهدوء, تطلعَ فيه والدهُ بغضبٍ قبل أن يلكزه من كتفه بعكازه وهو يصيحُ بصوته الجهوري: انهض يا ولد.

رفع ساعده وتطلع بوالده بعينين مرهقتين وبالكاد اعتدل بجلسته, كان والده مكفهر الوجه, قال بغضبٍ هادر:

-أطالبك بالأخذِ بثأرِ شقيقتِك من ذلك الوغد وها أنت تُلاحِقُ زوجته كمراهقٍ طائش!!

اشاح أمير بوجهه بتأففٍ فلكزه والده مرةً أخرى بعكازه وصاحَ مجدداً : وعزة الله إن لم تنفذ ما اتفقنا عليه قبل شهرٍ لأنهي عليه بمعرفتي, ألا يُعتمدُ عليكَ بشيءٍ أيها العاق.!

احتقنت عينا أمير وهب واقفاً وجز على أسنانه: أتراقبني حتى بالمستشفى !! أخبرتك أني أحتاجُ وقتاً لذلك .واتركها بعيداً عن الموضوع, لا دخلَ لها!

ارتسمت ابتسامةٌ هازئةٌ على وجه الأب وقال بخبث : وسأراقبك حتى بحمامِكَ الخاص, لم أدفع كُلَ تِلكَ المصاريف وأُسيطرُ على المستشفى كي تتصرفَ بغباءٍ كطفلٍ ساذج,

تطلع فيه أمير بوجهٍ مُحتقن: كنتَ تدبرُ لأن تسلمني المستشفى منذُ وقتٍ طويلٍ جدا فلا تدعي حجّة الثأر أبي

انتعلَ حذائه وانصرف من أمام والده الذي جلسَ على الأريكةِ مستنداً على عكازه والغضبُ يتطاير من شدقيه فيتنفسُ كثورٍ هائج ثم ارتفع صوته صارخاً بابنه قبل أن يغادر:

.-إن لم تنفذ ما اتفقنا عليه أقسمُ بالله أن يكون انتقامي مناصفةً بينها وبين زوجها كلامي واضح.

أمسك بمقبض الباب بغضب لثوانٍ قبل أن يفتحه ويغادرُ صافقاً البابَ خلفه بحنق وأفكارٌ متسارعةٌ تدورُ بخلده, شغلَ سيارته مجدداً وقد تعاظم إرهاقهُ وألمُ صدغه, يريدُ النومَ فقط... قاد سيارته كالمغيب ناحية المستشفى وسار بالرواق الطويل لتناديه إحدى الممراض, مريضٌ بحاجةٍ لمساعدة, أطلق تنهيدةً عميقة وتبعها ليعاين المريض الذي يصرخُ من شدةِ ألمه بعد استيقاظه من العملية التي أجراها بعدما زال مفعول المخدر, عاينه وحقنه بمخدرٍ ليريحه ثم سارَ كالمغيب بعدما صارت الرؤيا لديه شبه ضبابية وتداخلت الأصوات ببعضها البعض, دفع باب غرفةٍ فارغة واستلقى على السرير ليغطَ من فوره بنومٍ عميق.

****

تحادثت نور مساء اليوم التالي مع والديها عن دلال وحاجتها لمنزلٍ يأويها وبعد مباحثاتٍ طويلة رحب رضوانُ وعبير بالفكرة فلم تتردد لحظةً واحدة بالاتصال بدلال وإخبارها عن موافقتهما, وطالبتها بتجهيز أمتعتها لتأتي جمانة لاصطحابها, وفعلاً في صباحِ اليوم التالي كانت دلال قد تجهزت ووضبت أغراضها,ودعتها اليسا وعانقتها بحرارة:

-سأشتاقُ لكِ جداً, لا أعرف مالذي سأفعلهُ بغيابك.

ربتت دلال على كتفها وقالت بتأثر: وأنا أيضاً لكننا سنلتقي يومياً بالمستشفى, بلغي تحياتي لشقيقك,وواظبي على الطريق إليه يا اليسا, فهو من سينتشلك من بؤسك. عن اذنك.

وغادرت دلال لتضع حقائبها بالسيارة ولم تفهم من هو الذي ستواصل طريقها اليه!! نادت بعدها اليسا بصوتٍ مرتبكٍ لجمانة:

-كيف...هو مراد؟

أجفلت جمانة كمن لسعه تيارٌ كهربائي من سؤالها واستدارت ناحيتها : يحاولُ أن يكونَ بخير,

-قسوتُ عليهِ بآخرِ لقاء أليسَ كذلك؟

قالتها مجدداً أليسا بضياعٍ وألم لتتطلع جمانة بينها وبين دلال التي ما تزال تضع الحقائب وقالت بتشتت: ربما.

ثم تنهدت وأمسكت بكتفِ اليسا وقالت برجاء:هل ما تزالين تكنينَ مشاعرَ لمراد,

قاطعتها اليسا فوراً نافية: لا, لا أكنُ له أيةُ مشاعر, انسي كل ما قلته, مجردُ سؤالٍ فقط. كان يجبُ أن أعامله بطريقةٍ أخرى عندما جاء لتقديم العزاء, لقد تغيرَ الكثيرُ يا جمانة, الكثيرُ فعلاً قد تغيرَ بحياتي, وأولهم أني صرتُ أرى الحياةَ من وجهةِ نظرٍ عقلانية, لن أدعَ نفسي عبدةًلآلامي بعد اليوم, الحياة ستستمر أليس كذلك.

-بلى... الحياةُ ستستمر, بحلوها ومرها,

ثم أردفت بعد صمت......ودكتور هشام ؟

تساءلت بغتةً لتتطلع فيها اليسا بارتباك : ما به؟

وبذاتِ اللحظة رن هاتف اليسا فتعالت ضحكات جمانة وهتفت: ابن حلال " ثم غمزت لها وأردفت وهي تلوح لها مبتعدة : أنتِ من سيخبرني مابه, لكن ليس الآن, اتفقنا.

ضحكت اليسا وقد احمرت وجنتاها ودلفت للداخل لتجيبه بينما انطلقت الفتاتان لفيلا رضوان.

وصلت جمانة برفقة دلال لتفاجئ من روعةِ هذا المكان!! لا تعرفُ لمَ شعرت بخوفٍ دفينٍ بأعماقها من معيشتها هنا, لكن فعلاً عليها أن توفر القليل من النقود قبل أن تستقر

فوالدها لا يترك بحوزتها سوى القليلُ فقط بالكاد يكفيها, استقبلتها عبير بحبور مما أزاحَ القليلُ من التوتر من لقائها, وقد كانت عبير فعلاً نعم السيدة , أوصلتها إلى الطابق الثاني حيثُ الملحق الذي كان يقطن فيه آدم قبل زواجه من نور, كان مرتباً ونظيفاً ويبعثُ الراحةَ في النفس, صحيحٌ أنه يغلبُ عليه الطابعُ الذكوري لكن لا يهمها, المهم أنها ستمكثُ بمنزلٍ مؤمن بالقربِ من أناسٍ يخافون الله.

غيرت ملابسها بعدما شكرت السيدة عبير وارتدت إسدال الصلاة لتؤدي صلاة الظُهرِ بينما لاعبت جمانة ابنها جواد في الطابق السفلي وعبير شرعت بتجهيز طعامِ الغداء بمساعدة الخادمة , طُرِقَ البابُ بعد قليلٍ ليطل كريم وقد فتحت له الخادمةُ الباب, غمز لها و همس سائلاً عن زوجته التي كانت كعادتها تحبُ الجلوسَ بالحديقة الخلفية أمام حوضِ السباحة, شكرها ثم خطا بهدوءٍ بعدما ألقى التحية على زوجة عمه عبير ناحية الحديقةِ الخلفية حيثُ تجلسُ جمانة ليتقدم منها بهدوءٍ من الخلف وما كاد يقترب حتى قالت باستهزاء:

-العـــب غيرهـــا !! اســـتطيعُ استنشـــاق رائحـــة عطـــرك عـــن بعـــد ألفِ ميل..

تعالـــت ضـــحكاته هـــذه المـرة عاليـــاً وهـــو يضـــع بثقـــلَ ســـاعدة علـــى كتفها قائلاً بعبث : ألن أنجح مرةً بإخافتك؟

راقصت حاجبيها نافية وقالت :لِمَ حضرتَ باكراً ؟

فقـــال وهـــو يقرصـــها مـــن وجنتهـــا: حمـــاتي دعتنـــي لتنـــاول الملوخية...يااااه رائحتها تُدغدغُ القلب.

-ألا تفكـر إلا بمعـدتِكَ يـا رجـل!! قـل أنـك اشـتقتَ لي, لجنيتـك , لحبيبتك!!كما كنت تفعل سابقاً..

حـك ذقنـه عابثـاً ثـم قـال وهـو يجثـو علـى ركبتـه أمامـه: اشـتقتُ لجنيتـي العنيـــدة ...لحبيبتـــي التـــي أذوب فيهـــا عشـــقاً" ثـــم نهـــض وقـــد أخـــذ نفســـاً عميقـــاً وهـــو يخطـــو مبتعـــداً عنهـــا : لكـــن والحـــق يقـــال... لـــو كانـــت الملوخيـــةُ أنثـــى لتزوجتهـــا, اعـــذريني أحبهـــا أكثـــرَ منكِ.

لتتعـــالى ضـــحكاتها وهـــي تهـــزُ رأســـها بيـــأس منـــه ..تـــركَ جـــواد الســـيارة التـــي كـــان يلعـــب بهـــا بالحديقـــة وركـــض ناحيـــة والـــده الـــذي تلقفـــه بـــين ذراعيـــه ليســـقطا معـــاً علـــى الأرضِ وســـط

قهقهـاتِ الصـغير الـذي لـم يهـدأ وهـو يكيـلُ اللكمـاتِ لمعـدة والده الذي بدأ منذُ مدةٍ يعلمه الملاكمة!

****

كـان هشـام يسـتمعُ لأغانيـه المفضـلةِ ويدنـدن معهـا وهـو يجهـزُ طبقـاً مـن المعكرونـة التـي لا يجيـد تجهيزغيرهـا, انتهـى وجلـس أمـام الطاولـة بعـدما وضـع الطبـق الـذي يتصـاعد البخـارُ منـه, أمسـك الشـوكة وشـرع بالتهـام طبـق المعكرونـة بتلـذذ حـينَ رن هاتفه فتلقفه مجيباً بعبث: أهلاً...الشيف بوراك يتكلم"

تعالت قهقهات والدته فقالت : إذن تأكلُ المعكرونة كعادتك!

تنهـد بحسـرة مجيبـاً : لا تـذكريني بمأسـاتي... لكـن لا هنـاك تنويع, فمرة تكون بالصلصة ومرةً بالخضار أو اللحم.

-ممـم فعـلاً تنويـعٌ فعـلاً, أنـت لـو تقتنـع مني وتتـزوج ابنـة خالـك فاطمة.....

فقاطعهـا هشـام فـوراً مكمـلاً حـديث والدتـه : أه..... لـو تتـزوج ابنـة خالـك فاطمـة فهـي سـيدةُ منـزلٍ رائعـة وطباخـةٌ مـاهرة وتحيـكُ الجرابـات بشـكلٍ جيـد وتتقـافزُ علـى الجـدران!! ...وكـأنني

سأتزوجُ مدبرةٍ للمنزل يا أمي أليس كذلك!! أريدُ أنثى يا أمي... أنثى, ليسَ مجرد آلةٍ للطبخ والتنظيف.!!

تنهدت والدته وقالت تحاول مجاراته: نعم تريدُ أنثى من بنات هذا الجيل ممن لا يجدن صنع طبقٍ من البيض و حين تتزوجها وترجعُ لمنزلك وتلك الخرقاء لم تعد لكَ شيئاً سيخرجُ الطابعُ الذكوري وتبدآ بالشجار!..

وضع الشوكةَ من يده وقال ممازحاً والدته بحب: بل اريدُ أنثى متكاملةٌ كحالكِ يا غالية...عظيمةٌ في تنظيمِ منزلها وعاشقةٌ مع زوجها ومثقفة , طلبي ليسَ صعب لكن اعذريني فاطمة ليست أكثر من مرآةٍ لوالدتها ممن يؤمنون أن السيدة للتنظيف والطبخ ! عندما أقول لها مرحباً تحدقُ في كالبلهاء لتنتقي الكلمة المناسبةَ للرد!

-هذا خجلٌ يا بني.

-لا اعذريني هذا هَبَل!

صمتت والدته للحظاتٍ انشغل فيها بإكمالِ التهامه لطبقه فقالت بمكر: ولد!! هل هناك إحداهُن ببالك!؟

شرق المعكرونة وتعالى صوت سعاله فتلقف كأس الماء ليتجرعه ثم أجاب بخبث: معكرونة حمقاء أخطأت طريقها لمجرى التنفس!!

-هشام!!

فأجاب والدته ضاحكاً: ربما, من يدري.!

****

أنهت دلال توضيبَ أمتعتها بداخل الخزانة واستلقت على السرير قليلاً تفكر بالمستقبل الغامض الذي ينتظرها, تنهدت وخرجت بعد دقائِقَ تستنشقُ الهواء العليل في الشرفة المطلةِ على الحديقة... إنه بيتُ رائع ! نطقتها بانبهارٍ وهي تجول بعينيها أرجاء المكان حتى اقتربت سيارةُ مراد وعبرت البوابة الحديدية وترجل منها بوقاره المعتاد الذي وعلى الرغم من مسحةِ الحزت البادي على سحنته إلا أنه ما يزال ذو هيبة وخاصةً بعد أن بدأت بعضُ الشعيراتِ الرماديةِ بالتخلل بين شعيراته الداكنة لتضيفَ له المزيد من الوقار, غضت بصرها عنه ودلف إلى الداخل على صوت طرقاتٍ على بابها, حيث دخلت جمانة لتدعوها لتناول العشاء. اعتذرت بلباقةٍ

وخجل وتعللت بأنها متعبة وتريد النوم قليلاً فما كان من جمانة إلا أن تتفهم ارتباكها وخجلها كونهم غرباء عنها ولم تزد بإصرارها لذلك سارعت بالمغادرة, وأوصت عسل بأن توصل لها حصتها من الطعام إلى الأعلى, وعلى المائدةِ اجتمع رضوانُ وزوجته وكريم وجمانة وعسل ومراد ...وحتى عابد الذي عادَ لتوه من سفره حيثُ كان يريحُ نفسه قليلاً بعيداً عن أجواء المدينةِ وصخبها,

لفهم جوٌ من الألفةِ والمودة ومراد مجردَ نظرةٍ لم يمنح جمانة, بل كانت نظراته قاسيةٌ جداً, يحدقُ بطبقهِ وكأن أمامه وحشٌ مفترس لا يريد إظهار ضعفه ناحيته, وبذاتِ الوقت كان كريم منتبهاً على تصرفاته ونظراته, يحصي حتى عدد أنفاسه,

بعد العشاء لاعبَ مراد الصغير جواد قليلاً في غرفته كعادته كلما يلتقيه قبل أن يغفو على حجره فيقومُ بكلِ هدوءٍ ويضعه على السرير ويحكم غطاءه ثم يخرج من الغرفة. انضم لهم مجدداً وقد بدا أكثر ارتياحاً وتناسى الجميعُ اخباره بالضيفةِ التي تقطنُ بالشقةِ العلوية حيثُ انشغلوا

بأحـــاديثهم مـــع عابـــد وخاصـــةً بعـــد أن انضـــم لهـــم آدم ونـــور الـــذي اشتاق لوالده جداً.

****

الفصل الخامس عشر

(الـــذكريات الجمَيلـــة أصـــبحَت تـــأتِي علـــى هَيئـــةِ وجـــع. ذكرياتنـــا، ماضـــينا، أشـــخاص مـــروا بحياتنـــا وأصـــبحوا ذكـــرى، وأشـــخاص يشـــدون الرحـــال إلـــى عـــالم مـــن البعـــد والاشـــتياق، وبـــين النســـيان والـــذكرى. رحلـــوا ولـــم يتركـــوا لنـــا ســـوى بقايـــا ماضـــي، عطـــرلا ينســـى، صـــوت نتمنـــاه، حضـــن نفتقـــده، حـــب يكبـــرويقتـــل، صـــورصـــامتة، شـــوق لا يبـــرد، دمـــوع لا تجـــف، ألـــم لا ينتهـــي، منـــزل خـــالٍ ملـــيء بالـــذكريات، وثيـــاب معلقـــة تقتلنـــا بين الحين والآخر)

منقول

****

لـــم تكـــن المشـــكلةُ بأنهـــا تحبـــه بـــل بـــذلك الشـــرخُ الكبيـــرُ الـــذي تركـــه داخـــل صـــدرها قبـــل تلاشـــيه مـــن حياتهـــا, ذكريـــاتُ الحُـــبِ الأول, همســـةُ العشـــق الأولـــى, القبلـــةُ الأولـــى, ذلـــك الاحتـــواء الـــذي شـــعرت بـــه بـــين يديـــه فيمـــا مضـــى, أن يكـــون صـــادقاً محبـــاً, مُخلصـــاً .... وبلحظـــةٍ تكتشـــفُ أن تلـــك الـــذكريات واللحظـــات التـــي جمعتهمـــا ســـوياً لـــم تكـــن ســـوى كذبـــة! كـــان هـــو ذلـــك القمـــر

الــذي أنــار حياتهــا, محــور الكــون بالنســبةِ لفتــاةٍ تبرعمــت مشــاعرها علــى حــبٍ ظنتــه ســيتخلدُ للأبــد, لكــن (كونــه) هــو وفضاءه ....كان يتسعُ لها ولأقمارٍ كثيرة !

ربمــا شــفيت اليســا مــن حــب مــراد, لكــن تلــك الندبــة لــن تــزول آثارهــا بســهولة وخاصــةً بعــد عودتــه مــن جديــد, وكأنــه قــام بنــبشِ التــراب المتــراكم فــوق قبــر ذكرياتهمــا ســوياً فــأخرجَ جثمــان الماضي إلى السطح لينهشَ فيه أكثر..

التقاهــا مصــادفةً مســاءاليوم , وكــأن الــزمن بهــذه اللحظــة قــد توقــف بينهمــا عنــدما قابلتــه وجهــاً لوجــه بإحــدى مطــاعم المعجنــات التــي اعتــاد أن يصــحبها إليهــا فيمــا مضــى, كانــت جالســةً تلــتهم البيتــزا التــي قامــت بطلبهــا بعــدما شــعرت بــالجوع وهــي تتســوق... أمــا هــو فخطــى للــداخل يحــدوه الشــوق لتنــاول فطيــر الجــبن الــذي يشــتهر بــه هــذا المكــان رغــم بســاطته إلا أن الطعــامُ فيــه لــه نكهــةٌ خاصــة..وربما ذكرياتهمــا فيــه كــان لهــا تلــك النكهــةُ الخاصــة , توقــف ينظــر لهــا بابتســامةٍ هادئــة بينمــا رفعــت نظرهــا لتفــاجئ بــه وقــد تلــوث محــيطُ شــفاهها بالكاتشــب, ضــحك بهــدوءٍ فتنبهــت ومســحت فمهــا بالمنــديل بحــرج ورمتــه على الطاولة فتقدمَ منها بهدوءٍ قائلاً :

-فعلاً ما تزالين طفلةً عندما يتعلقُ الأمر بالبيتزا!

اشـــاحت بنظراتهـــا عنـــه وحاولـــت أن تمســـك الشـــوكة فقـــال بتردد: هل...بإمكاني الجلوسُ برفقتك.

هـــزت رأســـها بصـــمتٍ موافقـــةً فســـحب كرســـيه وجلـــس, كانـــت أغنيـــة خوليـــو أكليسـياس (أنـــا لـــم أتغيـــر) تنبعـــثُ بصـــوتٍ هـــادئ ممـــا جعلهمـــا يصـــمتان وينصـــتان إليها..قـــال بعـــدما تناســـت وجـــوده أمامهـــا وأكملـــت التهـــام البيتـــزا: أنـــتِ فعـــلاً تغيـــرتِ كثيـــراً..لكن عينـــاكِ مـــا تـــزالان دافئتـــين جـــداً مهمـــا حاوطهمـــا الكحل و,أخفى حقيقتهما التبرج الذي تضعينه.

تطلعـــت فيـــه مجـــدداً وقالـــت بهـــدوء: لكنـــك لـــم تتغيـــر مـــراد... لـــم تتغير أبداً.

أبعدت الطبق ومسحت فمها بالمنديل

-أعـــرف النهايـــات لا يشـــترط أن تكـــون ســـعيدة..لكن البدايـــة الجديـــدة يجـــب أن تكـــون صـــحيحة, ألا تـــدركين أنـــي تغيـــرت كثيـــراً بـــل وخســـرت كثيـــراً جـــداً" قالهـــا بصـــوتٍ مهـــزوزٍ وهـــو يحـــدق بها بعيني آثمٍ يطلب الغفران.

حدجته بنظرة غضبٍ وقالت محاولةً السيطرة على أعصابها المشدودة :الزمن.... توقف عندي من اللحظة التي وأدت فيها حبي تجاهك, لذلك لن ألتمس التغير حتى ولو طرأ على شخصيتك... أنا أراكَ بعيونِ الماضي فقط"

القت النقود على الطاولة ونهضت لتهرب من أمامه فهرول تجاهها مسرعاً وصدع صوته عندما وصلا لباب المطعم:

-أعرف أن الجرح الذي سببته لكِ مؤلمٌ جداً ولن تشفي منه بسهولة لكن...

وبلحظةٍ شدها إليه قبل أن تفتح الباب والتف بها ناحية المرآة الكبيرة المعلقة لترى انعاكسهما على المرآة وهو يمسك بساعديها ويقول بخفوتٍ من ورائها:

-إنظري جيداً ... ألا ترين التغير الذي طرأ على كلينا, ألا تحصين التعب الذي تملكني والندم الذي نهش روحي طيلة سبع سنوات يا إليسا...

-سبع سنواتٍ عشتها أنتَ بقهر بمقابل..." اغتالت حروفها وقالت بقهر بعدما استدارت لتواجهه ولا يفصل بينهما الكثير :

-سبع سنواتٍ مقابل صفقةٍ رخيصة عقدتها مع والدي لتتزوج من قاصر, أعرف كل شيءٍ يا مراد , اكتشفت أمر تلك الأسهم التي بشركة إعمار والتي سجلتها لوالدي بعد كتب الكتاب مباشرةً, كنتُ مجرد سلعةٍ باعها والدي رحمه الله طمعاً بزيادة نقوده ونفوذهط لطمته بإصبعها على صدره وأردفت : ولعبةً بيديك, لعبةٌ تؤمن أنت بقرارة نفسك بأنها لا تجابه خيانتك لأنها صغيرة, لم تصد ق بأني من الممكن أن أتجرأ أنا بطلب الطلاق مهما فعلت أنت , نعم تغيرنا كثيراً لم أعد تلك الحمقاء الساذجة التي تؤمن بالحب, أصلاً عندما تعرفتُ عليكَ كنتُ ما أزال مراهقةً لم تعرف معنى الحب, وبعدما عرفت كل شيْ وفهمت كل شيء تمنيت لو أني لم أعرف الحب...ولم أعرفك, لو أستطيعُ محوَ الماضي, لمحوتك من حياتي.

كان صامتاً يحدق بها, أتعبته المواجهات فعلاً..أولاً جمانة وكلماتها التي سحقت روحه , والآن كلماتُ هذه الصغيرةِ التي لم تعد كذلك, لم يعثر على كلمةٍ ينطقها بين جنون كلماتها مشاعره هذه اللحظة بل اكتفى بالتحديق فيها بصمتٍ خانق...أردفت :

-أخبرتـك منـذ سـبع سـنوات بـأن جـروح الـروح لا تشـفى ... والآن أعيـدها لـك جـروح الـروح لا تشـفى, بـل و الألـم الـذي زرعتـه بـداخلي انتشـرت شـظاياه وانغرسـت بقلبـي كسـاكينَ مزقـتَ لحمي دون أن يـرفَ لـكَ جُفـن, أنـت لـم تحبني طيلـة زواجنـا, لـم تبـادلني تلـك المشـاعر الصـادقة التي كنـتُ أكنهـا لـك فعـلامَ تريـدُ الصفحَ مني!!؟

فـتح مـراد البـاب لتهـب الـريح محتضـنةً جسـده الـذي ارتعـش وغـادر دون أن يتفـوه بحـرف بعـد وابـل كلماتهـا القاسية,ليسـتقل سـيارته ويجلـس فيهـا بينمـا اليسـا راقبتـه مـن خلـف الزجـاج وهـو يجلـسُ بـداخلِ سـيارته وكأنهـا بهـذه اللحظـة تمنـت فعـلاً أنهـا كانـت أقـل قسـوةً معـه,لما دائمـاً تقسـو عليـه بهـذا الشـكلِ كلمـا تقـابلا؟ كـذبت عليـه عنـدما أخبرتـه أنـه لـم يتغير,ربمـا كانـت تقصـد أنـه مـا يـزالُ يضـع ذات العطـر الـذي عشـقت استنشـاقه فيمـا مضـى, مـا يـزالُ علـى نفـسِ الأناقـةِ والوقـار... لكـن الموضـوع فعـلاً اتخـذ منحنـىً حـاداً جـداً, هـذا الرجـلُ لـيس مـراد الـذي تعرفـه, روحٌ أخـرى بجسـدِ مُراد...غابـت داخـل المطعـمِ لـدقائق ثـم خرجـت لتـراه مـا يـزال جالسـاً بسيارته مغمضاً عينيه وكأنه انفصل عن الواقع تماماً..

فتحت باب سيارته دون تردد واندفعت لتجلس على الكرسي المجاور ليفتح عينيه بتفاجئٍ من تصرفها فوضعت على التابلوه فطيرة الجبن بعد أن ابتاعتها له وقالت بارتباك: أعرفُ أنكَ جئت لتشتريها!!

اعتدل على مقعده عندما عبقت رائحةُ الفطيرة بالسيارة وعلى الرغم من احتراقه الفعلي من كلماتها قبل دقائق إلا أنه أطلق ضحكاتٍ عاليةٍ وعيناه دامعتان ثم قال بعدم تصديق وبصوتٍ هامس: أنتِ...أنتِ مجنونة !!

عضت على شفاهها بحرجٍ وخجل من كلماته ثم أطرقت رأسها على حجرها وانسابت دموعها بصمت فأمسك مراد بالمقود لينطلق بسيارته دون أن تعترض, لو قرر هذه اللحظة أن يأخذها ليغتالها ويدفن جثمانها بأحدِ القبورِ لن تعارضه! سار لمدةٍ وجيزةٍ ثم أوقف السيارة بعيداً عن صخب السوق بمكانٍ هادئٍ نسبياً, مد يده بتردد ومسح وجنتها من الدموع ثم همس بحنان :

-أحببتُكِ إليسا, صدقاً, أحببتُ تلك البراءة التي كنتِ تمتلكينها, والتي ما تزالين متمسكةً بها, أنتِ تتصرفينَ على سجيتك, ببساطةٍ وعفوية, لربما لأن حياتي وبفترةٍ شبابي

كنتُ طائشاً..مثالاً للشابِ الثري, الذي يمتلك رغد الدنيا بأسرها, لم أفرق كثيراً بين الصواب والخطأ, حتى بعدما تزوجنا, حاولتُ جاهداً الالتزام.. لكن شيئاً طرأ على مشاعري لا أعلم حقاً..

-جمانة..

قالتها وهي تحدق فيه بانكسار فأومئ لها مؤكداً ببسمةٍ منهكة : جمانة, غلطةُ حياتي, كانت ذلك الغول الذي أسرني بأصفادٍ وأبى أن يحررني.

ضحكت هذه المرة من بين دموعها فأردفَ مجدداً: وها أنا أحترقُ منذُ ابتعادكما عني.. لن أكذبَ عليكِ مشاعري ناحيتها كانت قوية, وكنتِ باستسلامكِ وبراءتك لا ترحميني كذلك .

مسحت دموعها وتناولت الكيس من على التابلوه وأخرجت فطيرة الجبن ومدتها له مجيبة :

-والآن تغير كل شيء, أنا وأنت وحتى جمانة... ما رأيك بأن تتذوقها إنها لذيذة.

تبسم وتناول الفطيرة من بين يديها وقسمها مناصفةً ثم قال مؤكداً :

-نعم تغير كل شيء وإن سامحتِني فعلاً تناوليها معي، صحيحٌ أنها طريقةُ مصالحةٍ غبية لكن... ربما هكذا أفضل.

هزت رأسها مؤكدة وتابعت: طريقةُ مصالحةٍ غبيةٍ جداً وعلى الرغم من شعوري بالشبع سأشاركك بالقليل فرائحتها لا تقاوم !

تناول قضمةً من قطعته بينما شردت اليسا به قليلاً قبل أن تنطق مجدداً :

-سامحتك فعلاً...ربما منذُ زمنٍ طويل، لكن أرجوا ألا تطالبني بأكثر..

اندفع مجيباً : اطمئني أعرفُ أنكِ شققتِ طريقاً آخر لا وجودَ لي فيه، جلُ همي ومطلبي هو مسامحتكِ وفقط ولا أطالبكِ بأي شيءٍ آخر، كي أمضي أنا قُدماً كذلك .

-جيد" لم تستطع سوى أن تجيبه بهذه الكلمة ! وسط لطماتِ مشاعرها المتضاربةِ وهي برفقته... لاحَ شبحُ هشام من بعيد وكأنه ارتسمَ خلفَ الزجاج والآن بين ماضٍ ومستقبل تضاربت أفكارها، وأدت صوتها الداخلي وقضمت من الفطيرة!

في تلك الليلة وبعدما عادت ظلت تتقلبُ في السرير بعدما شعرت بوحشةٍ تقتحم عالمها مجدداً بعد مغادرة دلال, جافاها النوم واقتحمت الأجواءُ كوابيس الواقع من جديد ,والديها اللذين توفيا, شقيقها الوحيد ساهر المسافر خارجاً والذي شق طريقه بعيداً عن الجميع ..حتى أقاربها ممن نبذهم والدها سابقاً بسبب أنانيته التي أبعدت الجميع, لم تجد يد العون من أحدٍ منهم! ومرادوبلحظةِ غباءٍ غريبة سامحته!

أنتِ وحيدةً أليسا ككلبٍ بائس! نطقتها بمرارةٍ وندت من عينيها دموعُ صمتٍ ووحشة, فما أصعبَ أن تشعرك جدرانك التي ألفتها بالوحشة,وكأن الجدران قامت بالإطباقِ على جسدها شيئاً فشيئاً, اعتدلت بمجلسها ونهضت بعدما بللت دموعها وسادتها, توضأت وتناولت القرآن الكريم وشرعت بالتلاوة لعلها تشعرُ بالطمأنينةِ والسكون فبهذه الأوقات أيقنت...أن التلاوة والتقرب من الله هي من ستداوي جراح روحها.

بينما لم يختلف الليل بتفاصيله عن مراد سوى بأن عائلته معه, وبجانبه, ويساندونه على الرغم من أنه قد أصبح بعمرٍ

هو مُطالبٌ فيه بمعونة وسند والديه وشقيقتيه, هو أصبح عماد الأسرة بعدما أخذ الكِبَرُ من والده رضوان وأثبت نفسه وبجدارةٍ عليه...! كم مر العمرُ سريعاً به دون أن يدري!

حتى هو يعدو بالأربعين تقدم من مرآته متأملاً تفاصيل وجهه وتلك الشعيرات الرمادية التي أعلنت نفسها بجدارةٍ متخللةً خصلات شعره, لكثرة الهموم التي أثقلت صدره, لقد كبرتَ يا مُراد!! وها أنتَ وحيدٌ دون أن تؤسس عائلةً ككلبٍ تَعِس!!

نطقها كذلك عدما تراجع ناحية سريره ليجلس عليه وما يزال يحدق بمرآته وكأنه يواجه ماضيه وحاضره بجلسةِ حُكمٍ على فظائع ما ارتكبه سابقاً, كان يحتاجُ هذه اللطمة ليستفيق فعلاً, وروحه على الرغم من ألمها إلا أنه يشعرُ بسكينةٍ غريبة من حين رؤيته لإليسا هذا اليوم يكفي أنها سامحته, نطقتها لتزيل ذلك الهم الذي أثقل روحه, كانت تلك الفطيرة أشهى فطيرةٍ تناولها منذ أعوام ! وتمنى فقط لو أنه أعادَ الماضي مجدداً ومحى تلك السنوات من ذاكرته ومن الجميع, لتغير الكثيرُ فعلاً لكن حالياً لا فائدة من الندم

****

وذلك الصباح بالنسبةِ لعسل, لم يكن كسابقيه, فالخيانة تختلفُ معانيها وتتسع, نُدركها فنشعرُ بخيبةِ أملٍ كبيرةٍ وكأن سكيناً قد غُرِسَ في صدورنا, كانت تمسكُ هاتفَ فهد هذا الصباح في السيارة وقد ندت دمعةٌ من عينيها, كانَ قد ذهبَ لشراء حاجياتٍ بطريقه فنسي هاتفه بداخل السيارة وحينها تعالى رنينه, مرة واثنتان لتتطلع عسل بهذا الاسم(عيادة) ظنت أن الأمر جلل لذلك الاتصال فارتأت أن تجيب لتخبرهم أن السائق مشغولٌ قليلاً....

-رجاءاً أخبري الدكتور فهد بأن موعد جلسته مع ميادة في تمام العاشرة.

-عفواً....أنا..لم أفهم.

نطقتها عسل بلعثمةٍ واضحة وكأن أحدهم قد قام بصفعها بعنفٍ لتختل مداركها لثوانٍ قبل أن تقول السكرتيرة مجدداً:

-مريضتهُ ميادة, جلسته معها اليوم فهي بحالةٍ نفسيةٍ سيئة, حاولت الانتحار مجدداً , رجاءاً أخبريه.

كان الهاتفُ ما يزالُ مُعلقاً على أذنها حينما قدم فهد بابتسامته المعهودة وجلس خلف المقود يحمل بيده قطعة

شوكولاه قام بشراءها لعسل, تطلعت عسل فيه وكأن قلبها قد هوى ليتكسر وتتناثر أجزاؤه محدثةً دوياً سمع أصداؤه بكل مكان.... ضيق ما بين حاجبيه وعسل تقبض على هاتفه قبل أن تدمع عيناها وتدعي التماسك وهي تمد له بالهاتف وتقول بلهجةٍ كسيرة:

-مريضتك ميادة..... تحتاجك, دكتور فهد.

نطقتها بتمهل وهي تنظرُ لعينيه بشكلٍ مباشر فشعرَ وكأنه قد تعرى أمامها, تعلقت عيناه عليها محاولاً لملمة شجاعةٍ واهيةٍ لينطق أمام هذه الصغيرة التي قدمت له الكثير فعلاً من الشجاعة والقوة ما لم يقدمه الرجال !!, لم يكن يريدها أن تعرف الحقيقة بهذه السرعة بل وبهذه الطريقة تلك الفتاةُ استثنائية, شعرَ وكأنه خائن, خان مبادئه وأمانته وأخلاقه, وكأنه هذه اللحظة قد اكتشفَ ماكان غافلاً عنه, لم يكن يجدو به الكذب مهما كان السبب.!!

لم يمسك الهاتف من يدها فرمته على التابلوه وقالت بلهجةٍ آمرة : أعدني إلى المنزل وشكراً على تلك الكذبة اللطيفةِ التي مارستها معي, أسلوبٌ جديدٌ فعلاً لعلاج المجانين أمثالي!

ثـم وضـعت سـماعات الأذن وشـغلت موسـيقى صـاخبة لتتشاغل بها عنه.

-عسل , سأوضحُ لكِ الأمر" نطقها وهو يبعد إحدى سماعات الأذن فانتشلته منه بحدة وقالت بحنق :

-أعدني إلى المنزل أو اخرج من السيارة.

أخذ نفساً عميقاً قبلَ أن يشغل السيارة وينطلق بها عائداً إلى المنزل دون إيصالها إلى مدرستها...بينما هي كانت صلبةً جداً أمامه, صُلبةٍ لدرجةِ أن فؤادها قد تكسر لألفِ قطعةٍ وقطعة, من ذلك المجرم, من عائلتها والذي تواطئ معه منهم! أهي مجنونة!! أيرونها مجنونةً حقاً, أليست فتاةً سوية! ظلت تفكر بذلك طيلة الطريق حتى وصلت السيارة لانعطافة الشارع الذي تطلُ عليه الفيلا...

- توقف .

نطقتها بعدما شعرت باختناقٍ رهيب فنفذ مطلبها, وما إن أوقف السيارةُ حتى ترجلت منها وهرولت بسرعةٍ وصارت تركضُ بكل قوتها.... انتشل مفاتيح السيارةِ على عجل وحاول مجاراتها وناداها لكنها لم تستجب له حتى توقف بعدما يأس

من اللحاقِ بها فقد كانت سريعةٌ جداً,تعالى لهاثه وإنهاكه فلا قدرة له على المواصلة وإلا هاجمته نوبة الربو مجدداً,حاول جاهداً السيطرة على آلام صدره ولاحقها بعينيه وهي تركضُ بهذا الشارعِ الطويل, كانت جراح قلبها هي من تمدها بالقوةِ لتركضَ بسرعة... ظلت تركض حتى تهاوت على ركبتيها بمنتصفِ الشارع, سار ناحيتها وقد تعالى تنفسها وقد كانت الشجيراتُ تظللها على الجانبين بأغضانها ...انسابت دموعها وكأن لا قدرة لها على إيقافها... صرت على أسنانها بغضبٍ حينما حطت كفه على كتفها فانتفضت واقفةً ودفعته بغلظةٍ على صدره وهي تقول بهسيسٍ حانق : من أخبركَ بأني مريضة واحتاجُ طبيبَ مجانين!!

دفعته مجدداً وقالت بحنق : هل أنا مجنونة!! الاختلافُ أصبحَ جنوناً بقاموسكم ! كنتُ أثقُ فيك....أنتَ, أنتَ الوحيدُ الذي شعرتُ بأنه يفهمني!!...

-لستِ كذلك أبداً يا عسل, أخبرتكِ سابقاً, أنتِ مميزة, كانوا يريدون مساعدتك فقط, لم يفكر أحدهم بلحظةٍ أنكِ مجنونة, ولا أنا

-أحــــدهم!! إذن جميـــعُ مـــن فـــي المنــزلِ يعـــرفُ أنـــك تقـــومُ بعلاجـــي بهذه الطريقةِ الرخيصةَ!!

-لــم أكـــن أنــــا ســــوى وســــيلةٍ لمســـاعدتك, لإيجـــادِ ذاتــــك الضــــائعة....لكني اكتشـــفتُ بعـــدما عرفتــــكِ أن ذاتــــي أنـــــا هـــي الضـــائعة, أنـــتِ قويــــة, طموحــــة, مميــــزة, أنـــا لا أكـــذبُ فـــي ذلــــك, صدقيني كنتُ سأعترفُ لكِ بكلِ شيء

تطلعــت فيــه بعيــونٍ تحجــر الــدمع فيهمــا ثــم قالــت بقهــرٍ قبــلَ أن تغادره باتجاه منزلها:

-قــدم تقريــركَ النهــائيِ لهــم إذن واخــرج مــن حيــاتي مُرتــاحَ البال...انتهت مهمتك دكتور فهد.

****

الفصل السادس عشر

قال نزار قباني فيما مضى...إن الحروفَ تموتُ حينَ تُقالُ ,

لكـــن ألا تــدركون أن تلـــك الحـــروفَ ذاتهـــا وعلـــى الـــرغمِ مـــن بســـاطتها فـــي كثيـــرٍ مـــن الأحيـــانِ تقـــومُ بإنعـــاشِ قلـــبٍ وأده الإنهـــاكُ والحـــزن! كلمـــةٌ ننطقهـــا بصـــدق تُشـــفي أوجـــاع الـــروحِ , وكلمـــةٌ أخـــرى قاســـيةٌ ربمـــا ننطقهـــا كـــذلك لمـــن نُحِـــب وحتـــى ولـــو دون قصـــد فنـــودي بقلبـــه إلـــى التهلكـــة, فرجـــاءاً رفقـــاً بقلـــوبِ أحبـــائكم, رفقـــاً بمشـــاعرهم لأن ذلـــك الجـــرح الـــذي تســـببونه لـــن يـــداوى بسهولة..

كانـــت عســـل قويـــة, وعلـــى الـــرغم مـــن ســـنواتِ عمرهـــا التـــي لـــم تتجـــاوز الخمســـة عشـــر إلا أنهـــا تريـــدُ أن تثبـــت لنفســـها وللجميـــع أنهـــا قويـــةً وضـــد الصـــدمات ! ربمـــا بعـــد ابتعـــاد أخيهـــا الوحيـــد مـــراد منـــذُ ســـنوات عـــنهم وســـفره الطويـــل وتـــزوج نـــور وآدم وانشـــغالِ والـــديها بحـــزنهم علـــى مـــا حـــل بأســـرتهم, ظلـــت تلـــكَ الصـــغيرةُ تكبـــرُ فيمـــا بيـــنهم, وربمـــا علـــى هـــامش حيـــاتهم, فالأولويـــةُ دائمـــاً للغـــائبين وللماضـــي, تقربـــت بتلـــكَ الفتـــرة مـــن جمانـــة وكـــريم بزيـــاراتٍ شـــبه يوميـــة, تعلمـــت الملاكمـــة منهمـــا وبعـــدها التحقـــت

بدوراتٍ للدفاع عن النفس والكارتيه, قصت شعرها حينما بلغت الثالثة عشرَ من العمر وحينها فاجئت الجميع بما فعلت, حتى ألبستها الطفولية من حينها تغيرت تماماً وصارت أكثر غرابة واسوداداً,وتعودت من حينها أن تمسحَ الحُزنَ من قلبها فقد نالَ منها لسنواتٍ طويلةٍ تجرعته من خلال نظرات والديها, من الأطعمة وحتى الأثاثُ حولها كان كئيباً طيلة سنوات !

حتى عاد مراد وتغير الكثيرُ , ضحكةُ رضوان وعبير قد عادت مشرقةً كالسابق, حتى نور بدت أكثرَ إشراقاً وحيوية,كريم وموقفه السلبي وجمانة الخائفة من عودة مراد, راقبت الجميعَ وتصرفاتهم أما هي فلم يتغير شيءٌ فيها, لأنها ببساطةٍ بالكاد تذكرُ شقيقها الذي غابَ لسبعِ سنواتٍ كاملةٍ تتأملُ صوره فقط من خلال الألبوم الذي كانت تشاهده عبير كُلَ يوم.!

وقفت على شرفتها تتأملُ نجومَ السماء الصافية مساء هذا اليوم, وتغطت بوشاحٍ صوفيٍ يقيها برودة المساء بعدما قرأت رسالة فهد الأخيرة ((آسف)) تبسمت بتهكمٍ ورمت الجهاز على فراشها وكأن ما جرى سيداويه ذلك الفهد بكلمة آسف!

هل ستعيد كلمته الواهية ترميم قلبها الذي تشقق, هل ستبكي! البكاءُ والهروبُ للضعفاء, هذا ما كانت تردده دائماً حتى اللحظة,لطالما بكت في الماضي وحيدةً على سريرها بعد شعورها بالفراغِ والوحدة بهذا السن الصغيرة ولم يزدها ذلك أو يداويها, لكنها هذه اللحظة لعنت ضعفها وبكائها البارحة أمام فهد! فهو أخرُ من كانت تتمنى البكاء أمامه, مسحت عينيها بسرعةٍ كيلا تشهد على بكائها نجومُ السماءِ كذلك وأطلقت تنهيدةً عالية عندما طُرقَ البابُ ودلف مراد إلى الداخل لأنها لم تتناول العشاء برفقتهم كذلك هذا اليوم, أطلَ بابتسامةٍ واسعة من باب الشرفة بينما تجاهلت وجوده ووضعت سماعات الأذن لتتظاهر بالاندماج بسماع الموسيقى, بل ورفعت الصوت كيلا تستمع لصوته وهو يناديها, توقف خلفها وانتشل السماعتين قائلاً بعتاب: لمَ تتجاهليني؟

-ولمَ قد أتجاهلُ أخي العزيز ياترى؟!

قالتها ساخرةً بينما تحدقُ فيه بعينينِ ملتهبتين من الغضب, أطفئ الهاتف ليتوقفَ صخبُ الموسيقى وقال دون أن يحيد ببصره عنها:

-أعرفكِ صادقةً ولا تخفين شيئاً, ما بك ؟

فقالت وقد لطمته بإصبعها على صدره بغضب: وأنا....لم أكن أعرفُ أنكَ خائن, خُنتَ ثقتي بك ولن أسامحكَ أبداً.

تطلع فيها مراد مصدوماً وقال بقلق: ما الأمر يا عسل؟

رنَ هاتفه فتلقفه من جيب بنطاله الرياضي ليطالع اسم فهد على الشاشة فقد قرر فهد أن يحكي له ما جرى خاصةً أنها لم تعد تجيب عليه فازداد قلقه عليها, تطلع مراد فيها مجدداً وكأنه استشفَ سببَ غضبها, أمالت الهاتف لتقرأ اسم فهد بعدما طال الرنين ولم يجبه فقالت بحدة :

-ربما.... لو تحدثتَ معي بشكلٍ مباشر وعرضتَ علي الذهاب معك لمرشدٍ نفسي, صدقني سأفعها, لكن أن تسخروا مني بهذا الشكل, أن تخدعوني ظناً منكم أنني مجنونة هذا ما لن أسامحكم عليه أبداً, أنت وأي أحدٍ تواطئ معكَ يا .... يا أخي !.

غادرت من أمامه فهتف بعدما أمسك بساعدها : ليسَ الأمرُ كما تتصوينَ يا عسل, كنتُ أريدُ مساعدتكِ فقط, لم أخبركِ لأني أعرف أنكِ ستتضايقين.

أفلتت ساعدها وقال بحدة بعدما استدارت لتواجهه مجدداً وارتفع صوتها :

-تعرف! وهل تعرفني يا أخي؟ هل تعرفُني حتى تلقي الأحكام من تلقاءِ نفسك؟ هل تعرفُ ما أحبُ وأكره؟ هل تعرفُ أكلتي المفضلة؟ لوني المفضل؟ أفكاري؟؟ أخبرني هل تعرفُ شيئاً عن أفكاري؟ أيُ الكتبِ أُفضّل؟ هل تعرفُ شيئاً عني, هل حاورتني من قبل, جميعكم يلقي الأوامر فقط...أوامر أوامر هذا ما أتلقاه منكم! ؟

دخلت عبير بعدما سمعت ارتفاع صوت ابنتها لداخل الغرفة فاستدارت عسل مجدداً وصرخت بوالدتها: حتى أنتِ ..حتى أنتِ لا تعرفينَ شيئاً عني, طيلةَ سنوات وأنت لا همَّ لكِ سوى مراد والبكاءِ على مراد الغائب, لا تعرفونَ عني سوى تلك الفتاة ذات اللسانِ اللاذع والشجارات الدائمة, بدلاً من سؤالي عما بي, أسألوا أنفسكم أولاً عما فعلتموه بي بتجاهلكم.

اندفعت خارجةً من باب الغرفة بينما حدقَ مراد بوالدته التي انسابت دمعاتها وسألت بقلق: ما بها ! ما الذي جرى؟

- لا تقلقي غاليتي ستهدأ بعد قليل

تعالى رنينُ هاتفه مجدداً فخرج من الغرفة هرباً من والدته و ليستفهم من فهد عما جرى بالتفصيل بينما كانت عسل قد هبطت نحو الحديقة وجلست على المقعد الخشبي وقد اعتصرت قبضيتها على ركبتيها وانسابت دموعها هذه المرة دون أن تداريها..

****

دقائقُ أخرى مرت حتى تعالى صوتُ صياحِ رجُلٍ بعد أن دفع البوابة الحديدية وخطى بخطىً واثقة نحو الداخل وهو يصيح ويشتم, نهضت عسل بخوفٍ من هذا الذي يتهجم على منزلهم وأغلق مراد الهاتف من فوره وخرج ليستطع الأمر بينما كان الرجل ما يزال يطلقُ سيلَ شتائم عن ابنته عديمة الشرف والأخلاق التي تسكنُ بمنزلٍ مليءٍ بالرجال!

حاول مرادإيقافه للاستفهام عما به هذا الرجل حتى تنبهت دلال لصوت والدها فارتدت إسدال الصلاة وهرولت للحديقة بضيقٍ وخجل لما يسببه لها والدها من مشكلاتٍ أينما ذهبت, تطلع مراد بها بصدمةٍ من وجودها بالفيلا فلم

يكـن بعـد قـد أخبـره أحـدٌ بوجودهـا بـالملحق, بينمـا تقـدم والـدها كثـورٍ هـائج وسـحبها مـن الإسـدال وقـال بصـراخ: مـا الـذي تفعلينه هنا يا فاجرة أتريدين جلب العار لعائلتنا !

أمسـك مـراد بسـاعد الرجـل وشـد علـى قبضـته قـائلاً بحنـق: احترم نفسك واعرف عمن تتحدث يا هذا.

خرجـت عبيـر بعـدها فـوراً لتأخـذ دلال الباكيـة لجانبهـا وتقـول بغضـب: ابنتـك شـريفةٌ وطـاهرة وسـتبقى كـذلك ايهـا الرجـل, إنهـا تعيش هنا معي وتحت حمايتي, إياك وإيذائها

تعـالى زئيـر الرجـل وتطلـع نحـو الفـيلا بشـكلٍ سـاخر قـائلاً: يبـدو أنهـا هنـا لأغـراضٍ دنيئـةٍ لنفسـكم... وربمـا هـذا مـن جلبهـا لهنـا لمتعته الخاصة!

وأشـار لمـراد باسـتهتار شـهقت دلال مـن أقـوال والـدها الـذي طعـن بشـرفها أمـام الجميـع وأولهـم مـراد الـذي دفـع الرجـل بغلظـةٍ مـن كتفـه محـذراً: كلمـةٌ أخـرى وأقسـمُ بـالله أن تكون الليل بائتاً بقسم الشرطة.

-لا والله أنا من سيحضر لكم الشرطة.

صرخ بها والد دلال بينما اشتد بكائها فقالت بألم: لا, لا ذنب لهم سأذهبُ معك يا أبي, سأذهب"

-ومن قال بأني أريدكِ بعد الآن !" أجاب الأب باستهتار فتشبثت بها عبير قائلةً بحزم: لن تذهبي لأي مكان مع أحد, نحنُ نريدكِ معنا.

ثم تطلعت بمراد نظرةً طويلة فهم معناها مراد جيداً, دخلت عبير برفقة دلال لداخل الفيلا بينما حاول مراد السيطرة على أعصابه قدر المستطاع وقال برصانة: الآنسة دلال هنا, تعملُ كممرضةٍ لوالدي مفهوم.

فغر الأب فاه ثم فرك كفيه ببعضهما قائلاً بهدوءٍ نسبي:آه..آسفٌ لأني لم أفهم أصل الموضوع لكن تعرف أن ألسنة الناسِ لا ترحم.. ,إن كان الأمرُ لأجلِ العمل...سأتغاضى عن مبيتها هنا, لكن..

قاطعه مراد قائلاً بثبات: غداً سأحلُ بالموضوعِ بشكلٍ يرضيكَ أيها السيد.

فهم ما يرمي اليه مراد فسال لعابه بطمعٍ وقال مندفعاً: هل آتيك مساءاً؟

_لا, سيصلكَ كلُ شيءٍ لباب منزلك, أترك لي العنوان

قالها محدقاً بالرجلِ فأومئ له هذا الأخير وأذعن لأمره لينصرف بعدها حالماً بالغد !!

دخل مراد لداخل الفيلا ليحدق بوالدته ودلال التي انكمشت على نفسها بخجلٍ وما زالت دموعها تنهمر وهز رأسه لوالدته ففهمت أنه تفاهم معه.

رفعت دلال رأسها بخجلٍ وقالت له بعدما حطت نظراته عليها : آسفةٌ لما جرى, سألملمُ أغراضي وأرحل لا اريد التسببَ لكم بالمتاعب وشكراً جداً لوقوفكم بجانبي.

-لن تذهبي لمكان وأخبرتك بذلك" قالتها عبير بعتاب فقال مراد معقباً: مرحبٌ بكِ هنا آنسة دلال لكني تفاجئت فقط من وجودك لا اكثر فلم يخبرني أحد نظراً لانشغالي طوال اليوم خارجاً.

-هيا امسحي دموعك وسأذهب لأعدُ لكِ كوباً من شاي الأعشاب عله يريحك قليلاً" نهضت عبير فأومأت لها دلال شاكرةً بينما تقدم مراد أكثر ليجلس قبالتها قائلاً بهدوء: حللتُ الأمر وكلُ شيءٍ سيكون بخير إن شاءالله, لا تقلقي, أنت

الآن بحمايتنا آنسة دلال, اعتبريني بمثابة شقيقٍ كبير وأي شيء تحتاجينه اطلبيه دون تردد, اتفقنا.

عضت على شفاهها بحرجٍ من دفئ كلماته وصدقها, ومسحت دموعها قائلةً : شكراً لك سيدي, شكراً.

رن جرس الباب بهذه اللحظة لكنه أجابها:

-لا عليكِ آنستي هذا واجبي" ثم أضاف باسماً حينما دلف كريم من الباب بعدما فتحت له الخادمة : على الأقل هناك من سيعالج ارتفاع ضغطي بسبب هذا الأحمق كتلة المصائب المتحركة!" تبسمت دلال بخجل و قهقه كريم بمكرٍ وتقدم أكثرمن مراد وسحبه قائلاً :

-لن تداوي ارتفاع ضغطه فقط صدقيني" وغمز لها دون أن يفهم دلال أو مراد شيئاً من حديثه.

-ما سرُ هذه الزيارة المباغتة يا ترى؟

تساءل مراد لتجيب عسل وقد هبطت درجات السلم وهي تحمل حقيبةً صغيرة: أنا من دعوته,

تقدمت أكثر قائلة: هيا كريم.

سبقته عسل ناحية الباب بشموخ دون أن تلقي بالاً لمراد الذي توقف مشدوهاً بمكانه فرفع كريم يديه باستسلام ثم أشار له بأنه سيحادثه لاحقاً وغاب وراء عسل التي خرجت لتنتظره بجانب السيارة.

احتقنت ملامح مراد وارتد جالساً بينما دخلت عبير مجدداً للصالة وهي تحمل كوباً من شاي الاعشاب نهضت دلال لتتناوله منها فتسائلت عبير : من الذي حضر؟

-ابنتك دعت كريم ليصحبها لمنزلهم.

ارتد عبير جالسةً على الأريكة بحزن وقالت باندفاع: ما بها؟ ما الذي جرى ؟؟

تلكئ مراد قليلاً فشعرت دلال بالحرج فبدى بأنه سيحكي شيئاً خاصاً بالعائلة لذلك استأذنت منهم بأدب وخرجت لتصعد إلى الملحق, هز مراد قدمه بعصبيه وشرع يشرح لوالدته ما الذي فعله بالاتفاق مع والده و الطبيب فهد.

****

كانت اليسا منشغلةً طوال اليوم بالتحضر لمجيء شقيقها ساهر, فهاهي تقوم بإعداد مختلف أنواع الأطعمة التي تتذكر بأن شقيقها يحبها,تساعد الخادمة في ذلك وتشرف على تذوق الطعام بين حينٍ وحين, فهي لم تره منذ أكثر من خمس سنوات حينما جاء بزيارةٍ سريعةٍ كعادته لم تتعدى الاسبوع قبل أن يعود مجدداً لحياته وعمله, لم تكن علاقتهم سيئةٌ حتماً لكنها كانت عادية, ربما ابتعاده عنهم منذ كانت اليسا لا تتجاوز الإحدى عشر عاماً وسفره قامت بصنعِ حاجزٍ بينهما, ذلك الحاجز الذي يخلف المهاجر لنفسه وذويه, حيث يكون لا بد من اتصالاتٍ يوميةٍ لأقاربه ومعارفه ثم شيئاً فشيئاً تقل تلك الاتصالات لتتحطم أواصر تلك الروابط ولا يتبقى سوى مكالمةٌ كل بضع أيام وبعدها ربما كل شهرٍ أو عام!

لكنه شقيقها على أية حال, لأجل طفولتهما سوياً وذكريات البراءة ,كانت تتجهز أليسا, وربما كونها تحتاجُ فعلاً من يكون بجانبها بهذا الوقت.. تطلعت ناحية ساعتها وقد شارفت الشمس على المغيب وذهبت الخادمة لمنزلها بعدما جهزت كل ما قد يحتاجونه, أبدلت اليسا ملابسها على عجلٍ وانتظرت بلهفةٍ وصول شقيقها, وحين تمام الساعة السابعةِ مساءاً

طـرق البـــاب لتهـرع فـــوراً ناحيتـــه وتفـــتحُ البـــاب فتحـــدق بـــه بصدمة!

-هشام!!

نطقتهـــا بارتبـــاكٍ بينمـــا تفحصـــها هشـــام جيـــداً, بـــدت رقيقـــةً تتـــزين بثـــوبٍ أزرق يصـــل إلـــى مـــا تحـــت ركبتيهـــا بقليـــل, تبـــدو مختلفـــةٌ فعلاً! تبسم بصفاءٍ قائلاً وهو يرفعُ كيساً يحمله:

-لـــم تجيبـــي علـــى اتصـــالاتي,كنتُ قريبـــاً مـــن هنـــا ففكـــرتُ أن نتناول العشاء سوياً..

ضـــمت شـــفاهها بخجـــلٍ كونهـــا لا تســـتطيع دعوتـــه للـــدخول فقالت بلعثمة:

-كنتُ.. كنتُ مشغولةً جداً.

-أستبقى واقفين طويلاً إذن؟

تنحنحت بارتباكٍ ثم قالت بخجل:

-اعـــذرني لكـــن, أنـــا وحـــدي حاليـــاً فـي المنـــزل دلال والخادمـــة ليســـتا هنا..

تـــدارك نفســـه فـــوراً ليشـــعر بـــالحرج فحـــك شـــعر رأســـه متمتمـــاً باعتذارات:

-آه عفـــواً, آســـف, لا عليـــكِ إذن ســـنتناوله بوقـــتٍ لاحـــق, لكـــن أجيبي رجاءاً على الهاتف كيلا أقلق مجدداً.

هـــزت رأســـها موافقـــةً قبـــل أن يغـــادر مســـتقلاً ســـيارته وبعـــد أن اجتـــاز البوابـــة بقليـــل لمـــح ســـيارة أجـــرى تعبـــر البوابـــة انتابـــه فضـــولٌ جـــارف لمعرفـــة ضـــيفها الشـــاب فترجـــل عـــن ســـيارته المتواضـــعة التـــي اســـتطاع دفـــعَ القســـطِ الأول منـــذُ فتـــرةٍ وجيـــزة وتســـلمها اليـــوم, مشـــى بخطـــى حثيثـــة وســـار حتـــى وصـــل ناحيـــة البوابـــة لتتســـع حدقتيـــه بصـــدمةٍ وهـــو يـــرى ذلـــك الوغـــد يحتضن إليسا بهذه الأريحية!! بل ويقبل يديها ووجنتيها!

قـــبض علـــى البوابـــةِ الحديديـــة وشـــعر بغضـــبٍ هـــادر يجتـــاحُ كيانـــه وتـــأجج أكثـــر حينمـــا دلفـــا ســـوياً ناحيـــة الفـــيلا وأغلقـــا الباب:

-مستحيل!!

لـــم يفهـــم أو يســـتوعب هشـــام مـــا حصـــل فعلاً,بقـــي لـــدقائق واقفـــاً أمـــام البوابـــة الحديديـــة مشـــدوهاً مصـــدوماً ثـــم عـــاد لـــيجلس

بـداخل سـيارته وهـو يركـز بنظراتـه علـى نقطـةٍ وهميـةٍ أمامـه, لا بـل كانـت الشـياطين هـذه اللحظـة تتـراقصُ أمـام ضـوء سـيارته الأصـفر وصـدره المضـطربُ يشـاركها رقصـاتها بينمـا تعالـت ضـحكات اليسـا المرحـة وهـي برفقـة شـقيقها سـاهر و همـا يتنـاولان طعـام العشـاء ويحكـي لهـا عـن مصـائب ابنـه المشـاكس !

****

الفصل السابع عشر

عندما تقررُ أن تمتهن مهنةً كالطب عليك أن تؤمن بأنكَ تكرسُ حياتك لغيرك، بأي لحظةٍ وأينما كنت حينما يناديك واجبكَ المقدس عليكَ أن تهرعَ إليه دون كللٍ أو تململ، وهذا ما تؤمن به نور واستطاع آدم أن يتفهمه مرغماً، مساء هذا اليوم وحين استقلالها السيارة لعودة إلى المنزل بعد انتهاء عملها في المستشفى، رن هاتفها بإصرار لمرتين، أجابت الهاتف لتهتف بها امرأةٌ بجزع

(ساعديني..... تأخر الإسعاف..... زوجي يموت !!)) استطاعت بعد جهدٍ أن تستمع إلى العنوان من المرأة التي لم تكف عن البكاء وانعطفت بسيارتها للذهاب إلى العنوان التي أملته لها المرأة وبعد مدةٍ وجيزةٍ وصلت للعنوان وترجلت عن سيارتها بعد أن توقفت أمام ذلك المنزل البسيط ذو السقف القرميدي الذي تحوطه أشجار الزيتون من كل صوب.
اختفى القمر خلف السحب الرمادية التي على وشك التخلص من ثقل حملها، وتقدمت نورعبر البوابة الحديدية على الممر المرصوف بالحجارة والذي تتدلى من فوقه بعض أوراق العريش المائلة للاصفرار والمتساقط معظمها، حتى

وصلت ناحية الباب الخشبي الموارب, كادت أن تطرقه لكنها استمعت لبكاءٍ صادرٍ من الداخل فدفعته ودخلت لتستقبلها فوراً امرأةٌ بالعقد الرابع من عمرها وهي تلطم صدرها وتقول باندفاع :إنه بالأعلى, وقع عن السلم وشج رأسه...إنه ينزفُ بغزارة!!

استمعت لها ثم هرولت ناحية الطابق العلوي وخطت داخل الغرفة التي أشارت ناحيتها المرأة لكنها توقفت بغتةً...

لا يوجدُ رجلٌ ينزف! جالت ببصرها تلك الغرفة عندما وقع بصرها على ذلك الرجل الذي يجلسُ على الكرسي ويدير لها ظهره ! تقدمت أكثر لتستبين بهذه العتمة لكنها أجفلت عندما تم إغلاقُ الباب وإقفاله بالمفتاح, استدارت بهلعٍ ناحية الباب الموصد وحركت المقبض بعصبيةٍ وبدأت بالصياح لكنها لم تتلقى إجابةً من أحد, بعد لحظاتٍ سمعت صوته يهمسُ بعد أن صار خلفها مباشرةً:

-أهلاً بالدكتورة.

****

وكمــــا الجبــــال متباعـــــدة... هنـــــاك قلــــوبٌ أشـــدُ تباعُـــــداً, اللهُ سـبحانه خلــق التــراحم والمــودة بــين البشــر, لكــن بعضـــهم خلـــع الرحمـــة مـــن صـــدره واســـتبدلها بـــالطمع والغـــدر كانـــت اليســـا تـــود لـــو تلـــتمسُ رحمـــة ســـاهر واشـــتياقه لهـــا, كانـــت تتمنـــى الـــو أنـــه جـــاء ليحميهـــا, ليكـــون بجانبهـــا ويســـاندها لاجتيـــاز مـــا مـــرت بـــه, ليتـــك لـــم تعــــد! : نطقتهــــا بعــــدم تصــــديق وهــــي تتطلـــعُ بشـــقيقها الوحيـــد بعـــدما طالبهـــا ببيـــع الفـــيلا والمعمـــل بـــل وجميـــع ممتلكـــات والـــدها, هزت رأسها بعدم تصديقٍ وكأنما قام بصفعها بقوةٍ بقراره,

_لم يجف تراب قبريهما بعد!!

قالتهـــا بـــألمٍ فأجابهـــا بـــلا مبـــالاة: رحمهمـــا الله, الحـــي أبقـــى مـــن الميـــت, أحتـــاج عمولـــةً لســـد ديـــوني وتطـــوير أعمـــالي, بكافـــة الأحوال لن أستطيع إدارة المعمل هنا كوني مغترباً"

-وأنا!!؟

-لـــديكِ عملـــكِ الخـــاص, و منـــزلٌ صـــغيرٌ يكفيـــكِ, وســـأتركُ لـــكِ السيارة.

اغتـال سـاهر قلبهـا بقسـوته الظـاهرة, ضـمت كفيهـا علـى صـدرها وهـي تتطلـعُ بـالفيلا, لـم يقطنوهـا كثيـراً, لكـن تكفيهـا ذكريـات

وجـود والـديها فيهـا, يكفيهـا جـدران هـذه الفـيلا التـي احتضـنت آلامهـا وأفراحهـا, تكفيهـا هـذه الجـدران التـي عزفـت بـين أروقتهـا نغمات الوحدة والسكون والطمأنينة,

-لا أستطيعُ بيعَ الفيلا..لا أستطيع.

-لـم أحضـر لسـماع رأيـك, جئـتُ لإنهـاء الأمـر, ولـمَ لـم تعـودي لزوجـك حتـى اللحظـة وقـد عـاد مـن سـفره منـذُ عـامٍ وأكثـر!! سـأفكر بإرجاعـكِ إليـه أيضـاً كـيلا تبقـي بمفـردك وكونـه ثـريٌ لـن تحتاجي لشيْءٍ كثيرٍ من ثروة والدك.

هـزت أليسـا رأسـها بعـدم تصـديق, أيعقـل أنـه شـقيقها!! نهضـت مـن علـى الأريكـة وصـرخت بـه: حتـى بحيـاتي الشخصـية سـتتدخل بهـذه الطريقـة البشـعة, سـتأمرني بـالعودة إليـه وأنـت أصلاً تعرفُ سبب طلاقي منه!

نفـخ سـاهر بعصـبية وهتـف محـذراً: اسـمعيني أليسـا, أنـا مسـافر وأنـتِ وحيـدةً هنـا أتعجبـكُ حياتُـكِ هكـذا, هـذا بـدلَ مـن أن تشكريني لأني أريدُ لكِ الاستقرار.!

ضـحكت اليسـا باسـتهزاء وأجابـت سـاخرة: بـل تريـدُ مني العـودة إليه لنفوذه وثروته كي تستولي أنتَ على ثروة والديكَ كاملة.

جـز علـى أسـنانه بغـيظٍ وقـال بجديـة: اسـمعيني جيـداً, كلامـي سـينفذ بـالحرف, وسـأذهبُ لملاقاتـه إن كـان مسـتعدٌ لإرجاعـكِ فلـن أتـردد بالموافقـة وحـريٌ بـكِ أن تـذعني لأمـر شـقيقكِ الكبيـر فأنا الآن وليُ أمرك.

حـدقت فيـه بعـدم اسـتيعاب تنتظـره أن يقـول أنهـا مزحـة لكـن نظراتـه جـادةٌ زيـادة عـن اللـزوم, جـادةٌ بطريقـةٍ مخيفـة! نظـرت إلـى السـاعة المعلقـة علـى الحـائط وقـد تجـاوزت العاشـرة مسـاءاً ثـم قالـت وهـي تهـرول عبـر السـلم لتغييـر ملابسـها: لـدي مناوبـةٌ بالمستشـفى" هربـت مـن أمامـه كالمنومـة كابحـةً سـيل دموعهـا, علـى الـرغم مـن أنهـا قـد قـدمت إجـازةً لأسـبوعٍ طيلـة فتـرة مكـوث سـاهر كـي تبقـى أطـول فتـرةٍ ممكنـةٍ معـه, لكنهـا بعـد يـومٍ وليلـة من مجيئه هربت من السكاكين التي يقوم بطعنها بها.

وصـلت إلـى المستشـفى كالمغيبـة وكلمـاتُ شـقيقها تتـدافعُ وتُعـادُ علـى مسـامعها, كانـت تسـعى للاحتمـاء بـه فقـط والآن لا تعـرفُ بمـن سـتحتمي...في الـرواقِ الرئيسـي تلاقـت عيناهـا بعينـي هشـام الـذي حطـم آخـر أمـلٍ لهـا بتجاهلـه المميـت, مـر مـن أمامهـا بعيـونٍ لا روحَ فيهمـا, كانـت تحتاجـهُ جـداً الليلـة, تحتـاجُ نظراتـه الحنون وكماته التي تبثُ الطمأنينةُ لروحها.

توقفـت بـالرواق بعـدما مـر وكأنهـا غيـر موجـودة والتفتـت إليـه, لـم يسـتدر, لـم يعرهـا أيُ اهتمـامٍ وكأنهـا محيـت مـن قاموسـه, اعتصرت مئزرها الطبي وأكملت طريقها بقلبٍ متهشم

المـوتُ الحـق... هـو أن تمـوتَ وأنـتَ علـى قيـد الحيـاة, أن يتوقـف قلـبُ مـن تحـب عـن الخفقـانِ لـك, وأن تتوقـف شـفاهه عـن مناداتك

لـيس هشـام مـن ذلـك النـوع الانـدفاعي المتهـور حينمـا يتعـرضُ لصـدمةٍ مـا لكـن علـى مـا يبـدو قـد يفيـدُ الانـدفاعُ أحيانـاً, يـدركُ أن أليسـا لـم تعطـه وعـداً صـريحاً بحبـه, لـم تعطـه أمـلاً حتى ولـو كـان وهيـاً وبالتـالي ليسـت خائنـة, لكـن تلـك اللطمـة كانـت موجعـةٌ جـداً لـه...ومن وجهـة نظـره العمليـة البحتـة, العضـو التـالف يجـبُ أن يـتم استئصـاله, وحبـه لهـا صـار ضـاراً جـداً لنفسه.

دلـف إلـى مكتبـه خلـع المعطـف الأبـيض ورمـاه بعنـفٍ وقـد اسـتعادت ذاكرتـه صـورة اليسـا وهـي بـين ذراعـي ذلـك الرجـل الـذي لـم يسـتبين ملامحـه جيـداً..ربما هـو مـراد وقـد عـادت إليـه! ربما رجلٌ آخر.!!

ضرب بكفيه على الطاولة مغمضاً عينيه محاولاً طردها من تفكيره لكن كيفَ لجسدٍ أن يطرد روحه بإرادته!!

وبالكاد استطاع تمضية ساعات الليل حتى انتهاء مناوبته, ثم غادر المستشفى بسرعةٍ كالهارب من الجحيم متوجهاً إلى شقته واندفع لينامَ كالقتيل دافناً رأسه بوسادته ,

استيقظ بعد عدة ساعاتٍ على رنين هاتفه فأجاب والدته التي أعلمته بضرورة الذهاب لزيارة خاله,فعلى ما يبدو أنه متوعك ولن تستطيع هي الحضور نظراً لكونها في القرية وتشعرُ بالقلق على شقيقها, ... لا يهم, سيحضر , ما عليه سوى إنهاء هذه الزيارة الحتمية كي لا ينهار الكون فوق رأسه ثم العودة لحزنه دون إزعاجٍ من أحد, توجه بسيارته ناحية منزل خاله فاستقبلته زوجة خالته بحبورٍ ومرح وكأنه التقت بغالياً للتو!

قام بالولوج لغرفةِ خاله مباشرةً الذي يعاني من نزلة برد وفحصه والاطمئنان على صحته ثم توجه للجلوس بالصالة حتى اختفى الجميعُ فجأة لتدلف فاطمة الخجولة لتقدم له كأساً من عصير الليمون, تبسم ساخراً ثم قال: والدك يحتاجه أكثر مني حالياً.

اصطبغت وجنتاها بحمرةٍ شديدة مجيبة: ألا تحبه, أأحضر لكَ القهوة؟, أو الشاي؟

تبسم محركاً رأسه بيأس: لا, شكراً لكِ سأشربه "

ارتسمت ابتسامةٌ على شفاهها التي أصرت والدتها أن تصبغهما بلونٍ وردي لتتماشيا مع لون ثوبها المائل للحمرة القانية وحجابها الأبيض, كادت أن تهرب للداخل لكنها تلقت عند الباب نظرةً قاسيةً من والدتها التي وقفت كالحارس أمامها, لترتد يائسةً وتجلس بخجل أمام ابن خالها الذي تشاغل بالعبث بهاتفه بينما جلست هي مطرقةً رأسها كمن يستعدُ لتلقي التوبيخ من استاذه!

طال تشاغله عنها مما شجعها لرفع رأسها والنظر إليه, بل سرحت بلون شعره وعينيه, بعدد أنفاسه, بقميصه الأسود الذي لم يزده إلأ رجولةً وجمالاً, رفع رأسه لا إراداً ليمسكها متلبسةً تحدق فيه ببلاهة, اشاحت ببصرها عنه فوراً فنهض من مكانه قائلاً: يبدو أن والدتك مشغولة وأنا تأخرت, عن اذنك" لتنهض بدوها وقد شعرت بحرجٍ شديدٍ منه, ظهرت والدتها فجأةً أمام الباب تحلف عليه أيماناً مغلظةً لتناول العشاء لكنه رفض وبالكاد استطاع التملص من براثنها.

خرج مطلقاً زفرةً قوية وقال بسخط: ألا يكفون عن إحراجها وإحراجي!!

****

استدارت نور وقد جمدت الدماء بعروقها حينما رأت أمير بكامل أناقته وهو يتبسمُ لها تلك الابتسامة الشيطانية لتلتمع أسنانه كأنيابِ ذئبٍ شرش التي بثت الهلع بصدرها, نطقت بهسيسٍ مختنق:دكتور أمير! ماذا .... تريد مني!

مد أصبعه ليرفع ذقنها : منكِ لا أريدُ شيئاً.

ضربت كفه بعصبيةٍ وابتعدت وهي تهتف به: إياكَ وفعلها مجدداًوإلا أقسمُ بالله أن أحطم عظامك,

أطلق ضحكةً عاليةً ثم رفع يديه قائلاً بمرح: حطمي ما شئتِ بي أنا أمامك"

حدقت فيه بخوف ثم فتحت حقيبتها بيدين ترتجفان وأخرجت الهاتف فاندفع تجاهها فوراً وقذف بالهاتف أرضاً ليتحطم ثم قال بقهر وهو يعتصر ساعدها تحت قبضته الغليظة : سيأتي ذلك الوغد حتماً لكن ليس قبل أن نضع النقاط على الحروف.

انسـابت دموعهـا بغـزارةٍ وقـد تملـك منهـا الخـوف: مـا الأمـر؟؟ مـا الذي تريده!

قال بصوتٍ مختنق :

-وهل تظنين أن بإمكاني إيذائك... هل تظنين ذلك؟!

ابتعـد عنهـا فجـأة واسـتدار عنهـا قـائلاً :بالمناسـبة ربمـا فكـرتُ بجمانة, واحدةٌ بواحدة... فكرتُ بوالده حتى, لكن"...

اسـتدار ناحيتهـا وهـي تتطلـع فيـه بصـدمةٍ ليـردف بعـدما أنـار الضـوء : لكننـي لسـتُ مجرمـاً, سـأقومُ بقتلـه لكـن.... بطريقـةٍ أخـرى, سـأقتلهُ دون أن يسـيلُ منـه قطـرةُ دمـاءٍ واحدة"تقـدم منهـا مجـدداً و لطمهـا بإصـبعه ناحيـة قلبهـا قـائلاً بقهـر: سـأقتله هنا ...فهذا أشدُ أنواع القتلِ إيلاماً.

-آدم !! ماذا تريد منه؟!

تجاهـل سـؤالها وتقـدم ناحيـة الطاولـة التـي بـآخر الغرفـة وتناول صندوقاً خشبياً حمله وعاد ناحيتها قائلاً بغضب:

-بهذا الصندوق...هلاكُه....هلاكُ من تعتقدينه ملاكاً.

تفرســـت بملامحـــه التـــي تبـــدلت بطريقـــةٍ مرعبـــةٍ وهـــو يقـــوم بفتحـــه وقـــد تهيـــأت لتـــرى مسدســـاً أو أداة قتـــل لكنهـــا رأت مجموعةَ صورٍ فقط وبضعةِ زهورٍ جافة!!

-صـــور!! همســـت وهـــي تتطلـــع بـــأمير بصـــدمةٍ ليســـتدير ناحيـــة السرير ليضعه عليه قائلاً:

-نعم.... مجردُ صور"

ثـــم انـــدفع ناحيـــة البـــاب وفـــتح بمفتـــاحٍ آخـــر كـــان بحوزتـــه تاركـــاً نـــور وحيـــدةً بالغرفـــة أمامهـــا ذلـــك الصـــندوق الـــذي أثـــار رعبهـــا وحيرتها.

****

الفصل الثامن عشر

لـــذكريات ....مـــاهي إلا مجموعـــة صـــورٍ مخلـــدةٍ فـــي ذاكرتنـــا تغفـــو فـي سـلامٍ حتـى يحـين موعـد انبعاثهـا مـن جديـد, تُطلـق صـرخة إحيائهـا مجـدداً مـن همسـةٍ ...مـن لمسـةٍ وموقـفٍ ومكـان... ومـن صورةٍ أحياناً!

كـان رجـم محتويـات هـذا الصـندوق لا يـرحم... كجمـراتٍ مـن لهيـب إحـدى البـراكين تتقـاذف حممهـا لترجمهـا دون رحمـة, تتلـوى روحهـا مـع كـلِ صـورةٍ تقلبهـا بكفهـا وتشـهدها عينيهـا علـى مـن تظـن أنـه خـان العهـد والثقـة فـي يـومٍ مـن الأيـام ! وتلـك الزهـور الجوريـة الجافـة قصـةٌ أخـرى!!, خـاتمٌ منقـوشٌ عليـه بإتقان...(آدم و بيسان(

امـــتلأت الأرضـــية والســـرير بتلـــك الصـــوراللتي جمعـــت آدم وبيســـان والرســـائل المصـــورة كإثبـــاتٍ للجريمـــة... تلـــك الفتـــاةُ التـــي كـــان لهـــا الأثـــرُ فـــي تغييـــر الكثيـــرِ بعـــد هـــذه اللحظـــة فـــبعضُ الأخطـــاءِ لا تغتفـــر إن كنـــا لا نعـــرفُ أصـــل الحكايـــة, كانـــت نـــور تشـكُ بأنهـا تعـرف هـذه الفتـاة فهـي مألوفـةٌ لـديها, لكـن مـا لـم تكـن علـى درايـةٍ بـه تلـك العلاقـة الوثيقـة التـي تبـدو أنهـا تـربط

زوجها بها لم تنتبه على أنها ماضٍ بعيد, ملابسُ خليعةٌ كإحدى راقصاتِ الملاهي الليلية تتزينُ بها تلك الفتاةُ بأغلب الصور, وحتماً أغلبُ الصور ملتقطةٌ في مثل هذه الأماكن, ناهيك عن أنها ملتقطةٌ من هاتفٍ خليوي لكن تم طباعتها مؤخراً, طيلة ساعةٍ كاملةٍ كانت نور تتأمل تلك الكوارث المطبوعة بدموعٍ تتساقط لتحرق مكان سقوطها كأسيدٍ يكوي الروح دون رحمة, أخبرته سابقاً أنها ستغفر كل شيٍ إلأ الخيانة...والآن أثبت لها وبالدليل أن ذلك الحب عبر تلك السنوات ضاع بعد أن مزق فؤادها...

طيلة الوقت كان أمير واقفاً خلف الباب الموارب يراقبها بصمت بعيونٍ التهبت كذلك لذكرى شقيقته المتوفاة, لم يعرف هو أصل الحكاية وقدمها لنور بطريقةٍ خاطئة بتشجيعٍ من والده, ... تقدم بهدوءٍ ناحيتها ثم ركع على ركبتيه أمامها, لم تنتبه له حتى أسند كفه على ركبتها وبالأخرى رفع ذقنها ليتطلع بعينيها الحمراوتين, طبع الجرحُ أثراً عميقاً بتلك العينين البلوريتين وغرق هو بهما ليزداد ألم صدره وهمس : شقيقتي بيسان...كانت صديقته بالجامعة وهذه الصور تثبت أنهما كانا على علاقةٍ وطيدة, مكالماتهما المتكررة, الرسائل على

مـــدى ســـنوات, هـــذا الخـــاتم, الزهـور....جمعتهـــا لـــكِ مـــع أوجـــاعِ روحي ووضعتها بهذا الصندوق.

أتسائلُ أنا..... إن كان بينهما علاقة حب لمَ تزوجَ منكِ ؟!

ثم أردف بعد فترة صمت" انتحرت بسببه.

تنبهـــت لكلمتـــه الأخيـــرة فشـــهقت وقـــد اتســـعت عينيهـــا بصـــدمةٍ أعجزتهـــا عـــن الـــرد, مـــن اســـتلم الـــرد بالنيابـــة عـــن فمهـــا همـــا عينيهـــا اللتـــين لـــم تتوقفـــا عـــن ذرف الـــدموعِ لحظـــةً واحـــدة, أردف أميـــر بـــذات القهـــر الـــذي حبســـه لســـنوات: قفـــزت مـــن علـــى الشـــرفة أمـــامي وهـــي تـــردد أن أدم تركهـــا وتـــزوجَ منكِ...بليلـــة اســـتمتاع الجميـــع بحفلـــة زواجكمـــا كانـــت شـــقيقتي مخضـــبةً بـــدمائها وشـــهرُ العســـلِ الـــذي أغرقـــكِ فيـــه كـــان علـــى حســـاب روح شقيقتي الوحيدة

نهـضَ بغتـــةً وقـــد ضـــغط علـــى عينيـــه بإصـــبعيه وأردف مجـــدداً بصـــوتٍ عـــالٍ: ماتـــت لتصـــاب والـــدتي بعـــدها فـــوراً بصـــدمةٍ حـــادةٍ ســـلبت منهـــا الشـــعور بقـــدميها لتصـــبح أســـيرة كرســـيٍ لعين...ووالدي من حينها, لم يرحمني

ضـرب الحـــائط بقبضـــة يديـــه وقـــال بغضـــب: ســـنتان وأكثـــر وأنـــا أحـــاول أن أعـــرف مـــن هـــو آدم الـــذي ذكرتـــه شـــقيقتي قبـــل أن تنتحـــر... والـــدي يهـــدد بكـــلٍ لحظـــةٍ ويحضـــني علـــى الانتقـــام، والـــدتي العالقـــة بـــين الحيـــاة والمـــوت التـــي تنتظـــر منيتهـــا كـــل ليلـــةٍ ويـــوم ترجـــوني أن أريحهـــا مـــن عـــذاب هـــذه الحياة...وليـــالٍ عشـــتها أنا بقهرٍ وألمٍ عما حل بعائلتي بسبب زوجك النذل.

اقتـــرب منهـــا بســـرعةٍ وصـــار يهزهـــا بعنـــفٍ ويصـــرخ:ماتت والـــدتي بعد معاناةٍ وقهرٍ وألم وأنا عاجزٌ عن مساعدتها

.....بعـــدها رأيـــتُ الهـــاتف القـــديم الـــذي كانـــت تحـــتفظ فيـــه بكـــل شـــيءٍ جمعهمـــا ســـوياً... عرفتـــه واكتشـــفت مـــن يكـــون، اســـتوليت علـــى المستشـــفى الـــذي يملكـــه عمـــي وابنـــه بعـــد أن كنـــا نمتلـــكُ أســـهماً قليلـــةً فيـــه،كُا قـــد طلبنـــاكِ بالإســـم كـــي تعملـــي فيـــه كمتدربة، كي

أصـــل لزوجـــك مـــن خلالـــك، لأقـــبض روحـــكِ انتقامـــاً لهـــا، كنـــتُ أراكِ كـــل يـــومٍ وأغـــذي روحـــي بالانتقـــام مـــن زوجـــك مـــن خلالـــكِ أنتِ....

ثم تراجع وقال بأسف :

حينما ضربتُكِ بسيارتي...تمنيتُ أن أدهسكِ بقوةٍ لأنهي كل شيء, لأشعرهُ فقط بمعنى هذا القهر الذي عشنا فيه بعدَ فقدها, لكن شيئاً خفياً منعني لأخفف سرعة السيارة فأصبحَ الموضوعُ مجرد حادثٍ بسيط!!

ضرب صدره قائلاً بحنق: هذا اللعينُ منعني عن أذيتكِ مراراً وما زال يمنعني حتى اللحظة, صار والدي يهددني بأذيتك هو لترتاح روحُ شقيقتي, وأذيةُ والدي حقودةٌ جداً"

ابتلع غصةً خانقةً بحنجرته ثم اردف:

-لن أتمادى أكثر ولن أخيفكِ , حساباتي كانت خاطئة منذ البداية " ابعدها عنه وثبت نظراته على عينيها قائلاً برجاء:

-اهربي, ابتعدي نور, ابتعدي عني وعن زوجك وعن المستشفى.... اهربي مني كمن تلاحقه الشياطين واحتمي بعائلتكِ فقط.

ثم دفعها عنه ليتعالى نشيجها, انتشلت حقيبتها وهرولت مسرعةً لتخرج من هذا المنزل الذي أصبح جزءاً من كوابيس واقعها بينما هو أخرج هاتفه ليتصل بالحارس وقال بصوتٍ متحشرج: راقبها...واطمأن على أنها بخير"

طيلة هذه الفترة وآدم قد تعاظم قلقله عليها بعد أن اتصل فيها لمراتٍ ومرات من حين خروجه من مقر الشركة حتى دخوله للمنزل لكن هاتفها مغلق, كان القلقُ ينهشه فعلاً وقد تأخرت في العودة للمنزل. لكن الآن نور كانت قد هربت فعلاً لتحتمي بين جدران منزل عائلتها, طيلة الطريق وصوت بكائها لم ينقطع لحظةً واحدة كمن فقدت عزيزاً....كيف لا وقد فقدت روحها هذه اللحظة! , وصلت للمنزل واندفعت إليه بروحٍ ميتةٍ بعدما أفرغت شحنتها خارجاً تطلعت بوالدتها التي فتحت لها الباب, اكفهر وجهها بقلق بعدما رأت حالة ابنتها, لكنها لن تبرر أي شيء...سقطت من فورها مغشياً عليها بعدما نال منها الإرهاق والصدمة مبتغاهما لتصرخ عبير صرخةً جعلت جميع من في المنزل يهرع ناحيتها, حتى دلال التي ما إن سمعت صوت عبير حتى اندفعت راكضةً لترى مراد قد حمل شقيقته ليريح جسدها على الأريكة, قامت دلال بإنعاشها قليلاً, في حين تخابط الجميع للاتصال بإحدى الأطباء وبشكلٍ طبيعيٍ اندفعت دلال لتتصل بأول من سيظهر على شاشة هاتفها....اتصلت بهشام الذي حتماً سيلبي نداء واجبه على الفور.

خرج مراد مسرعاً من الفيلا واتصل بمن ستلبي النداء كذلك دون تردد....اتصل ب إليسا وهرع لإحضارها"

نصف ساعةٍ مرت حتى كان هشام يقوم بفحص نور التي شحب وجهها لدرجةٍ أخافت جميع من في المنزل عليها, ولم يكد ينهي فحصها حتى تقدمت اليسا برفقة مراد بقلقٍ عظيمٍ ناحية نور,دخلا ليفاجئ الثلاثة هذه اللحظة ببعضهم, اعتدل هشام وكمن لسعته كهرباءٌ في جسده, بينما اليسا تصلب جسدها للحظاتٍ من رؤيته بهذا المنزل, تفاجئ كذلك مراد من وجوده وبغيرةٍ رجوليةٍ أحس بلطمةٍ على صدره كونه يعرف جيداً مشاعر هشام لزوجته السابقة, تنحنح هشام قائلاً بمهنية وهو يتجاهل اليسا : ضغطها مرتفع, بوادرُ انهيارٍ عصبي, تحتاجُ للراحةِ وستصبح بخيرٍ إن شاء الله .

وما كاد ينهي كلمته حتى دلف آدم مسرعاً بعدما هاتفته عبير كذلك, تعاظمت ضرباتُ قلبه وهو يهرول ناحية جسدها المسجى على الأريكة وهي نصفُ واعية .. تساءل بهلعٍ عما جرى, انقطعت نظرات الجميع لبعضهم حينما تأوهت نور وشرعت بالصراخ من جديد بطريقةٍ هستيريةٍ حينما رأت آدم أمامها" أيها الحقييرر...ابتعد عني

,صرخةً جعلت اليسا تهرول ناحيتها بقلق بينما هشام قام بتثبيتها لحقنها بمهدئ وآدم يتراجع بصدمة من نور التي انطلقت بسبابٍ هادرٍ له بعدما أدركت وجوده.

ارتخى جسدها بعد لحظاتٍ بينما تطلعت عبير بآدم بصدمةٍ جلية ولم يتردد مراد بالأندفاع ناحيته حتى حشره على الحائط وصرخ بغضب: ما الذي فعلته لها!!

قلب نظراته على الجميع بعدم استيعاب فتقدم هشام ليحول بينهما بينما هرعت اليسا بعفوية لتتمسك بمراد :

-رجاءاً لنفهم ما جرى أولاً,

هز آدم رأسه بصدمة قائلاً: لا أعرف, أقسم بالله لا أعرف, أنا....لم أرها طيلة اليوم حتى.!

كاذب" صرخ مراد بحدة لتسحبه اليسا مجدداً متأبطةً ذراعه ليتهاوى قلب هشام الواقف أمام آدم, وتأكدت شكوكه بأن من دخل شقتها هو مراد حتماً وقد رجعت إليه!!

قالت دلال بهدوء: رجاءاً دعوها ترتاحُ الآن وسأكون برفقتها إن احتاجت لشيء,لا وقت للشجار.

تقـدم آدم ليحمـل نـور لإراحتهـا بغرفتهـا لكـن مـراد لطمـه بغضـبٍ وابعده : لا تلمسها واغرب عن وجهي هذه اللحظة!

تسـارعت أنفـاس آدم وهـو يكيـل النظـرات الحاقـدة علـى مـراد وقـال بحنـق: لا تحملنـي مسـئوليةَ جريمـةٍ لـم أقترفهـا, وهـي مـا تزال زوجتي.

تجاهلـه مـراد وانحنـى علـى شـقيقته وحملهـا بـين ذراعيـه ليصـعد بهـا إلـى غرفتهـا بينمـا لحقـت بـه دلال وعبيـر التـي اعتـذرت مـن هشام واليسا بتمتماتٍ غير مترابطة.

أمـا آدم فقـد جلـس علـى الكرسـي بصـدمةٍ لا تقـل عـن صـدمة الجميـع تجاهـه وقـد هـوى قلبـه بـين قدميـه فـلا يعـرف مـا الجريمـة التـي اقترفهـا لتنهـار بهـذا الشـكل !, غـادرت اليسـا الفـيلا بعـدما طمأنتـه أنهـا سـتكون بخيـر وألا ينـزعجَ مـن مـراد لأنه خائفٌ على شقيقته ,

تبعهـا هشـام مغـادراً مسـتقلاً سـيارته أمـا هـي فلـم تكـن تنتظـر منـه أن يقلهـا فتصـرفاته الغريبـة لـم تتـرك لهـا خيـاراً ولا وقـت الآن للعتـاب أو الشـجار، خطـت للخـارج وصـارت تمشـي علـى الطريـق الـذي اشـتد ظلامـه بينمـا هـو رآهـا تمشـي وحيـدة

فغلبته عاطفته وشهامته على غضبه منها, أطلق بوق سيارته ووقف بجانبها لتتوقف عن المسير, صدع صوته : اركبي سأوصلك.

-شكراً لا داعي سأتمشى.

-إليسا.....إركبي.

قالها بحدةٍ لم تلتمسها به سابقاً لتذعن لأمره بشكلٍ لا إرادي وتجلس بجانبه لينطلق بسرعةٍ جعلتها تتمسك بكرسيها وتهتف به بخوف: ما بك خفف السرعة سننقلب!!

-لننقلب...بجهنم " نطقها وهو يشد على المقود بعصبية كلما تذكر احتضانها لذلك الوغد وادخاله منزلها وعقله يؤلف أبشع السيناريوهات عنهما.

أمسكت كتفه وشدت عليه وصرخت فيه برجاء فدعس على الفرامل بقوةٍ لتتوقف السيارة فصرخت به بغضب :

-ما بك أتريد قتلنا!! ما بك!

ضحك باستهزاءٍ مجيباً: تسأليني وبكل وقاحة ! لكن...لم أظنُ بيومٍ أن تكوني بهذا الرخص, ظننتك امرأةً محترمة.

شهقت بصدمة من اتهاماته : هشام! أأنتَ مدركٌ لما تقول.

رن هاتفها فقد اتصل بها مراد بعدما أدركَ أنها غادرت بمفردها, تطلع هشام على الهاتف وكأنه أدرك أنه زوجها السابق فصرخ بغضب :

-إن كنتِ ستعودين إليه, لمَ جعلتِني كالأبله أطاردك وأحلم بك, لمَ أعطيتني أملاً كاذباً!!

-ما الذي تهذي به أجننت!! أنا ...أنا لا أفهم.

-سبحان الله....البراءةُ تشعُ منكِ حقاً!

ثم غارد سيارته وسحبها قائلاً بغضب: بإمكانك استقلال أية وسيلة مواصلاتٍ أو انتظار الحبيب لايصالك من هنا انتهى دور المهرج بحياتك.

تركها عالقةً على الطريق وعاد لسيارته وانطلق مجدداً بينما راقبته اليسا بخوفٍ وصدمة وهي لا تفقه سر كلماته الجارحة وتصرفاته الغبية !!.عاود هاتفها الرنين مرة اخرى لتجيب على مراد هذه المرة الذي قال بعتاب: لمَ ذهبتِ بمفردكِ بهذا الوقت!!

-أنا...لقد رأيتكَ قلقاً على نور, سأكون بخير لا تقلق وغداً إن شاءالله سآتي للاطمئنان عليها.

-لااسمعي...سآتي لايصالك تأخر الوقت ابقي مكانك وسأكون عندك خلال دقائق قليلة لن تري وسيلة مواصلاتٍ تمر من هنا"

تطلعت حولها بهذا الشارع المظلم وتنهدت بيأس ثم قالت:

-نعم...أعرف أني لن أرى وسيلة مواصلات, أنا الآن قريبةٌ من منزل عمك.

-حسناً..حسناً " قالها مراد ولم يستوعب كون المسافة التي قطعتها اليسا طويلةٌ نسبياً على أن تكون قد قطعتها سيراً على قدميها بهذه السرعة نظراً لانشغاله على نور,وهي لم تدرك أنها نبشت كذلك الماضي بكلماتٍ نطقتها دون وعيٍ منها...فهي تعرفُ أن هذا الشارع لن تمر منه وسيلة مواصلات والمسافة حتى الموقف طويلة.

وفعلا ماهي إلا دقائق قليلةٍ جداً حتى توقف بسيارته أمامها "

****

جلست عسل بالحديقة برفقة جمانة وكريم وقد كانت قد شرحت لهما سابقاً سبب تركها للمنزل فقاما بالشرح لها أن مراد كان يخشى أن تسيء فهمه لذلك اختار طريق الكذب, لكن الكذب والخداع بقاموسها جريمةٌ لا تغتفر ,

-الحقيقة حتى ولو كانت قاسية هي من أنجى الطرق, لا يفيد الكذب سوى بزيادة أوجاعنا" قالتها لهما بثقةٍ عالية وهي تتطلع ناحيتهما بجرأةٍ وشموخ امرأةٍ عاركتها الحياة . تبسم كريم وربت على كتفها مجيباً:

-قد يفيدنا الكذب أحياناً, اعتبريها كذبة بيضاء من أخٍ خائفٍ على شقيقته.

تنهدت وقد شردت بوريقات الشجر التي تراقصها الرياح وهي تفكر بكلماته, ليست المشكلة فقط بكذبة مراد... بل بفهد, ذلك الرجل الذي أمنت له وحكت له الكثير فشعرت حقاً بأنه قد تم استغلالها من خلاله.

نهضت من على الكرسي قائلة بفتور: سأنام, تصبحان على خير" وخطت إلى الداخل فراقبتها جمانة بحزنٍ وهمست :

-وكأن هذه العائلة ينقصها مشكلةٌ أخرى!؟

تحـــرك كـــريم بكرســـيه ناحيتهـــا ضـــاحكاً: شـــاروخان بأفلامـــه لـــم يتعرض لمصائب هذه العائلة!!

حدجتــه بنظــرةِ غضــبٍ فقــال باســماً : قلــبُ هــذه البلهــاء أنصــعُ من الثلج, إنها تربيتي "

هــزت رأســها موافقــةً ورفعــت كــوب النســكافيه الســاخن وشــربت منــه القليــل فمــال عليهــا كــريم أكثــر وهمــس بأذنهــا بكلمــاتٍ قليلــةٍ فشــرقت وأخــذت بالســعال ارتباكــاً وخجــلاً, ضــربها علــى ظهرهــا قائلاً بمكر: بسم الله !!

عضــت علــى شــفاهها بحنــقٍ وهــي تحــدق فيــه ثــم همســت : تــأدب ولد!

-حلالــي ويحــلُ لــي " قالهــا ضــاحكاً فغــادرت مــن أمامــه بســرعةٍ وهي تهتف بصوت مرعب بعد ان رفعت يديها :

-حلت عليك لعنة النداهة و حق عليكَ النومُ بالصالة إذن"

هرولـــت بســـرعة للـــداخل فـــنهض خلفهـــا ضـــاحكاً هـــو يفرقـــع أصابعه: إستعنا بالله تحتاج إحداهن للتأديب الفوري"

****

الفصل التاسع عشر

عنـــدما نتعـــرضُ لتلـــكَ اللطمـــة الموجعـــة ممـــن نُحِـــب وتشـــعرُ بـــذلك الشـــرخ الـــذي بـــدأ بالتوسع..ســـتتأكدُ حينهـــا أن لا شـــيءَ ســـيعود لمـــا كـــان عليـــه, ســـيتغيرُ الكثيـــرُ جـــداً..وأولهم الثقـــة, الشـــعورُ بالأمـــان الـــذي تلاشـــى, وذلـــك الألـــم الـــذي يتخـــذُ مـــن القلب مسكناً له..مسكناً لن يغادره بسهولة.

اســـبوعٌ لـــم يتغيـــر فيـــه شـــيءٌ بالنســـبةِ لنـــور التـــي اتخـــذت مـــن الســـرير ملجـــأً ووســـادتها التـــي روتهـــا بـــدموعٍ ذرفتهـــا صـــدمةً ممـــا فعلـــه آدم,..صـــدمتها كانـــت عنيفـــة جـــداً, وهـــو لـــم يـــدرِ كيـــفَ سيتصـــرف أو مـــا هـــو الخطـــئ الـــذي اقترفـــه !! أســـبوعٌ وهـــو ويفكـــرُ بمـــا فعـــل وهـــي تمتنـــعُ حتـــى عـــن النظـــرِ لوجهـــه, تـــراه حينمـــا يحضـــر لمنـــزل خالتـــه لمعرفـــة مـــا جرى...تـــراه وكأنهـــا تـــرى شـــيطاناً بغيضـــاً, ولـــم يفهـــم أحـــدٌ مـــن العائلـــةِ مـــا الســـبب... حتـــى جمانـــة, صـــديقتها المقربـــة لـــم تحكـــي لهـــا عمـــا جـــرى وكأنهـــا تهـــربُ فقـــط مـــن الحـــديثِ بـــالأمر.. ودلال لـــم تفارقهـــا لحظـــةً واحـــدة, وكـــأن مجيئهـــا بهـــذا الوقـــت لهـــذه العائلـــةً كـــان قـــدراً لا مفـــر منـــه, قـــدراً ســـيكون لـــهُ تـــأثيراً كبيـــراً علـــى حياتهـــا فيمـــا بعـــد, ومـــراد ومـــن خـــلال آلام شقيقته..اســـتطاعَ تمييـــز دلال الإنســـانة, الطيبـــة والمؤمنـــة,

حركت بداخلِ صدره شعوراً لم يفهم كنهه أبداً, صارَ المنزلُ على الرغم من أجواءه المشحونة ساكنٌ بطريقةٍ مبهمة !

صوتَ تلاوتها للقرآن الكريم بصوتٍ شبه هامس يسمعها حينما يمر بالقرب من غرفة شقيقته للولوج لغرفته, استطاعَ مراد تمييزَ كلِ شيء عدا مسحةُ الحُزنِ التي ترتسمُ على محياها وتلك الدموع التي تذرفها كلما مر هشام على ذاكرتها ..أو حتى عندما يمرُ لعندهم للاطمئنان على صحة نور.

كان ببعض الاحيان يجتمع بإليسا بداخل هذا المنزل لكنهما يتجاهلان بعضهما منذُ ذلك اليوم حينما تركها ليلاً وعاد بمفرده, طبعاً بعد ان اطمأن أنها استقلت السيارة برفقة مراد, حيث كان يراقبها من بعيد وهي لم تكن تريدُ معرفة ما به يكفيها ساهر وإصراره على بيع الفيلا والمعمل وما عليها سوى الصمتُ على طمعِ شقيقها حتى وصلت لمرحلةٍ طلبت منه أن يفعل ما يريد ويذهب إلى غير رجعة...فقد ماتَ حتى هو بالنسبة لها بعدما فعل.

استيقظت اليسا صباحاً على صوت طرقات ساهر على باب غرفتها, دلف إلى الداخل وقال بهدوء:

-سيأتي اليوم المحامي لإكمال كافة الإجراءات...وجدتُ مشترياً للمعمل.

هزت رأسها بلا مبالاة ثم غطت وجهها مجدداً باللحاف فغادرمغلقاً الباب خلفه, سمعت بعد دقائق صوت إغلاقه لباب المنزل فقذفت باللحاف بحنقٍ وتجهزت للذهابِ إلى المستشفى...

في تلك الفترة كانت عسل قد عادت للمنزل بعدما علمت ما جرى مع نور, ولا تصدق أن آدم من الممكن أن يؤذيها فعلاً حتى أنها اتصلت به لتستفهم..بعدما اتصلت به عبير..ورضوان, لكن الجميع فعلاً لا يعلم السر ولا نور تريد الإفصاح عما جرى, كانت عسل قد عاودت الذهاب لمدرستها ولكن مع سائقٍ جديدٍ قام مراد بتعيينه, تتطلعُ فيه عسل لترى الاختلاف الفج بينهما !! وتتمنى أن ترى أحاديث فهد أو حتى ضحكاته الجذابة مجدداً,لم تنجذب له بعقل مراهقةٍ كونه شاباً وسيماً بقدر ما جذبتها شخصيته وطريقة حديثه المريحة والمتفهمة, وهو لم يعد يتصل بها بعدما شرح لمراد ما الذي جرى وقد تيقنت عسل بأن كلَ شيءٍ قد انتهى عند هذه اللحظة, كانت له مجردَ حالةٍ للعلاج...

أغلق هشام الخط بعصبية وتطلع على ساعته التي تجاوزت الواحدة ظهراً بعدما تشاجر مع أحد العاملين لتأخره بإحضار القهوة!! , صار كثير الغضب والثوران حتى أن أغلب زملائه باتوا يتحاشونه بالفترة الحالية,خرج من مكتبه ليجلب قهوته فاصطدم بها بعنفٍ لترتد إلى الوراء وكادت أن تسقط لولا أن سارع بإسنادها من خاصرتها, توسعت حدقتي اليسا وتطلعت فيه بارتباكٍ وخجل قبل أن يحررها قائلاً بغضب : انتبهي لخطواتك بالمرة القادمة " وتجاوزها مغادراً...توقفت لثوانٍ قبل أن تسقط بركبتيها على الأرض بعدما شعرت بإعياءٍ كبير, صرخت إحدى الممرضات اللواتي كن في الرواق: دكتورة اليسا!!

اندفعت الممرضة فالتف بشكلٍ تلقائي ليرى اليسا الجالسة على الأرض فهرع ناحيتها وركع أمامها بقلق : أأنتِ بخير؟؟!

دفعت عنها يديه بإعياء فشعر بسخونة يدها تلمس جبينها وقال بقلق: أنتِ مُصابةٌ بالحمى.

ساعدها على النهوضِ والمسير حتى وصلت لغرفته وطلب منها أن تتمدد على الأريكة ليقوم بفحصها لكن عينيها سرعان ما بدئتا تذرفان الدموع عندما تعالى رنين هاتفها: فقد كان

ساهر يتصل بها لإتمام اجراءات البيع,وأيقنت أن كل شيءٍ سينتهي هذه اللحظة,سيحطم ذلك الساهر جميع ذكرياتها الحلوة حتى المُرة ببيعه الفيلا, أخرجت الهاتف بإنهاكٍ ونظرت إليه فقام هشام بأخذ الهاتف من بين يديها ساخطاً : لاحقاً تجيبين على العاشق المتيم!

صرت على أسنانها بغضبٍ من كلماته بينما هي بوادٍ آخر تماماً ..فبعد ساعاتٍ فقط ستخسر كل شيء, والأهم أنها ستخسر ماضيها وتعرفُ بأن شقيقها سيفرطُ بكلِ شيءٍ بإحدى مشاريعه الفاشلة كما العادة.

عاود هاتفها الرنين مجدداً بإصرار على الطاولة, وبهذه الاثناء اندفعت دلال بعدما علمت بأن اليسا متعبة.

-هل هي بخير؟ ماالذي جرى؟

-حراراتها مرتفعة, تحتاجُ للراحة" قالها بغضبٍ وهو يزاور الهاتف الذي لم ينقطع عن الرنين فتلقفته دلال لتقرأ : إنه شقيقها ساهر لما لم تجب عليه سيقلق"

وكمن لطمه بعنفٍ على وجهه, تطلع فيها بعدم تصديق وصرخ : من؟؟.. أخوها!!

قالت دلال ببرائة : شقيقها ساهر, الذي جاء منذ بضعة أيامٍ من أميركا.

توقف كالأبله ينظرُ لدلال التي أجابت على ساهر كيلا يشعر بالقلق لكنها تفاجئت به يصرخ: طبعاً يبدو أنها أقنعتكِ بالكذبِ كي تهرب من التوقيع أليس كذلك !! هاتِها وبلا سخافات طفولية.

رمشت دلال بصدمةٍ من لهجته الحادة وأجابت: أخبرتك أنها متعبةٌ وحرارتها مرتفعة ..عن أي توقيعٍ تتحدث!!

أطبق ساهر سبةً حانقة بينما تدفقت دموع اليسا واعتدلت بمجلسها وقالت بوهن تحادثها وكأن هشام غير موجود:

-يريدُ أن يجبرني بالعودة لمراد و.....و يريدُ بيعَ كل شيء نملكه.

تنبهت دلال لها فجثت أمامها بقلق : نعم!! لا أفهم اليسا تكلمي بوضوح!!

وبهذه اللحظة وبلا مقدمات انطلقت ضحكة هشام وهو يفكر ... أخوها يجبرها للعودة لمراد, اذن ذلك الذي احتضنته ذلك اليوم هو شقيقها ساهر... وهي لم تعد حتى لمراد!

اندفع ليجلس بجانب اليسا ويحتضنها بغتةً حتى أجفلت هي ودلال من تصرفه !! همس بغباء: أنا...غبي!

دفعته بيديها من صدره بإعياء ثم قالت وهي تنظر له بعتاب: غبيٌ فعلاً..لكني الآن لستُ رائقةً لحماقتك.

استدارت ناحية دلال التي بالكاد حبست دموعها وقالت بوهن: تخيلي...جاء فقط ليبيع كل شيء ويحادث مراد بشأن زواجي منه مجدداً ويغادر , ظننتُ أنه جاء للوقوف بجانبي, لكنه ببساطة أثبت أنني بلا قيمةٍ بالنسبة اليه" تطلع فيها هشام قائلاً بوجوم:

-أخبرينا رجاءاً مالذي جرى بينكما لنساعدك.

أومأت دلال مؤكدة: هيا احكي لنا لا يحقُ له أصلاً التصرف بشيء فأنت تملكينَ حصةً من أملاكِ والديكِ, ولا يحقُ له أساساً أن يملي عليكِ ما تودين فعله أنتِ راشدة.

****

اعتدلت نور من على الفراش بعد انتصاف الليل ثم لفت إحكام الدثار على جسدها وخرجت لتتمشى بحديقة المنزل, كان الجو غائماً والسماءُ ملبدةٌ بالغيوم الرمادية رفعت

رأسها ناحية السماء التي بدأت تتخلص من أحمالها بالتزامن مع تساقط أمطار عينيها العسليتين, شعرت دلال على خروجها ووقفت تراقبها من الشرفة بقلبٍ منقبض, وقد أيقنت أنها تعرضت للخيانة منه, فهذه المرارة والأسى التي تحملانه عينيها ...هي مرارة الخيانة دون شك, خرج مراد من غرفته ليرى شقيقته ويتكلم معها, علها تزيح عن كاهلها ذلك العبئ الثقيل وتحكي له ما جرى, لكن صوت دلال سبقه...

-سيد مراد بعد اذنك"

استدار اليها بتلقائية فقالت بصوتٍ شبه هامس: دعها الآن رجاءاً فهي المرة الأولى التي تخرجُ فيها من غرفتها منذُ اسبوع, وأنا متأكدةٌ من أنها ستكون بخير.

وضع يديه بجيب بنطال بيجامته الرمادي وهز رأسه : أريد أن أعرف ما بها كي أتصرف.

أطرقت دلال رأسها قليلاً وقد شدت الشال الصوفي على كتفيها ثم قالت بارتباك: أسفةٌ على تدخلي لكن....يبدو أنه قام بخيانتها.

لسـعته مقولـه دلال ولا يعـرفُ لمـا طـرأت اليسـا بوابـات تفكيـره هذه اللحظة, طال صمته قبل أن يقول بصوتٍ شبه هامس:

-لا أظـن أن آدم يفعلها....بـل لا يفعلهـا أنـا متأكـدٌ مـن ذلـك, إنـه يحبها"

حركـت كتفيهـا بحيـرة ومـا هـي إلا لحظـاتٍ حتـى انـدفعت نـور للـداخل, تطلعـت فيهمـا قبـل أن تنتشـل مفـاتيح سـيارتها وتهـرول مسـرعةً لخـارج الفـيلا, صـدم مـراد بـادئ الأمـر ولـم يسـتوعب بعد أنها ستغادر حتى دفعته دلال وصاحت: لنلحق بها فوراً.

اسـتدرك الأمـر وهـرول ليجلـب مفـاتيح سـيارته وبالكـاد اسـتطاعا أن يلحقـا بنـور التـي شـغلت سـيارتها وانطلقـت فـانطلق ورائهـا مـراد بعـدما اسـتقلت دلال المقعـد المجـاور, هتف بسخط : وما الذي تفكر فيه الآن!!

بعـد دقـائق توقفـت أمـام المستشـفى ليفـاجئ مـراد ودلال مـن ذهابهـا بهـذا الوقـت إلـى هنـاك, انطلقـت للـداخل حتـى اختفـت مـن أمـام ناظريهمـا تبعاهـا لكنهمـا لـم يسـتطيعا معرفـة الطريـقِ الذي سلكته ! فاضطرا أن ينتظرا أمام البوابة الرئيسية.

اندفعت نور لمكتب أمير دون أن تطرق لتفاجئ بعدم وجوده فتلفتت حولها بغضبٍ عارم ثم خرجت ناحية الاستعلامات وصرخت بالموظفة التي تفاجئت من وجودها:

-أين هو أمير ؟؟!

-دكتور نور!! حمداً لله علءءء

قاطعتها نور وضربت بقبضتها على الطاولة صائحة:أمير موجودٌ هنا أم لا ؟؟

ارتبكت الموظفة وقالت بلعثمة : لا..لا ليس هنا الليلة

-أمليني عنوانه حالاً

قالتها بإصرار فهزت الموظفة رأسها وصارت تعبث بالحاسوب لبضع دقائق بل أن تخبرها بعنوان إقامته لتنطلق مجدداً في طريقها إليه...

خرجت من البوابة وكاد مراد أن يلحق بها لكن دلال سارعت : دعنا نرى أين ستذهب أولاً علها ستعود إلى المنزل كيلا نشعرها بأنها مراقبة.

فكـر مـراد للحظـات وقـد ايقـن أن دلال محقـةٌ بـذلك, وانطلـق بسـيارته خلـف سـيارة نـور التـي انطلقـت مجـدداً لكـن لعنـوانٍ غريـبٍ عنهمـا حتـى وصـلت لإحـدى العمـارات السـكنية العاليـة توقفـت وترجلـت عـن السـيارة ثـم انـدفعت للـداخل بعـدما تأكـدت مـن رقـم العمـارة, فتـرجلا ليتبعانهـا للـداخل, قـرأ رقـم الطـابق مـن مؤشـر المصـعد وانتظـر نزولـه مجـدداً بعـدما اضطرب بتفكيره...

فـتح أميـر البـاب ليفـاجئ بنـور تقـف امامـه بعينـين محتقنتـين ووقـف كالأبلـه يحـدق فيهـا حتـى قطعـت السـكون قائلـةً بغضب: سلمني ذلك الصندوق اللعين.

خـرج مـراد ودلال مـن المصـعد ليفـاجئ أميـر بوجـوده كمـا تفـاجئ مـراد بـه كـذلك, أمـا نـور فقـد تجاهلـت وجـود شـقيقها وصـرخت بأمير مجدداً : أعطني ذلك الصندوق.

أومـئ لهـا بتـردد وقبـل أن يخطـو للـداخل انـدفع مـراد ناحيتـه وهتف : ما الذي يجري هنا!! من أنت !؟

-لا تتدخل أنت"

قالتها نور بحدة ليصر مراد على أسنانه بغضب فاندفعت دلال لتحول بينهما تحاول حماية نور من غضبه, عاد أمير بعد لحظات وهو يحمل الصندوق بين يديه فالتقطه مراد بحدة من بين يديه وصرخ مجدداً: وما هذا الآن!!

اندفعت نور وانتشلت الصندوق من بين يديه وهتفت فيه: أخبرتك ألا تتدخل. !

لكن الصندوق سقط من يدها ليقع على الأرض وتنفتح دفته لتتناثر الصور على الأرض وتدحرج الخاتم ليستقر أمام قدمي مراد فأطلقت دلال شهقةً عفويةً بينما ركعت نور تلملم الصور بعصبية وبعينين تتساقط العبرات منهما, وقف مراد مكانه بصدمةٍ بعدما التقط الخاتم وتأمله!

لملمت نور محتويات الصندوق وهرولت عبر درجات السلم بينما تمسك مراد بياقه قميص أمير وصرخ به:

-لا أعرفُ ما غايتك من ذلك لكن وعزة الله وجلاله لن أتجاهل هذا التصرف يا هذا.

فانتزع أمير يدي مراد عنه وقال بحنق: وعزة الله... أنا من لن يتجاهل موت شقيقته بسبب قريبك عديم الأخلاق.

إهـدآ رجـاءاً , قالتهـا دلال وهـي تتمسـك بسـاعد مـراد لتبعـده عـن أميـر لكـن الأخيـر تجاهلهـا و دفـع مـراد عنـه وأغلـق البـاب بوجهـه وقـد تملـك منـه الغضـب فـي حـين توقـف مـراد مصـدوماً بعـدما فطـن لكلمـات أميـر وسـارع باللحـاق بسـيارة شـقيقته لكنهـا كانـت قد غادرت!!

****

دفعـت بـاب منزلهـا بعصـبية وخطـت للـداخل بينمـا كـان آدم جالسـاً بالصـالة يـدخن وقـد تنـاثرت أعقـاب السـجائر علـى الطاولـة بعـد أن فاضـت عـن المنفضـة, توقـف بعـدما انـدفعت تجاهه وصرخت:

-وعدتني....وعـدتني بـأن تكـون وفيـاً, وعـدتني بـأن تحـافظ علـى علاقتنا صادقة, لمَ, لمَ فعلت هذا بي!!

لما فعلت هذا بنا ؟؟!

أجهشـت بالبكـاء وقـد ارتمـت علـى الاريكـة وهـي تتشـبث بالصندوق ليركع أمامها:

-أنا لا افهم ما الخطئ الذي اقترفته !؟

ازداد تمسكها بالصندوق ثم فتحته لتظهر تلك صور أمام آدم الذي اتسعت حدقيته باستغراب : بيسان!!

****

توقف مراد بسيارته على جانب الجسر وترجل منها وهو يعتصر ذلك الخاتم ...ربما كان خاتماً عادياً لكن رؤيته بهذا الموقف تحديداً وجراء ردة فعل شقيقته تأكد مراد من خيانة آدم كما أخبرته دلال منذ دقائق, ترجلت دلال بخطواتٍ مترددة ثم توقفت بجانب مراد وقد تذكرت ما فعله هشام صباحاً باحتضنه اليسا أمامها... انسابت دموعها بصمتٍ بجانبه ثم همست : الخيانةُ مؤلمةٌ جداً..

-لا أصدقُ أنه من الممكن أن يفعلها!

قالها بغضبٍ وهو يتمسك بالعارضة فأجابت وفكرها معلق بهشام : ولكنه فعلها.

تطلع فيها بعدما استمع لرنين صوتها المهزوز فاستدار ناحيتها وسأل : ولما تبكين أنتِ ؟!

تنبهت لنفسها ومسحت دموعها فوراً ثم رفعت كتفيها : لا تهتم, تذكرتُ شيئاً سيئا فقط.

استدار عنها مجدداً مجيباً : بالمناسبة لن يزعجك والدكِ بعد الآن...

تطلعت فيه بعدم فهم وتسائلت : كيف أقنعته بمكوثي عندكم!

-لا أرى ضيراً من مكوث ممرضة العائلة بيننا أليس كذلك؟

قالها باسماً ثم أردف: تأخر الوقت يجب أن نعود.

هزت رأسها موافقةً وتبعته لداخل السيارة لينطلق مجدداً إلى الفيلا بيما شردت دلال بالنافذة التي تعاقبت أضواء الأبنية البعيدة على جانبيها ولا تعلم أن مراد قام بدفع ثمنها لوالدها الذي باع ابنته بذريعة أنها توظفت لدى هذه العائلة !

هو بقرارة نفسه لا يعلمُ لما دفع مبلغاً ضخماً لوالدها مقابل مكوثها بالملحق , شعر بكونه مسؤولاً عنها بطريقة أو بأخرى بعدما شرحت له والدته وضعها كاملاً.

الفصل العشرون

دفعته عنها وصرخت به: نعم بيسان..بيسان التي كنت تخونني معها وبكل وقاحةٍ تتلاعب بها وبي....لتنتحر قهراً منك .. بيسان التي كنت على علاقةٍ معها بذات الوقت الذي كنتَ تلاحقني فيه وتثبت لي حبك الكاذب وربما حتى وعدتها بتأسيس عائلة سعيدة كما وعدتني

-أواعيةٌ أنتِ ما تقولين!!

نفضت يديها عنه وابتعد ت وهي تصرخ :
-واعية ومدركة جيداً لما فعلت وهذه الصورُ أكبرُ إثباتٍ على كلامي فلا تدعي البراءة الآن, والخاتم أيضاً , الزهور اللعينة الجافة ألم تقدمهم إليها!!
نهض وقد رمى الصور التي كانت من وجهة نظره بأقل من عادية كأي زميلين وقال بحنق : لم أخنك معها ولم يجمعني بتلك الفتاة أيُ شيْ, كانت مجرد زميلة دراسة.

تعالت ضحكات نور الهازئة وصرخت : صديقة دراسة وكل تلك الصور جمعتكما!...صديقةُ دراسةٍ أم ملاهٍ ليلية وشقق !!

صفعها بعنف لتتنبه على ما تتفوه فيه من حماقات لتشهق وهي تتطلع فيه بقهر تجاهلها و هرول ناحية الصور الملقاة على الأرض ثم أمسك بعضهم وهتف بها وهو يمررهم أمامها:

-أهذا هو دليلك !! مجردُ صورٍ وبأماكن عامة !بل وقبل حتى أن أقوم بخطبتك! صورٌ لا يوجد فيها قبلة واحدة!! مجردُ صورٍ عادية يمكن لأيٍ كان أن يتصورها أينما كان وحتى لو كانت بنوادٍ أو ملاهٍ أو مطاعم تلك الصور التي تحاسبيني عليها قد انقضى عليها أكثرُ من عشر سنوات من أيام الجامعة . أتحاسبينني على ماضٍ لم تكوني فيه حتى علاقةٍ معي !

ثم رمى الصور ولوح بيده وهدر صوته :

-حسناً حتى ولو كنتُ كما تقولين ...حتى ولو كنتُ أحبها سابقاً لكن ذلك كان قبل أن أقوم بمصارحتك بحبي, وقبل أن يكون بيننا أيُ شيءٍ رسمي، وبالتالي لا علاقةَ لكِ عن ماضي، أسبوعٌ كامل تقومين بطردي كلما حاولت مقابلتك, اسبوعٌ كامل نعتيني بأبشع الألفاظ لأجل تفاهة تفكيرك وسطحيته وبالنهاية على مجرد صور قديمة لفتاةٍ متوفاة !

حــدقت فيــه وقالـــت بصـــوتٍ مهـــزوز: تفكيـــرٌ ســـطحي وتفاهـــة! مشاعري الآن بنظرك أصبحت تفاهة !

-عنـــدما تفكـــرين بتلـــك الطريقـــة أيتهـــا الـــدكتورة الواعيـــة ..... نعم.

ثـــم تطلـــع علـــى الصـــور المرميـــة مجـــددًا وقـــال بحنـــق: اجلســـي الآن ودققـــي جيـــداً بتلـــك الصـــور وســـتدركين أننـــا لـــم نكـــن بمفردنـــا لأن تلـــك الصـــور كانـــت بتصـــويرٍ مـــن زاويـــةٍ بعيـــدة...أنا لـــم ارتـــد المـلاهِ الليليـــة ســـوى لـــثلاث مـــراتٍ فقـــط وبرفقـــة مـــراد وتعـــرفين جيـــداً أنـــي لا أنتمـــي لتلـــك الأجـــواء الشـــيطانية فجـــل همـــي بهـــذه الحيـــاة هـــو دراســـتي وعملي....وأنـــتِ , كنـــتُ أظـــنُ أنـــي ارتكبـــتُ جريمـــةً بحقـــك أو ربمـــا ســـببكِ لافتعـــال مشكلة مقنعاً!!

غادر مغلقاً الباب بعنفٍ لترتج نوافذ المنزل....

****

كـــان الصـــباح قـــد فـــرض ســـيطرته علـــى الأرجـــاء ونســـيماتٌ عليلـــةٌ بـــاردةٌ تـــداعب وجنتيهـــا وهـــي تحـــدقُ مـــن نافـــذة الفصـــل الدراســـي وتحـــرك قلمهـــا بـــين أصابعها...تبســـمت بحنـــينٍ غريـــب وقـــد

اقتحمـــت غمازتيـــه ذاكرتهـــا ....جميـــع صـــديقاته تحكـــين عـــن اعجـــابٍ وحـــبٍ طـــرق قلـــوبهن الصـــغيرة المراهقـــة, حـــبٌ ســـاذج لفتيـــات مراهقـــات لـــم يكملـــن الســـابعة عشـــر بعـــد, لكـــن بنظـــرهن كـــان هـــو حـــب العمـــر... وطبعـــاً كـــان حـــب العمـــر يتغيـــر بتغيـــر الظـــروف والأمـــاكن! كانـــت عســـل تـــدرك أن تلـــك المشـــاعر لـــن تراودهـــا حتمـــاً فجـــل همهـــا هـــو دراســـتها والالعـــاب الرياضـــية التـــي تمارســـها... ألعـــابٌ جعلتهـــا تتناســـى وتتجاهـــل تلـــك اﻻلبرعمـــة التـــي بـــدأت تنمـــو داخـــل قلبهـــا, تعـــرفُ أنهـــا وبهـــذا الســـن لـــن تفكـــر بعقلانيـــة ..تعـــرف أنهـــا لـــن تجـــرب شـــعور الحـــب الحقيقـــي قبـــل سنوات

.. هيـــي ((عبـــدو.((صـــاحت بهـــا صـــديقتها وقـــد لكزتهـــا علـــى كتفهـــا لتتعـــالى ضـــحكات الفتيـــات ثـــم قالـــت أخـــرى((عبـــدو غـــارقٌ بعـــالمٍ آخـــــــــــــــــر((

))يبدو أنه يحلمُ بضربِ أحدهم مجدداً((

زفـــرت بضـــيق مـــن إزعـــاجهنِ واجابـــت : يبـــدو أن عبـــدو سيكســـر أســـــنانكن واحـــــدةً واحـــــدة. !

وصـــلت فتـــاةٌ للفصـــل وخاطبتهـــا قائلـــة : المـــديرة تســـتدعيكِ يـــا عسل.

- لا الـــه الا الله...

بمـــــــاذا ورطتـــــي نفســــــكِ ثانيــــــةً يـــــا بنـــــت.!!

-ليرحمكِ الله كنتِ صديقتي الصدوقة !

قالتهـا صـديقاتها لترفـع يـديها ضـاحكة : هـذه المـرة فعـلاً لـم أفعـل شيء , شلةٌ من الغربان يخربيتكم !!

اتجهـت الـى مكتـب المـديرة وطرقـت البـاب ثـم دلفـت الـى الـداخل ، دارت بنظرتهـــا حـــول المكتـــب الفـــارغ مســـتغربةً وظنـــت أن إحـــــداهن تعـــــــدُ لهـــــا مقلبـــــاً ,

-أظننتِ أني سأتركِكِ بسهولة.

انفرجـت عينيهـا وقـد شـعرت بلطمـةٍ عنيفـةٍ تجتـاح قلبهـا الـذي تواثبـــت دقاتـــه بشـــكلٍ ملحـــوظ بعـــدما اســـتبينت صـــوته، اســـتدارت للخلــف لتــرى صــاحب الغمـــازتين يقـــف أمامهـــا بابتســـامةٍ اشـــتاقتها كثيـــراً, ضـــيقت مـــا بـــين حاجبيهـــا وقالت بغضبٍ مزعوم:

-ألا تخجـــلُ مـــن اقتحـــامِ مدرســـةِ الفتيـــات والله لأشـــكوك للمديرة !

أغلق الباب واستند عليه وابتسامته لم تفارق محياه ثم همس: حقاً..يا لي من وقح! لكن... لا أرى فتيات هنا, أترين أنتِ.

-فتاةٌ ذاتُ غمازةٍ غبيةٍ تقفُ قبالتي.

ردتها بحنقٍ لتتعالى ضحكته هذه المرة وهو يمسح شعره بيده : اشتقتُ لصاحبة اللسان الطويل.

-هووف فهد ماذا تريدُ الآن ...أو عفواً دكتور فهد.

-لنتحدث قليلاً ... بما أنكِ لم تردي على اتصالاتي السابقة وكما تعرفين ... أنا طبيبُ مجانين ..و حساس, شعرتُ بالحرج من تجاهل فتاةٍ صغيرةٍ لي.!

-فقررت المجيء إلى مدرستي. !

مسح بإبهامه ما بين حاجبيها لإزالة تلك التقطيبة : تعلمين أن دور الفتاة الشريرة لا يليق بكِ.

-أبعد يدك يا هذا.!!

ضربت كفه بعصبية فأمسك بكفها وجرها ورائه ودفعها لترتد جالسةً على الكرسي الجلدي, جلس قبالتها قائلاً:

لنتحدث يا عسل, تعرفين جيداً أني وبحكم عملي يجدرُ بي أن أساعد من هم بحاجةٍ للراحة والعلاج النفسي..

-لستُ مجنونة " هتفت به ونهضت فضحك ودفعها مجدداً لترتد على الكرسي:
-بلى مجنونة, وأنا مجنون, وحتى خالتي, مديرتكم هي بالمناسبة,.... مجنونة.

-مديرتنا هي خالتك !

أومأ لها ثم تابع : نعم, لكن دعينا منها الآن، جميعنا نمر بحالاتٍ من الجنون... وجميعنا نمر بالتجارب المختلفة التي تجعلنا نشعر بالاكتئاب, الفرح, الحب, الغضب, العدوانية, الحزن "

صمت قليلاً ثم تابع وهو يتطلع فيها ليرى مدى استجابتها له : وحتى الاشتياق ... جميعها مشاعر يبنى عليها الانسان وتتبلور شخصيته من خلالها, الطبيبُ النفسيُ عمله الأول هو أن يسيطر على تلك المشاعر إن تجاوزت الحد الطبيعي المسموحُ بها وخاصةً عندما يتعلقُ الأمرُ بالمراهقين..

لنتحـــدث بأريحيـــةٍ أكبـــر... وبصـــراحة , المـــراهقين فـــي مثـــل ســـنك يلجئـــون فـــي بعـــض الحـــالات للعدوانيـــة والغضـــب,فيزداد الهيجـــان العـــاطفي والانفعـــالي بالنســـبة لـــديهم أكثـــر مـــن غيـــرهم ،قـــد يشـــعر الإنســـان بهـــذه المرحلـــة بثـــورة عارمـــة تجتـــاح كيانـــه ومشـــاعره، ويـــنعكس هـــذا الشـــعور فـــي ســـلوكيات وتصـــرفات تتصـــف بأنهـــا عدوانيـــة وغيـــر مقبولـــة اجتماعيـــاً وأخلاقيـــاً وربمـــا قانونيـــاً، وتنـــتج عنهـــا آثـــار قـــد لا تحمـــد عقباهـــا وقـــد لاحظتـــي ذلـــك جيـــداً عنـــدما راجعنـــا تصـــرفاتك الســـابقة باعتـــدائك علـــى بعـــض زملائـــك ومـــا نـــتج عنـــه مـــن طـــردٍ مـــن ثـــلاث مـــدارس, وغيرهـــا مـــن شـــــجاراتك الدائمـــــــة مـــــــع عائلتـــــــك واصـــــــدقائك الانســـانُ بهـــذه الســـن يحتـــاجُ لمـــا يشـــبع بـــه طاقاتـــه... بعـــض المراهقـــات مثلاً..يعـــانين الحساســـية الزائـــدة ..ينصـــرفن للاغـــاني العاطفيـــة وبعضـــهن تلتجـــئن للعدوانيـــة والغضـــب كمـــا يحـــدث معـــك, أنـــت تغضـــبين كـــردِ فعـــلٍ علـــى تقصـــير عائلتـــكِ وهـــذا مـــن حقـــك, تثـــورين علـــيهم للفـــت النظر...كـــي تخبـــريهم أننـــي هنا..اشعروا بي.

-لا أريـــدُ منـــك الآن شـــرحاً لحـــالتي النفســـية ! "قالتهـــا بغضـــب وهـــي تهـــز قـــدميها بعصـــبية فتجاهـــل احتجاجهـــا وتـــابع مجـــدداً بنبـــرة حنونة:

-افهمي أن ما فعله تماماً مراد, شعرَ بكِ وبما تحتاجينه من مساعدة كيلا تزداد حالات غضبك وعدوانيتك وطلبَ مساعدتي بعدما رشحتني خالتي له, صحيحٌ أني تخرجتُ حديثاً وما زلتُ أعمل تحت اشرافِ طبيبٍ مخضرم لكنها اختارتني لعدة أسباب, نظراً لكون عمري ليسَ كبيراً جداً عليك وبالتالي سنستطيعُ التواصل بشكلٍ أكبر, وكونها تعرفُ أني...

-أنك كاذبٌ ومخادعٌ و مجنون ؟؟
قاطعته بتلك الكلمات لتتعالى ضحكته مؤكداً : لأني مجنون يا طويلة اللسان ... ولأنني فعلاً كنتُ مراهقاً عدائياً قبل أن أحدد الهدف الذي كنت أريدُ السير فيه.

-حقاً !! سألته باستغراب ليخبرها ببساطة : والداي كثيراً ما كانا يتشاجران عندما كنتُ طفلاً, تزوجا بإصرارٍ من جدّي وظلا مدةً طويلةً جداً حتى تأقلما.... والنتيجة طفلٌ عنيدٌ ومشاكسٌ وحادُ الطباع,

نهض ومشى تجاه النافذة وأردف : والآن لديكِ خياران, إما أن نتجاهل تلك المشكلة التي تعانين منها وبالتالي ستتفاقم

وستـرين أنـكِ تسـيرين بطريـقٍ لـن تكـون نهايتـهُ لصـالحك, أو نتخذ الخيار الثاني..

-بعلاجـي.... ربمـا تعطينـي بعضـاً مـن الأدويـة ومضـادات الاكتئاب ! قالتها ساخرةً فقال مسرعاً

-بل بالحب...سنعالجك بالحب"

شـردت للحظـاتٍ عنـدما نطـق تلـك الكلمـة وكـأن لهـا رنـةً خاصـةً مـن بـين شـفاهه, تقـدم أكثـر مؤكـداً... أن تحمـي نفسـك أكثـر, تحمـي عائلتـك ومحيطـك, أن تـدركي أنـكِ أنثى رقيقـة وقـد خلقـك الله سـبحانه علـى هـذا الأسـاس, لا ضـيرَ أن تتعلمـي اسـاليب الـدفاع عـن الـنفس والقتـال , لكـن بـذات الوقـت, تعلمـي الفنـون... الرسـم, الخياطـة, أن تهتمـي بالموضـة وبأناقتـك بشكلٍ متوازن. !

تعلمـي ألا تحـاربي مـا جبلـك الله سـبحانه عليـه...بل حـاربي لأجـل أنوثتـك, أعـرف أن كلمـاتي هـذه صـعبةٌ جـداً حاليـاً لكننـا سـنحاول أن نعيـدك للمسـار الصـحيح للسـيطرة علـى نوبـات غضبك, هل ستسيرين معي بهذا الطريق يا عسل"

تطلعـــت فيـــه ببلاهـــةٍ ثـــم قالـــت بســـذاجة: أشـــعرُ أنـــي احضـــر درساً للفلسفة. !

ضـــرب بكفـــه علـــى جبهتـــه بغـــيظ وهتـــف:

-أعوووذ بالله من غضبه!!

تعالت ضحكاتها وصاحت : أمزح والله لا تقلق فهمت عليك.

-حمداً لله يعني تصالحنا أخيراً ؟.!!

اكتست ملامحها الجدية مرةً أخرى وحدثته :

-لا ... عن اذنك.

وولـــت مغـــادرةً وقـــد فغـــر فـــاه ببلاهـــة مـــن هـــذه الحمقـــاء الصـــغيرة التي أصابته بالجنون فعلاً. !

الفصل الواحد والعشرون

ضرب كفاً بكف ثم تبسم مراقباً إياها وهي تمشي في الرواق المؤدي لفصلها وشعيراتها القصيرة السوداء تتطاير لترتطم بهمجيةٍ ككلٍ شيءٍ بهذه الصغيرة ، دلفت المديرة إلى مكتبها فاقترب منها وقرصها من وجنتيها مازحاً: أحلى خالة بالدنيا شكراً لكِ

دفعته بغيظ وهتفت : كف عن هذا يا ولد نحن بالمدرسة..

تعالت قهقهاته ثم أفلت وجنتيها وابتعد قليلاً : حسناً آسف انجرفت بمشاعري قليلاً.

أردفت بجدية بعدما جلست خلف مكتبها : لم أسمح لك برؤيتها سوى كونها حالةٌ تريد علاجها وأنا أثق فيك...هذه الفتاة لولا طباعها الشرسة لكانت فعلاً مميزة , فهي متفوقةٌ بدراستها ولا أريد منها أن تُطرد من المدرسة والسنة القادمة ستقدم فحص الثانوية العامة.

سرح بالنافذة وهمس : سبحان من أبدع شراستها!

-نعم!!

-آه لا شيء خالتي تأخرتُ عن المستشفى ...عن اذنك.

وضع نظارته الشمسية السوداء ثم توقف أمام الباب قبل أن يخرج و قال ضاحكاً: لا تطرديها رجاءاً على الأقل هذه الفترة..,

ثم أردف: ننظرك اليوم على العشاء خالتي أعرفكِ تحبين المحشي.

لتعدل المديرة من وضع نظارتها الطبية وتهز رأسها بيأسٍ منه وتحدث نفسها باسمة ...ما يزالُ مشاغباً كعادته!

****

أغلق المرش ولف جسده بمنشفةٍ وخرج إلى غرفته للاستعداد ليومٍ آخر بالمستشفى, طرق باب منزله وهو يغلق آخر أزرار قميصه الأسود, فتح واكتست ملامحه الضيق من والده الذي هتف فيه فور رؤيته.

-عشرُ أيامٍ وأنت مختفٍ هنا ولا نراك!

فتح أمير الباب على مصراعه وخطى للداخل ليتبعه والده ثم أجاب: أنتَ من طردني.

-وعـــدتني أن تحــل القصـــة, أن تأخـــذ بثـــأر شـــقيقتك لترتـــاح روحها...وما الذي فعلته هاه, مجردُ وعودٍ كاذبة!!

جلــس أمــام والــده وأجــاب :ومــا الــذي كنــت تريــده أكثــر ممــا فعلتُه بهما!

حــدق فيــه والــده بنظــرةٍ شــيطانيةٍ وأجــاب : وهــل شــجارهما أو طلاقهما سيحلانِ المشكلةَ مثلاً, سيعيدانِ شقيقتكَ للحياة!!

أحنـى رأسـه بوجـوم وهـو يعتصـر كفيـه ببعضـهما: أتريـدُ إراقـةَ الدماء مثلاً!!ألا يوجدُ حدودٌ لانتقامك أبي!؟

-نعم..أريدُ إراقةَ الدماء كي ترتاح روحها.

نهـض مـن علـى الكرسـي وأشـاح بوجهـه عـن والـده قـائلاً : لسـتُ مجرماً ولن أكون.

زم شفاهه بغضبٍ وهدر صوته: فلتحترق بجهنم.

اسـتدار ناحيتـه مضـيقاً مـا بـين حاجبيـه: شـكراً لـك.. يبـدو أن عائلتنـا جميعهـا سـتحترق بسـبب أفعالـك,ثم أنـك منـذُ سـنواتٍ وأنت لا تهتمُ بنا فلا تدعِ الآن أنك ملتاعٌ لفقد ابنتك"

غادر مغلقاً الباب خلفه ليزم والده شفاهه بغضب ويهدر صوته... سأتصرفُ أنا إذن أيها العاق.

****

انتهت مناوبةُ اليسا, خلعت المريلة البيضاء وارتدت معطفها الأزرق ثم خرجت واستقلت سيارتها, كادت أن تشغلها للانطلاق حتى سمعت طرقاتٍ خفيفةٍ على زجاج النافذة رفعت رأسها لتقابلها نظراته الحنونة فأخفضت الزجاج ليقول هشام باسماً: أحتاجُ توصيلة.

تبسمت وأدارت وجهها ناحية سيارته السوداء المركونة بجانبها قائلة: وتلك المسكينة لمن تتركها.

التف وفتح باب السيارة وجلس بجوارها قائلاً : تسكُنها العفاريت أخافُ قيادتها ليلاً.

تعالت ضحكاتها ليهمس وهو يميل ناحيتها: ضِعتَ يا هشام. !

اغتالت ضحكتها وتسائلت وهي تنطلق : بسبب عفاريت سيارتك؟

-بـل بسـبب عفريتــةٍ سـكنت فــؤادي...وقلبي وعقلـي حتـى لــم أعــد أفكرُ بغيرها!

تشــاغلت بــالطريق وتمتمــت بارتبــاك : دعنــا مــن عفاريتــك الآن, لأين أوصلك يا ترى ؟.

جلس بأريحيةٍأكبر مجيباً : لمنزلكِ طبعاً.

-عفواً.!!

إحم... أقصد أخوكِ متواجدٌ هناك أليس كذلك؟

-نعم.

إذن على بركة الله.

أوقفت السيارة وتسائلت : ما الذي تريدُ أن تصل إليه ؟

-أريدُ أن أصلَ إليكِ فقط .... صمتَ قليلاً ثم تابع:

أريدُ أن أطلبكِ للزواج منه بما أنه هنا.

-وحتى دون أن تأخذ برأيي وتسألني؟.!

تبسم مجيباً : طريقتي ليست رومانسيةً أبداً أعترف..

أخفضت يديها لحجرها بارتباكٍ وخجل : لا تهمني طريقةُ طلبك ان كانت رومانسيةً أم لا لكن الوقتُ ليسَ مناسباً لهذا هشام , علاقتي بساهر متوترةٌ بما فيه الكفاية حالياً.

-لكنه أخوكِ بالنهاية, يجب أن أتعرف عليه ويعرفني قبل أن يسافر.

فتمتمت ساخرة: لن يسافر قبل أن يستولي على كل شيء من أملاك العائلة فاطمإن لديك وقتٌ طويل!

إذن لأكون بجانبكِ على الأقل سيكونُ هناكَ رجلاً معك..هذا طبعاً إن سمحتِ لي بأن أكون.

أشاحت بنظراتها عنه بارتباك فأردف: أحبكِ اليسا, أحبك وأريد الارتباط بك...وأظن أن الوقت قد حان.

****

كما أخبرتك قبلاً ساهر موضوعنا انتهى منذُ سنوات ولا مجالَ للعودة مُطلقاً , كان خطأي منذ البداية"....

اغتال كلماته الباقية حينما دلفت اليسا برفقة هشام إلى الصالة ليفاجأ بوجودِ مراد بالمنزل يجلسُ برفقةِ ساهر,

شحبَ وجهها وقد استشفت سبب مجيء مراد إلى المنزل بينما قطب هشام حاجبيه, توقف ساهر وتقدم ناحيتهما متسائلاً : أهلا وسهلاً..تفضل.

ثم أردف متسائلاً : ألن تعرفينا على ضيفنا اليسا.

تنحنح هشام مبادراً : دكتور هشام. زميلها بالمستشفى, وجئتُ خصيصاً لمقابلتكَ سيد ساهر, لكني أراكَ مشغولٌ حالياً.

-لا بالعكس أهلاً بك...تفضل.

جلس الأربعةَ وكأن على رؤوسهم الطير حتى رن هاتف ساهر فاعتذر بلباقةٍ ليجيب بينما تطلع هشام بمراد بضيقٍ استشفه مراد فقال لإغاظته أكثر: كيف حالك دكتور؟

-كنتُ بخيرٍ حتى اللحظة!

تبسم مراد بتهكم وحك أرنبة أنفه بينما لاحظت اليسا التوتر القائم بينهما فقالت بغتةً : أتشربان القهوة.

-نعم.

-لا.

اجابتان حادتان خرجتا بذات اللحظةِ وهما ينظران لها فقبضت على حقيبتها بارتباك ليقول مراد مُصحِحاً: ما يزالُ فنجاني ساخناً.

ثم أشار لها وارتشف من الفنجان وسطَ نظرات هشام التي تسلطت عليه بينما هو يتلذذ بفنجان قهوته ولا ينقصه سوى أن يراقص حاجبيه ليزيد من سخافة الموقف!!, عادت بعد دقائق وقد وضعت فنجان قهوة هشام بينما انشغل ساهر برجلٍ يريد شراء المعمل فانفرد به بغرفة المكتب بعد أن استأذن لدقائق من ضيفيه...

استدار مراد بجدية محادثاً إليسا بينما يراقبهما هشام بغيرةٍ واضحة وقد اكفهر وجهه ولو له أنياباً لفتك بمراد دون أدنى شك.

-لقد اتصلتُ بكِ قبل ساعتين وأرسلتُ رسالةً ولم تجيبي,

تطلعت فيه بحرج وأجابت : - آسفة كنتُ مشغولةً جداً اليوم ولم أرى الهاتف.

-حسناً لا عليكِ.

-أظنكِ على معرفةٍ برغبةِ ساهر وبسبب مجيئي اليوم أليس كذلك؟

احتقن وجه اليسا أكثر بحرج وقبل أن تسأل أجاب مراد: وأظنني أعرفُ أيضاً سبب مجيء دكتور هشام, سبحانَ الله صدفةٌ غريبة.

تطلع فيه هشام وهو يهز قدمه بعصبية فأردف مراد وهو يراقب تعابير وجه هشام : يريدُ أن يطمأنَ عليكِ قبل أن يسافر.

-أنا هنا برفقتها لا تشغل بالك " قالها هشام مغتاظاً فباغته مراد بلسعات كلماته: جميعنا برفقتها.... يريدُني أن أعيدك لعصمتي.

نهض هشام متحفزاً وأجابه بحنق : إياك ولو لمجردِ التفكير يا هذا...

نهض مراد مجابهاً له : - عفواً دكتور ...امرأةٌ وطليقها ما دخلك أنت؟.!

نطقها مراد ببرودٍ على عكس غضبِ هشام الملحوظ.

-توقفا رجاءاً " نطقتها اليسا وقد وقفت بينهما فقال مراد يحادثها ليبدد هذا الجو المتعكر:

-أخبرت ساهر أنه لا مجال لعودتنا ثانيةً.. من حقكِ أن تتزوجي بمن يناسبكِ" ثم تطلع بهشام الذي اتسعت حدقتيه باستغراب شديد و أردف : ولنا حديثٌ طويل دكتور.... انتظر اتصالي, عن اذنك.

وتقدم من الباب ليغادر فتبعته اليسا لإيصاله ناحية الباب, أمسك مقبض الباب وفتحه وقبل أن يغادرااقترب منها أكثر هامساً :اسمعي إياكِ أن توقعي على أية ورقةٍ يقدمها لكِ ساهر أو غيره مفهوم,وإياكِ أن تعطيه من حصتكِ شيئاً فغايته من القدوم واضحةٌ جداً"

أشاحت وجهها عنه بحرج ... أردف وقد قاطع شرودها : وتذكري أنني سأساعدكِ بأي شيءٍ تحتاجينه , وعلى الرغمِ من سخافةِ الموقفِ لكن....بذلك العريسِ الغاضب أو بدونه سأكونُ بجانبكِ دائماً.

غمز لها فتبسمت بامتنان وهمست :شكراً ...حقاً لا أعرفُ بما أجيبك مراد.

-كوني سعيدةً فقط وبهذا اجابةَ الشُكِر ستكونُ قد وصلتني.

ثـم غـادر فتنهـدت بارتيـاح وهـي تراقبـه ينطلـقُ بسـيارته خارجـاً مـن البوابـة الحديديـة..عادت مجـدداً وجلسـت قبالـة هشـام الغاضـب وقبـل أن يتفـوه بحـرفٍ دلـف سـاهر معتـذراً عـن تـأخره, سـأل عـن مـراد فأخبرتـه أليسـا أنـه اضطر للرحيـل فهـز رأسـه وقـد أغضـبه إلـى حـدٍ مـا ردُ فعـل مـراد ورفضـه العـودة لإليسا...

-أريدُ أن أحادثكَ بموضوعٍ مهم سيد ساهر.

قالهـا هشـام بثقـة فقـد قـرر أن يرمـي مـا بجعبتـه فـوراً, ثـم قـال لإليسا : أرجو أن تعدي لي فنجان قهوةٍ آخر, قهوتكِ لذيذة.

انصـاعت لمطلبـه وأفكارهـا تتقاذفهـا الريـاح فمـا جـرى اليـوم كفيـلٌ بتحطـيم الأعصـاب فعـلاً ولا ينقصـها مصـيبةٌ أخـرى ! عادت بعد دقائق وقد اعدت القهوة للجميع.

-آسـفٌ لهـذا السـؤال دكتـور هشـام, أنـتَ تعـرفُ جيـداً مقـام عائلتنـا ومركزنـا الاجتمـاعي ... هـل تملـكُ كإمكانـات زوجهـا السابق المادية لتتجرأ لطلب يدها ؟.!

توقفت اليسا أمام باب الصالون حينما سمعت سؤال ساهر وقد احتقن وجهها...فها هوذا ساهر سيعيد تفكير ومطالب والدها الراحل, وكأنها سلعةً للبيع ليس إلا!

-لا أملكُ حتماً إمكاناته المادية لأنني ما أزالُ في بداية الطريق, لكني أملكُ الحب والإخلاص وأظنُ أن هذا كافياً في الفترةِ الحالية.

وقف ساهر باستهتار مجيباً :الحب والإخلاص!! بحبك وإخلاصكَ لن تستطيعَ أن تُؤمن متطلباتها, طلبك مرفوضٌ دكتور هشام.

-بل مقبولٌ طلبه .... أنا موافقة.

هتفت اليسا بحدة وضربت صينية القهوة بقبضتها على الطاولة ليزم ساهر شفاهه بغضب ويصرخ بها : لا تتدخلي اليسا!!

,وقف هشام وقد شعرَ بتأزم الوضع بينهما و قال بحزم:

-فكر جيداً سيد ساهر, وبالنهاية أنت لا تريد لشقيقتك سوى الراحة والاستقرار بعد تلك التجربة الفاشلة التي مرت بها سابقاً.

-لا أظنــك ســتكونُ حريصــاً عليهــا اكثــر منــي ! ... قالهــا بغضــب فأجابــه هشــام : مــا أراه فعــلاً أننــي حــريصٌ عليهــا أكثــر منــك, ســنتحدثُ لاحقــاً بعــد أن تهــدأ وتفكــر بعقلانيــةٍ أكبــر وصــدقني لن أستسلم, عن اذنك.

ثــم اســتدار وتطلــع بإليســا وأمــاء لهــا مطمئنــاً قبــل أن يتجاوزهــا مغادراً.

اغلــق البــاب خلفــه فتقــدمت اليســا مــن ســاهر وهتفــت بــه بقهــر : لا يحــقُ لــكَ التــدخل بحيــاتي بعــد الآن, أتفهــم, هــذه حيــاتي أنا... أنا.

-غبيــة.. أنــتِ غبيــة, أريــدُ مصــلحتك فقــط, ذلــك الطــامعُ قــد أوقعكِ بشباكه!!

-أنــتَ تعــرفُ مــن الطــامعُ الحقيقــيُ يــا ســاهر , دمرتمــا حيــاتي ســابقاً ولــن أســمح لــك الآن بإعــادة الماضــي ...صــرتُ بعمــرٍ يسمحِ لي تقرير مصيري دون تدخلٍ من أحد

-أنــا شــقيقك أتفهمين...أنــا الوصــي الآن, يبــدو أنــكِ لا تســتحقين تلك الحرية التي أعطيناكِ إياها.!

لا يحـقُ لـكَ أن تحـدثني بتلـك الطريقـة ولـن أسـمحَ لـك يـا سـاهر لـم أعـد تلـك الطفلـة الغبيـة التـي كنـتم تتلاعبـون بهـا سـابقاً أتفهم.

طالـت نظراتهمـا الحـادة قبـل أن ترتـد إلـى الـوراء وتصـعد إلـى غرفتهـا بينمـا صـفع سـاهر صـينية القهـوة لتـتحطم الفنـاجين على الأرض وهو يتمتم بحنق...سنرى كلمة من ستنفذ.!

****

خـرج ناحيـة السـطوح ليستنشـقَ هـواءاً نقيـاً بعيـداً عـن أسـئلة الجميـع الفضـولية عمـا حـدث بينـه وبـين سـاهر فقـد أعلـم والديـه قبـل مغادرتـه, لا ينكـرُ أنـه لـم يعـد راغبـاً بإليسـا كزوجـةٍ لـه علـى الـرغمِ مـن أنهـا أضـحت أجمـلَ وأنضـج ولـو أنـه كـان بموقـفٍ مختلـف لمـا عـارض أبـداً مـن إرجاعهـا لعصـمته, بـل وربمـا كـان قـد حـاربَ لأجـل اسـتعادتها, لكنـه حاليـاً وبعـد كـل تلـك الأحـداث بـل وبعـد ظهـورِ هشـام تحديـداً لا يريـدُ أن يزيـد الأمـورَ تعقيـداً, وذاتـاً هـو لا يثِـقُ بحتميـةِ رجـوعِ اليسـا لـه... يكفيها ما حدث لها منه.

تنبه على صوت خطواتٍ تصعد السلالم وهمساتٍ أنثوية ناعمة استدار بتلقائيةٍ للوراء ليرى عسل ودلال فوجئتا بوجوده صححت دلال من وضع الشال لتمكين تغطية شعرها بتلقائية فهي لم تتوقع ان يكون أحد هنا و القت السلام , أما عسل فتابعت المشي من أمامه فما تزال حتى اللحظة تتحاشى الحديث معه منذُ ذلك الحين, تبسم بحنان واستدار ووضع ساعده على كتف عسل وشدها قائلاً بمرحٍ: ألن تسامحني سيادة الامبراطورة !؟

تأففت عسل وحاولت ابعاد ساعده فتابعت دلال : بلى سامحتك منذُ مُدة بل وستعتذرُ لكَ عن الطريقةِ التي حادثتكَ بها سابقاً فهي تعرف أنك لم تفعل هذا سوى لمصلحتها أليسَ كذلك يا عسل " وتطلعت فيها مطولاً فاستسلمت عسل وهزت رأسها موافقة فقد تحادثت معها دلال مطولا لهذا الشأن سابقا وافهمتها وجهة نظرهم

تطلعت فيه ثم قالت بكبرياء: أتفهّمُ أنكَ فعلتَ ذلك لمصلحتي, آسفةٌ لأني رفعتُ صوتي عليك.

قربها منه وقبل جبهتها قائلاً : وأنا آسفٌ لأنني فعلت ذلك بالطريقةِ الخاطئة, كان يجبُ أن أضعكِ بالصورةِ كاملةً منذُ

البدايــة" ثــم اســتدار ناحيــة دلال وخاطبهــا : يبــدو أن لكلماتــكِ تأثيرٌ سحريٌ على الجميع فهذه العنيدة لا يردعها رادع!!

تبســمت بخجــل وأجابتــه: هــذا مــا يجــب أن تكونــوا عليــه, ليتنــي أملــكُ عائلــةً مُحِبــة وصــدقوني حينهــا لــن ادع الغضــب يســير تصرفاتي لأنني اعرف ان عائلتي ستكون هي الدعم والسند.

ستؤسســينَ عائلتــكِ الخاصــة بــل وســتكونين أمــاً وزوجــةً رائعــة لا أفهــم حقــاً ألا يملــكُ الرجــالُ ذوقــاً هــذه الأيــام, ألــيسَ كــذلك أخــي !! " قالتهــا عســل ضــاحكة بينمــا تطلــع مــراد فيهــا باهتمــام ...فعــلاً بعينيهــا دفــئٌ غريــب وجمــالٌ هــادئ نقــي ألا يملــك الشــبابُ ذوقــاً بمفهــوم الجمــال لتجاهلهــا أم انهــا تمتلــك حبيبــاً ولــم تخبــر أحدًا عنه!!

-عيــب عســل !! اغتالــت تفكيــره دلال وهــي تخاطــبُ عســل بعتــاب فتابعــت عســل عبثهــا اللفظــي بعــدما راقبــت نظــرات مــراد المتحفظــة تجاهــا : يــووه نســيتُ وشــاحي الصــوفي, الجــو بــارد انتظريني وسأعود.

ثــم هرولــت مــن أمامهمــا ممــا أربــك دلال قلــيلاً فتجاوزتــه وتقــدمت لتقــف أمــام الســور الحجــري فقــال بعــد فتــرةٍ وجيــزة :

-بالمناسـبة كانـت عسـل محقـة فيمـا قالتـه قبـل لحظـات..

نظـرت ناحيتـه بتـوتر حينمـا تـابع بفضـول : او انـك فعـلا علـى علاقـــــــــةٍ بأحـــــــــدهم؟.

****

الفصل الثاني والعشرون

احتقنـت وجنتاهـا بشـدة مـن كلماتـه فهـذه المـرة الأولـى التـي يمدحها فيها أحدهم ...حتى ولو كان بطريقةٍ غير مباشرة.. ,

ولا إراديـاً عمـل عقـل مـراد الهندسـي حسـاباتٍ ومقارنـات ... ليسـت كاليسـا الخجولـة الطفوليـة البريئـة وليسـت كجمانـة الجريئـة المندفعـة المشـاغبة المسـترجلة, نـوعٌ آخـر كليـاً..مزيجٌ مـن الأنوثـة والخجـل والرقـة , القـوة والصـلابة بمسـحةِ إيمـانٍ ونقـاء واضـحين، وليسـت مـن النـوع العـاطفي بـل العقلاني...وهو يحتاجُ هذه اللحظة امرأةً عقلانية مؤمنة.!

قـال وكأنـه يحـادث نفسـه, أو ربمـا لينظـف صـورته وسـيرته أمامها:

-مـا حصـل بالماضـي... أقصـد اليسـا و زواجي منهـا, خيانتهـا ...كـان غلطة, أخطأتُ جداً فيما مضى.

تطلعت فيه بمزيجٍ من الخجل والتفهم وأجابت بصدق :

-جميعنا نخطئ سيد مراد, لسنا معصومين عن الخطأ " قالتها وهي تمسك بيدها طرف الشال كيلا ينزاح عن شعرها بسبب الهواء القوي الذي يتلاعب من حولها .

-ليست جميعُ الأخطاء تغتفر آنسة دلال.

-إن الله يتقبل من يتوب أعطِ لنفسكَ فرصة وثق بأننا جميعاً نملك أخطاءاً جسيمة لكن الله سبحانه يستر عباده.

صعدت عسل مجدداً وما إن خطت آخر الدرجات لتدلف السطوح توقفت للحظاتٍ ثم عضت شفاهها بمكرٍ وتراجعت لتنزل مجدداً وتتركهما يتحادثان دون أن تزعجهما فعلى ما يبدو ما قامت به جمانة سيأتي بثماره حتماً فهما منسجمانِ جداً من وجهةِ نظرها! ولو استطاعت هذه اللحظة أن تشغل لهما أغنية حبٍ مع عدة شمعات لخلق جوٍ رومانسي لن تتوانى عن ذلك...!

تبسم مراد وحك أرنبة أنفه متسائلاً بابتسامةٍ عذبة : ويا ترى ما هي الأخطاء التي ترتكبها آنسةٌ ك دلال, لا أظنكِ ممن يركبون الاخطاء صدقيني

تنهدت بعمق واشاحت ببصرها عنه لتتطلع ناحية الحديقة وأجابت بصدق : أن تعطي لأحدهم قيمةً أكبر من حجمه ربما, أن ترهن قلبك لمن لا يستحق.

-مهلاً ..أتقصدين أنكِ!

-انسى, لا تشغل بالك بي وذاتاً الموضوعُ قديمٌ جداً " ابتلع باقي كلماته بحرج فهي حتماً ليست ممن يشاركون مشكلاتهم مع الاخرين فما زال غريباً عنها حتى هذه اللحظة وقد احترم رغبتها بعدم الحديث ...لكنه يرغبُ بشدة ان تستمر محادثتهما, يرغبُ أن يبوحَ بكل شيء, أكمل يلقي ما بجعبته:

-اليوم... دعاني ساهر للفيلا, وأخبرني برغبته لإرجاع اليسا لعصمتي, يريدُ الاطمئنان عليها قبل أن يسافر

أصابتها كلماته بنوعٍ من الفرح لكونها تتمنى ضمنياً أن يبتعد هشام عن اليسا أغمضت عينيها بتروٍ وفتحتهما بينما تابع مراد وكأنه يحادث نفسه: لكني رفضتُ , قصتنا انتهت منذ زمنٍ طويل, وأنا موقنٌ كذلك من أن اليسا لم تعد ترغب بي كزوج..تكون مجنونةٌ لو فكرت بي بعد كل شيء !!

قالهـــا ســـــاخراً مــــن نفســــه وتبســــم بــــتهكم ,اعتصــــرت دلال بقبضــــتها طــرف الثــوب الطويــل الــــذي ترتديــه بينمـــا يتـــابعُ جلدها بكلماته دون قصدٍ منه :

أظنهـــا تحُـــب دكتـــور هشـــام فـــاليوم كـــان برفقتهـــا يبـــدو أنـــه جـــاء ليتعــرف علــى ســاهر , أنــتِ معهمــا بالمستشـفى, هــل مــا أفكــرُ بــه صــحيحٌ, أقصــد هــل تحبــه حقـــاً أو أنـــه حـــبٌ مـــن طـــرفٍ واحـــد؟,وهل هشـــام يســـتحقها ؟ أشـــعرُ بأنهـــا مســـؤولةٌ منـــي خاصـــةً بعـــد وفـــاة والـــديها لا أريـــدها أن تمـــر بتجربـــةٍ فاشـــلةٍ أخرى...حســـناً أعـــرفُ أنـــه منطـــقٌ غريـــب وصـــعبٌ علـــى الرجـــلِ أن يقـــدم زوجتـــه الســـابقة لرجـــلٍ آخـــر... لكنهـــا لـــم تكـــن ســـعيدةً معـــي فلتكن إذن سعيدةً مع غيري .

بالكـــاد كافحـــت لكـــبح دموعهـــا وهـــي تتخيـــل كـــون اليســـا وهشـــام معـــاً دائمـــاً بـــل وستصـــبحُ علاقتهمـــا رسمية...ســـيتزوجها حقـــا!! عصـــفت افكارهـــا بشـــدة بينمـــا الـــريحُ تعصـــفُ مـــن حولهمـــا, أرخـــت قبضـــتها عـــن الشـــال وأفلتـــت يـــديها لجانبيهـــا وقـــد حـــررت دمـــع عينيهـــا أخيراً...بينمـــا مـــراد تمســـك بقبضـــته بقـــوةٍ بالعارضـــة ولعـــن تفكيـــره الـــذي جرفـــه ناحيـــة دلال بغبـــاء! وكلاهمـــا يفكـــر بطريقـــةٍ مختلفـــةٍ عـــن الآخـــر, هبـــت ريـــحٌ قويـــة أزاحـــت الشـــال

لتتطاير خصلاتها السوداء الناعمة فكانت تلك اللحظات كفيلةٌ بارتباكهما معاً ,وقع الشالُ على الأرض فاستدارعنها بينما هي ركعت لتتناوله وقد تعالى نشيج بكائها ليسمعها بارتباك, أعطاها فرصةً لإصلاحه واستدار ناحيتها مجدداً لكنها كانت قد اختفت من أمامه.!!

هرولت درجات السلم ودلفت إلى منزلها أغلقت الباب واستندت عليه وقد أطلقت العنان أكثر لدموعها هذه المرة مكسرةً الأصفاد عنها لتحررها دون قيودٍ بينما مراد كان قد سمع وعرف أنها تبكي فهمس بتوتريحادث نفسه: تبكي لأن شعرها قد انكشف !

وكانت ليلةً طويلةً جداً جلبت السهاد لأبطال روايتنا معاً.ما بين نور التي وعلى الرغم من غضبها من صفعة آدم إلا أنها فكرت بتروٍ وعقلانية كونه محقٌ بدفاعاته, واليسا التي قهرها ساهر بأنانيته وطمعه, وهشام الذي يفكر بإليسا... دلال التي تريد خلع حب هشام عن قلبها, ومراد الذي بات يفكرُ بدلال !! حتى عسل الصغيرة كانت تتذكرُ كلمات صاحب الغمازتين

!

لكن سهاد جمانة وكريم مختلفٌ حتماً عن سهاد البقية فقد انشغلا بجواد الذي كانت حرارته مرتفعةٌ هذه الليلة..!

بسطت الشمسُ أشعتها الذهبية على الأرجاء , تجهز أمير كعادته للذهاب إلى المستشفى, كانت نور قد عادت لمزاولة العمل لعلها تنسى القليل من اللمشكلات التي مرت بها, وكانا يتحاشان بعضهما, حتى بالاجتماع الذي عقده أمير للكادر الطبي آثرت أن تجلسَ بآخر الطاولة وتستمع لتعليماته دون التطلعِ ناحيته, ولا هو كان يريدُ أن يرى نظرات العتاب والقهر فيهما ,

وصل أمير أخيراً إلى المستشفى, ليلمح همساتٍ ونظرات استغراب من العاملين بالمستشفى تجاهه, تجاهل الجميع وتابع مسيره حتى وصل لمكتبه ولج إليه وارتدئ مئزره الطبي وعلق سماعته ليباشر العمل حتى تطلعت فيه رئيسة المرضات وهمست بارتباك : أنت هنا... عفواً, ألم تقرأ القرار دكتور!؟.

-أي قرار ؟! سألها بعدم فهم لتجيب بإحراج: ت..تفضل برفقتي رجاءاً" وفعلاً سار برفقتها حتى وصلَ ناحية غرفة الاجتماعات و هنا كانت المفاجئة الكبيرة تنتظره !. قرارُ عزله

عـن إدارة المستشـفى كانـت معلقـةٌ علـى البـاب ... بـل وعلـى لوحـة الاعلانـات الكبيـرة بالمستشـفى, وبكـلِ قسـمٍ مـن أقسـامها, هكـذا أخبرتـه رئيسـة الممرضـات بحـرجٍ كبيـر بـل وبحـزنٍ أكبـر فالطبيـبُ الوسيم سيفارقُ مستشفى العجائز هذا!!

صـرَ علـى أسـنانه بغضـبٍ فهـا قـد بـدأ والـده ألاعيبـه السـخيفة لتربيتـه ! تطلـع فيهـا بابتسـامةٍ مفتعلـة وقـال بمـرح وهـو يخلـع المئـزر والسـماعة ويسـلمها لهـا... سـررتُ بالعمـل برفقتك ...بالتوفيق"

مشـى بـالرواق الطويـلِ بينمـا كـان والـده قـد وصـل لتـوه وعلـى شـفاهه ابتسـامة انتصـار, توقـفَ للحظـاتٍ قبالـة والـده قـائلاً بثقـة: حسـناً أيهـا الامبراطور...كسـبت الجولـة " ثـم حيـاه بإشـارةٍ مـن يـده متجـاهلاً سـهام النيـران المنبعثـة مـن عيـني والـده ومشـى مـن أمامـه أخـرج هاتفـه متصـلاً ب نـور لكنهـا تجاهلـت اتصـالاته المتكـررة, زفـر بغضـب متجهـاً للقسـم الـذي تعمـل نـور بـه فهـو يعـرفُ جيـداً مـآرب والـده, بحـث عنهـا حتـى وجـدها ناداهـا فتجاهلتـه ومشـت مـن أمامـه لكـن كفـه سـارعت بالتقاط ساعدها قبل أن تتجاوزه ,

-ما الذي تريده بعد الآن ؟؟

أخـــرجَ ورقـــةً بيضـــاء وانتشـــل القلـــم مـــن جيـــب مئزهـــا وقـــال بثقة: أن تستقيلي وفوراً.

تطلعـت فيـه وضـحكت بسـذاجة : أتظـنُ الوقـت ملائـمٌ لمزاحـك !!.

اقتـرب أكثـر وثبـت عينيـه عليهـا بثقـة : والـدي هنـا ولا أريـده أن يتعرضَ لكِ بسوء.

ابعدتـه وقالـت بحنـق: ومـا هـذه الثقـة! أهـو تهديـد؟!..!! ومـا الذي من الممكن أن يفعله ألا يوجدُ قانونٌ بالبلد.!

ثفـخ بضـيقٍ مـن عنادهـا وأجـاب : مـن الممكـنِ أن يفعـل الكثيـر جـداً ولـو كنـتِ تريـدين سـلامتكِ..أو علـى الأقـلِ سـلامة زوجـك, ابتعـدي عـن المستشـفى, تسـتطيعين العمـل بـأي مستشـفىً آخر.

تطلعـت فيـه بتـردد فحـدق فيهـا برجـاء وتشـجيع, فمـا كـان منهـا إلا أن تأخـذ القلـم مـن يديـه ويتجهـان لمكتبهـا وتكتـب قـرار الاسـتقالة فيمضـي عليـه بتـاريخ اليـوم السـابق, اي قبـل صـدور قـرار عزلـه الرسـمي, تركـت القـرار علـى مكتبهـا ولملمـت أغراضـها علـى عجـل بينمـا هـو يقـفُ علـى البـاب ويراقبهـا بعينيـه

الثاقبتين حتى انتهت, خرجت فخرج برفقتها انشغلت باتصالٍ لأحد أصدقائها الاطباء وطلبت منه تسليم قرار الاستقالة للمدير الجديد, وتوقفت على أعتاب المستشفى حينما تنبهت على وجود أمير وقالت بغضب : ما الذي تريده أيضاً ؟

-اعتني بنفسك فقط....هذا ما أريده.

أشاحت بوجهها عنه بضيق ثم تداركت نفسها وقالت :بالمناسبة زوجي ليس له أيُ ذنبٍ فيما حصل لشقيقتك, كانت تحبه لكنه لم يكن لها أية مشاعر.

توقف لبرهةٍ مصدوماً من كلماتها ثم صر أسنانه بغضب: كذبةٌ جديدةٌ منه.!!

اعتصرت الصندوق بين يديها قائلةً بجدية : اركب السيارة برفقتي.

-وهل ستقومين بخطفي !

قالها بشكلٍ شبه ساخر فحدقت فيه بجدية لينصاع لها ويستقل المقعد بجانبها انطلقت بسيارتها لمكانٍ هادئٍ نسبياً ركنت سيارتها فيه و شرعت تحكي له كل شيءٍ عن طبيعة

تلك الصور وعن علاقة زوجها بشقيقته بيسان على أملِ أن يصدق .

****

توقفت أمام مرآتها مطولاً هذا االمساء وهي تعد نفسها للذهاب لمنزلِ ابن عمها كريم ف جواد قد أكمل اليوم الخمس سنوات وسيقيمون له حفلاً لعيد ميلاده, للحظاتٍ ترددت قبل أن تخلع قرطها الناعم الذي يتخذُ شكل جمجمةٍ ووضعته على طاولة زينتها ثم أخرجت ذلك القرط اللؤلؤي , تبسمت عندما تذكرت مكالمته الهاتفية صباحاً : يجبُ أن أراكِ اليوم يا عسل لنتحدث.

خرجت منه بجديةٍ كبيرة وكأنه أحدُ رجالِ المباحث يلقي أمراً لعناصره, علقت القرط الثاني وتأملت نفسها مجدداً, صحيحٌ أنه ناعمٌ جداً لكنه كان كفيلاً بإجراءِ تغييرٍ بسيط فيها...

أجابته بتلعثم: لن أستطيع مشغولةٌ اليوم.

تمسك فهد بهاتفه يأساً منها وأجاب :صدقيني إنها آخرُ مرةً سأتصل فيها لأعتذر منكِ, الموضوعُ لا يستحقُ ما تفعلينه.!

شعرت بتغيير اسلوبه وارتعدت للحظاتٍ كونها لم تعد تستطيع سماع صوته !

مهلاً... اليوم عيد ميلاد جواد ابن ابن عمي, لن أستطيع فعلاً لقائك ,

-وغداً أنا سأسافر, والدي مريض وقد حجزتُ على أولِ طائرةٍ متجهةٍ صباحاً للسعودية .

ابتلعت ريقها وقد شعرت بضرباتٍ عنيفةٍ تلطم صدرها فقالت بتلعثم: س..سأحاول أن ألتقيك أمام فيلا عمي, ؟

-حسناً, سأنتظركِ أمام فيلا عمك الساعة التاسعة أمليني العنوان....

قلبت بسمتها لدمعةٍ تكومت على مقلتيها وهي تسدل على جسدها فستانها ذو اللون الوردي قصير الأكمام و الذي يصل لما قبل ركبتيها بقليل... كان ل نور سابقاً وانحشر على مر الأعوام مع مجموعة الفساتين والألبسة الشبه جديدة التي كانت نور ترتديهم لمرةٍ أو اثنتين فقط فيما مضى, ولا تعرف اليوم لما انتقته هل تريدُ أن تكون جميلةً بنظره قبل أن يسافر؟

مالـت أكثـر علـى المـرآة وهـي تمـرر القلـم الـوردي اللامـع علـى شفاهها...

-إنه مريضٌ جداً, والدتي منهارةٌ من الصباح.

تنهـدت بأسـى وهـي تتـذكر محادثتهمـا عبـر الهـاتف ولـلآن لاكتشـفت أنهـا لا تعـرفُ شـيئاً عـن فهـد سـوى اسـمه وعملـه ! مـررت الكحـل علـى عينيهـا كمـا كانـت تشـاهد نـور تمـرره سـابقاً ثـم تراجعـت إلـى الـوراء وارتـدت جالسـةً علـى السـرير وهـي تتأمـل هيئتهـا الجديـدة! كانـت مختلفـةٌ جـداً, ولـم تكـن مرتاحـةً بمـا ترتديـه فالصـورة التـي التـي انعكسـت علـى مرآتهـا ليسـت صـورتها أبداً..

أتاهـا صـوت مـراد يسـتحثها علـى الاسـتعجال فجهـر صـوتها : قادمة"

انتعلـت الخـف فهـي حتمـاً سـتغير كـل مـا فيهـا إلا ارتـداء الكعـب العـالي هـذا مـا لـن تسـتطيع فعلـه مطلقـاً, وهرولـت تهـبط درجـات السـلم حيـث كـان الجميـع قـد جلسـوا بالسـيارة ينتظرون عسل التي تأخرت ولأولِ مرة باستبدال ملابسها. !

شهقةٌ من فم عبير خرجت لا إرادياً لتتجه أعين الجميع ناحية ما تتطلع إليه ليطلق مراد صفرة عاليةً ويخرج هاتفه ليسجل هذه اللحظة بصورةٍ لشقيقته التي قطبت حاجبيها بغضبٍ ممزوجٍ بخجل منهم..

-ولا كلمة ...انطلق مراد.

قالتها عسل بأمر ليهز رضوان رأسه ضاحكاً بينما مراد يشغل السيارة لينطلق وهو يتمتم بخبث : حسناً أنسة عسل, يبدو أنكِ بخضم هذه الإصلاحات نسيتي أن تستبدلي لسانك الطويل !

مدت له لسانها بشقاوة لتلكزها كبير على فخدها فتتأوه ألماً: تأدبي مع شقيقك الكبير يا بنت. !

لما لم تحضر دلال معنا أمي؟ قالتها عسل متسائلة بعدما فطنت أن دلال ليست متواجدة فأجابت عبير :

-ستوافينا لاحقاً, ما تزالُ بالمستشفى.

****

وعسل التي ترتدي الفستان صارت حديث جميع من بالحفل هذه الليلة فتمنت عسل أن تمزق الفستان لشدة غيظها !فقرصةٌ من تلك وضحكةٌ من ذاك وغمزةٌ من آخر من أقاربها فهذا حدثٌ جللٌ لو تدركون ! .شعرت بالحنق منهم فآثرت الجلوس بالحديقة وصارت تهز قدمها بتوتر منتظرةً لحظة لقائه, حط العقرب على الساعة التاسعة تماماً ف رن هاتف عسل تنبهت على كريم الذي حضر ليجلس بجانبها فأخرست هاتفها وتطلعت بابن عمها بانزعاج:

-حسناً آنسة عسل ما الذي ضايقك لهذا الحد ؟

أشاحت بوجهها عنه وما تزال تهز قدمها بعصبية فضربها على ركبتها : كفي عن ذلك انه يوترني" ثم أردف بعد لحظات : لا تهتمي لأحد لو كنت مقتنعةً بهذا التغيير فقومي به ولا تأبهي لأحد.

رن الهاتف مجدداً تطلعت فيه بارتباك فكتمتا صوت الرنين وقالت باندفاع وهي تتطلع ناحية سيارة فهد الواقفة :

- لم أعد مقتنعةٌ به " تبسم كريم بحنان مجيباً : أنا حتى اللحظة لم أرتد بذلةً رسميةً بحياتي, حتي بيوم زفافي إن

لاحظت ذلك, كم لاك الناس سيرتي لا يهم ما يهم فقط هو ما أنا أحتاجه وما هو مريحٌ بالنسبة لي, أعهدك قويةً جداً وما تزالين كذلك..." أردف ضاحكاً: وبالمناسبة لن أسألكِ عن سبب هذا التغيير لأن إحداهن تغيرت هكذا سابقاً لمدةٍ وجيزة قبل أن تعاود لممارسة شراستها المعهودة !

شعرت عسل بالخجل من تصريحه فهو كان يقصد جمانة حتماً بكلماته وهتفت به : ليس كما تظن كريم !

-أجيبي على هذا الهاتف الذي لم يكف عن الإضاءة إذن, ودعي من ينتظرك بتلك السيارة الواقفة أمام الفيلا أن يتقدم بوضوحٍ بدل ألاعيب الأطفال تلك.

قالها بحدة وهو يقف قبالتها بتحدٍ لتجفل مكانها وكأنه أمسكها متلبسة ثم مضى عائداً إلى الداخل بعدما ألقى مجدداً نظرة أخيرة على فهد الواقف أمام السيارة فقد رآه منذ قليل على شاشة كاميرا المراقبة وتأكد الآن أنه يخص عسل! لكنه لم يعرف بعد من يكون؟

****

الفصل الثالث والعشرون

راقبته حتى اختفى داخل الفيلا فوقفت وهندمت فستانها ثم مشت بسرعةٍ واجتازت البوابة وعبرت للطرف المقابل حيث يتكئ فهد على سيارته وينتظرها على أحر من الجمر .. شرد للحظاتٍ بها وتأملها فأزاح ذلك القليل من الغضب تجاهها, بل أزاح الغضب ومحى آثاره,!

-آسفة تأخرت.

-من كان برفقتك؟ ظهرت غيرته واضحةً فلأول مرةٍ ينطقُ أول ما يتبادر لذهنه معها

- انه كريم ابن عمي " هز رأسه متفهماً فقد حكت له عن كريم وجمانة سابقاً, تبسم وهو يحادثها : تبدين مختفةً الليلة

احمرت وجنتاها بخجل ثم تداركت نفسها وسألت : كيف هو والدك ؟

اكفهر وجهه مجدداً وأجاب : ليسَ بخير, أزمةٌ قلبية وهو في العناية المشددة حالياً, يجبُ أن نسافر في الرابعة صباحاً.

-سيكون بخيرٍ ان شاءالله لا تقلق.

-ان شاءالله.

****

وضع كريم ساعده فوق كتف آدم الذي حضر منذ دقائق متألقاً كعادته, همس كريم بخبث: ألم تصل المدام بعد؟

- ابتعد كريم لستُ أنقصُ سماجتك, وأصلاً أنا لا أنتظرُ المدام ,

-أها... لهذا تألقت جداً هذه الليلة, لأجل حفل ميلاد جواد, أو ربما لتنتقي لنفسكِ عروساً جديدة ؟!

-يوووه" نطقها بنزقٍ من كريم الذي أبى مفارقته ثم أدار وجهه ناحية الباب مستكملاً : قاطعتَ زوجتكَ اسبوعاً كاملاً لكن ما دخل باقي العائلةِ يا أحمق! على كلِ حال وصلت عروسك , هيا اذهب وانهي ذلك الخلافَ السخيف, لا شيء يستحقُ ما تفعلانه ببعضكما"

تطلع آدم بتلقائيةٍ ناحية نور التي دلفت لتوها من الباب, أفلتت بسمة لا إرادية من شفاهه فقد اشتاقها حقاً ثم أزاح

الابتسـامة فـور أن تلاقـت عيناهمـا ... لكزتهـا دلال مشـجعةً فقـد قـدمت برفقتهـا ثـم خطـت للـداخل تبحـث عـن جمانـة لكـن جمانـة الآن تحديـداً كانـت بمهمـةٍ رسـميةٍ طلبهـا منها زوجها لحين أن ينشغل بضيوفه !

قبل عدة ساعات

حاولـت لكنـه لـم يُجـب علـى اتصـالي " قالتهـا نـور وهـي تجلـسُ برفقـة دلال فـي اسـتراحة المستشـفى حيـث قامـت بزيارتها قبل العودة للمنزل.

-وكم مرةً اتصلتِ به؟

-مرتين أو ثلاث.

ربتـت دلال علـى كتفهـا معاتبـة: مـرتين منـذ عـدة أيـام وتريـدين منـه مسـامحتك!؟ هـذا حقـه بالمناسـبة , لقـد أطلقـتِ الحكـم عليه حتى قبل أن تتأكدي.

-لكـن الصـور لخبطتني جـداً ...كانـت تلـك البيسـان ملتصـقةً به!!

الصورُ ليست مقياساً وأنتِ تعرفين أنها كانت من أيامِ الجامعة أي أنها منذُ زمنٍ طويل ولا يحق لكِ أن تحاسبيه على ماضيه مهما كان, المهم هو أنه لم يخنك أبداً في فترة الخطوبة والزواج.

أطلقت نور تنهيدةً عميقةً وأرجعت برأسها إلى الوراء مغمضة العينين : لقد صفعني!!

-وأ،تِ المخطئة, لم تري خوف الجميعِ حين انهيارك, كان الأمرُ لا يستحق مبالغتكِ بهذا الشكل, نصيحتي ..اذهبي إليه واعتذري.

اعتدلت نور بجلستها فأعقبت دلال مؤكدة: بل يجبُ عليكِ أن تعتذري.

شجعتها دلال بابتسامةٍ واثقة بينما نور قد منعها كبريائها من الاعتذار وبذات الوقت كان قلبها يصرخُ بعنفٍ للاعتذار منه!

تنبهت اليهما اليسا فور دخولها للاستراحة للحصول على كوبٍ من القهوة لتعديل مزاجها بعدما أنهت عملها بمساعدة هشام بقسم الطوارئ

-أهلا نور...أراكِ هنا؟.!

تعانقت الفتاتان ثم جلستا لتجيب نور بمرح : كنتُ أحتاجُ أن أثرثر قليلاً ... سأختنق"

ربتت اليسا على كتفها مواسيةً ثم قالت نور مجدداً : اليوم عيد ميلاد جواد, سيكون آدم هناك حتماً.

تبسمت دلال وهتفت بمرح : اذن ستحلين مشكلتك الليلة.

****

نعود الى الحفل حيث تقدمت نور من آدم بتشجيعٍ من دلال, سارت بتؤدة حيث وصلت ناحيته فزاد عقدة حاجبيه وهو يضع يديه بجيب بذلته ..صمتت قليلاً تحدق فيه وبوجهه الحليق, كم كان يبدو وسيماً ولولا الحضور لكانت قد ارتمت على صدره من فورها قاطع شرودهما صوت كريم محذراً : حُلا مشاكلكما وإلا أقسم بالله أن ألقي قالب حلوة ابني على رأسيكما وتحملا صراخ جواد حينها.

اشاحت نور بوجهها باسمة فانتهز آدم فرصة التطلع بتفاصيل وجهها الرقيق لكنه حتماً هذه اللحظة ينتظر اعتذاراً صريحاً منها.!

دفعهما كريم بخفة ناحية غرفة المكتب ليتحدثا على انفراد مسترسلاً : خمسُ دقائق وإن لم أرى أيديكما متشابكة سأنفذ تهديدي وأقسمُ بالله على ذلك.

وبعيداً عنهما تقدمت دلال من مراد الذي يجلس على إحدى الأرائك يتناقشُ مع جواد بموضوعٍ مهمٍ على حد قول الصغير, وما إن نادته دلال حتى ركض الصغير ناحية دلال التي انحنت تجاهه تقبله وهي تعطيه هديته بينما توقف مراد يراقبها ببسمةٍ ارتسمت على شفاهه, اعتدلت بوقفتها بعد برهةً لتلقي التحية على مراد الذي رأى نفسه لا إرادياً ينجذبُ لها مرةً أخرى..

****

اخذ فهد نفساً عميقاً من سيجاره ثم رماه على الأرض فأسندت عسل ظهرها كذلك على السيارة وبقيا صامتين حتى قطع الصمت قائلاً بجدية: رغم أنكِ اليوم رائعة الجمال... لكنكِ لستِ عسل التي أعرفها.

تلكـأت قلـيلاً فـأردف موضـحاً: لـن أتكلـم عـن هـذا الفسـتان القصـير" ثـم همـس بسـره((الـذي أثـار غيظـي وجنـوني)) وأردف : ,لكنكِ أنتِ لستِ مقتنعةً به أليس كذلك؟.

قفزت لتجلس على مقدمة السيارة متسائلة : وما أدراك ؟ !

-لا تستخفي بي.... بت أفهمك جيداً.

-محلـلٌ نفسـيٌ مـاهر مـا شـاء الله.... نعـم صـدقت لسـتُ مقتنعـةً به,أشعرُ وكأنني غريبة.

وكـأن مـا قالتـه هـذه اللحظـة لـه علاقـةٌ بأنـه طبيـبٌ مـاهرٌ أم لا؟ !

-إذن لما ارتديته اليوم؟

-هـل أصـدقك القـول؟" هـز رأسـه مشـجعاً لتجيبـه :ربمـا حبـاً بالتغيير... أو ربما لأكون جميلة.

عنـد هـذه الكلمـة أغمـض عينيـه لثـوانٍ مبتسـماً ثـم اسـتدار ناحيتهـا هامسـاً وبالكـاد سـيطر ألا يصـارحها بمشـاعره فلـيس اليوم وقتها أبداً :

-مـا يهـم يـا عسـل هـو جمالـك الـداخلي وأن تفعلـي مـا أنـتِ مؤمنــة بــه فقــط, لا تتغيــري لأجــلِ أحــد أو لتقلــدي غيــرك, كــوني أنتِ فقط.

- أهـي جلسـةُ عـلاجٍ مـن جلسـاتك !! أقـر أن جلسـات علاجـك غريبةٌ جداً لكن يبدو أنها مجدية.!

أضـحكته كلماتهـا لتغـرق هـي بغمازتيـه وفكـرت لثـوانٍ بأنهـا إن وضعت إصبعها سيغرق حتماً بخديه!! .....يوه تفكيرٌ غبي!!

-عفـواً "قالهـا فهـد بغيـر فهـم والآن فقـط لتنبهـت بأنهـا نطقـت الجملـة الأخيـرة بصـوتٍ عـالٍ لتتبـارى هـي وإضـاءة الشـارع بأيهمـا أكثر احمراراً هذه اللحظة. !

رفعـت رأسـها تجاهـه بمـرحٍ مفتعـل : لا شـيء أتنـاقشُ مـع نفسـي! .. أتعلـم, اليـوم تعرضـتُ لسـخرية أغلـب أقـاربي علـى فسـتاني تخيل, وكأنني رجلٌ ارتدى فستان زفاف. !

أجابهـا باسـماً : وهـذا درسٌ آخـر مـن دروس الحيـاة يـا صـغيرة: سـيلوكُ النـاس سـيرتك دائمـاً وأبـداً بـأي تصـرفٍ وهمسـة... إن كنـتِ تـؤمنين بصـحة مـاتفعلين وكـان لا يـؤذي غيـرك حتمـاً لا تأبهي لأحد.

-أنت محق يا فهد.

صمت قليلاً وتطلع على ساعته التي قاربت على العاشرة والنصف :

-أنا مضطرٌ للرحيل لتوضيب امتعتي , اعتني بنفسكِ جيداً, ورجاءاً كفي عن افتعال المشاكل لأن فحص الثانوية قد اقترب, وأخشى عليكِ جداً أن تتسببي بفصل نفسك من المدرسة, اعتبريه طلباً خاصاً مني.

-سأفعل, اعتني بنفسك أيضاً " نطقتها بحزن وهي تتطلع بعينيه المرهقتين... حتى والهموم تثقل كاهله يفكر بمساعدتها ونُصحِها... ربما لم تعرف عسل بعد معنى نصائحه لكنه كان قد فهم جيداً أن تلك الفتاة ليست مجرد حالةٍ أراد علاجها.... الأمر بات أصعب بكثيرٍ مما تصور, الأمرُ بات متعلقٌ بقلبه الذي غرق بتلك الفتاة لدرجةٍ شعر بوخزاتٍ عميقةٍ لمفارقتها هذه المرة التي لم يعرف كم ستطول .

مد يده لمصافحتها ثم استدار ورفع هاتفه ناحيتهما ليلتقط صورة تجمعهما سوياً وسط ذهولها من فعلته ,

-أراكِ على خير أيتها المشاكسة "

نطقهـا بمـرحٍ مفتعـل ثـم لـوح لهـا بيـده واسـتدار ليسـتقل السـيارة مغـادراً فتنهـدت وهـي تراقـب سـيارته تبتعـد وعـادت إلـى الداخل...

ومـا إن عبـرت البوابـة حتـى التقطتهـا جمانـة مـن أذنهـا وصـاحت بغضـب (يخربيتـك !!) تألمـت عسـل وبالكـاد خلصـت اذنهـا مـن بين أصابع جمانه وهتفت بها بغيظ: ما بكِ يا بنت أرعبتني.

-من هذا!!!

-إنه فهد ,

-الطبيب النفسي!! و ما الذي يفعله هنا.!!

-لا شيء, سيسافر جاء لتوديعي فقط "

-نعـم!! ولمـا سـيقوم بتوديعـكِ إن شـاءالله, أكـان مـن عائلتنـا ولست أعلم؟

-يـووه جمانـة اتركينـي حبـاً بـالله.. يعنـي طبيـبٌ جـاء لتوديـع مريضته

-مريضته!!

هربت من أمامها بسرعة لكن جمانة سارت بجانبها وهي تكيل لها سيل أسئلةٍ لن تنتهي بوقتٍ قصيرٍ حتماً فهذه هي المهمة التي أوكلها كريم لجمانة, أن تراقب عسل وتطمأن عنها كيلا يضطر هذا الأخير بالتدخل وكسر عظام ذلك المسكين ولم يلحظ الجميع أن هناك طرفاً ثالثاً ينتظر أحدهم!

****

انتهى حفل ميلاد الصغير خرج آدم و نور من غرفة المكتب فبعد عتابٍ كبيرٍ من عينيه كادت أن تشرحَ له أصل الحكاية فقال بهدوء: نتحدثُ لاحقاً " فخطفت نور من وجنته الحليقة قبلةً خاطفةً وابتسمت قبل أن تسبقه للخارج ليلحق بها للانضمام للعائلة .

أما مراد فكان لا إرادياً لا ينزاح من جانب دلال أو لا يتوانى عن مراقبتها حتى وهو بعيدٌ عنها, وكأنه يشنُ حربًا على نفسه, خائفٌ هو من تجربةٍ جديدة وخائفٌ كذلك من مواجهة الحقيقة بأن ترفضه , وكيف ستقبل به وهي تعرفُ ماضيه ؟ ..تسلسل الحضور خارجاً واحداً تلو الآخر حتى لم يتبقى

سـواهم وقـد قـرروا الخـروج للسـهر بأحـد المطـاعم القريبـة خـرج مـراد بسـيارته لإيصـال عابـد وعبيـر ورضـوان ومـن ثـم سـيقوم باللحـاق بهـم، أمـا عسـل و نـور و جمانـة وآدم فقـد اسـتقلوا السـيارة برفقـة كـريم ودلال المسـكينة رأت أن لا مكـان لها بينهم لذلك بشكلٍ تلقائيٍ استقلت السيارة برفقة مراد...

****

يتـوارى الماضـي أحيانـاً بمكـرٍ كـاللص، ولكنـه لا يمـوت، ولـه حريـة اختيـار طريقـة عودتـه...ولكن عودتـه هـذا اليـوم كانـت بغتـةً حيـثُ لـم يفهـم أحـدهم مـا جـرى أو السـبب لتنتهـي ليلـتهم بهـذا الكـابوس المرعـب ... بثـوانٍ كـان مـراد قـد تنبـه لـذلك الملـثم الـذي ظهـر فجـأةً خلـفَ بوابـة المطعـم وصـوب سـلاحه تجـاه آدم، صـرخَ مُـراد بصـوتٍ زلـزل سـكون الليـل وانـدفع تجـاه ابـن خالتـه ليحميـه مـن الرصاصـة التـي انطلقـت مـن فوهـة المسـدس تجاهـه دفعـه بعنـفٍ فـانطرح الاثنـان علـى الأرض وقـد أغرقـت الـدماء قميصـيهما، لـم يسـتوعب أحـدٌ مـا جـرى حتـى دفـع آدم مـراد عنـه بفـزعٍ حقيقـيٍ وهـو يهتـف باسـمه...تنبهت حـواسُ كـريم فجـأةً فاسـتقل سـيارته ليلحـق بـذلك الملـثم الـذي سـارع بركـوب سـيارته والانطـلاق بهـا أمـا دلال

فقد هرولت مباشرةً تجاه مراد المسجى على الأرض لتحديد موقع الرصاصة فتبينت أنها قد اخترقت كتفه الأيمن بينما نور شخص بصرها برعبٍ وتبسمرت قدماها فلم تستطع التحرك أو التصرف حتى صرخت دلال بضرورة نقله بسرعةٍ للمستشفى فعاونه آدم ليجلس على المقعد الخلفي والتف بسرعةٍ ليقود السيارة وجلست دلال بجانب مراد تضغط على جرحة كي توقف النزيف فهرولت الفتياتُ بآخر لحظةٍ لينطلق آدم بالسيارة إلى المستشفى...

أيوجدُ مستشفى قريباً من هنا!" قالها آدم بارتباك فقاطعته نور على الفور : الرحمة... مستشفى الرحمة " هز رأسه ثم انطلق مزيداً من سرعته واستدارت نور الى الخلف تحدثه : سنصل بعد دقائق تماسك أخي, دلال اضغطي جيداً رجاءاً.

التصقت الفتيات ببعضهن بالمقعد الخلفي ودلال ما تزال تضغطُ على جرح مراد هزت رأسها مؤكدة : نعم أفعل" تعالى لهاثُ مراد وهو يرجعُ برأسه للوراء مستنداً على المقعد ودلال تزيد من ضغطها على موضع الرصاصة أكثر تطلع ناحيتها وحاول أن يقول بابتسامةٍ واهنة: أشعرُ حالياً بأنكِ تشبهين أمي!

تبسمت دلال بعينين دامعتين وسألته: ما أوجه الشبه بيننا؟
" أغمض عينيه متألماً ثم أجاب بهسيس: إن..إن أخرجوا تلك الرصاصة الحمقاء من جسدي...سأخبركِ حتماً.

-سيخرجونها..لا تقلق حالتك مستقرة.

****

كانت الساعةُ قد قاربت على بلوغ منتصف الظهيرة حينما خرجت عسل من غرفتها ولم تنل إلا قسطاً قليلاً من الراحة بعد تلك الليلة المرعبة التي مروا بها وشرعت بتغيير ملابسها للذهاب إلى المستشفى مجدداً للاطمئنان على شقيقها مراد ,

-صباح الخير" نطقتها اليسا فور ولوجها لغرفة مراد الذي تطلع فيها باسماً وحاول الاعتدال بجلسته فعالجته بقولها: لا تتحرك رجاءاً.

-أنا بخير "

-حمداً لله على سلامتك" اقتربت أكثر وقامت بالكشف على جرحه للاطمئنان عنه بعدما قام أحد الأطباء بإجراء عمليةٍ

لإخـــراج الرصاصـــة التـي اســـتقرت بكتفــه ثــم تبســـمت بانشـــراح : جيد أمورك بخير لا تقلق.

-ومـــن قـــال بـــأني قلـــق ؟! قالهـــا مـــراد فـي حـــين دلفـــت دلال وهـي تحمـــل ضـــماداً لتغييـــره وقـــد قامـــت بـــذلك بســـرعةٍ ومهنيـــةٍ فائقـــة ولـــم تنتهـي حتـى دلفـــت نـــور و جمانـــة وخلفهمـــا عســـل وعبيـــر... تطلـــع فـيهن بانـــدهاش ثـــم أرجـــع بجذعـــه للـــوراء ضـــاحكاً: مـــا شـــاء الله ستُ ملائكةٌ تطوف من حولي"

-احتضـــنته عبيـــر وقـــد ســـالت دموعهـــا والتفـــت نـــور كـــذلك للطـــرف المقابـــل وهـي تبكـي ثـــم انـــدفعت تجـــاههم عســـل وهـي تهتـــف بحنـــق : لعـــن الله مـــن كـــان ســـبباً بـــذلك...واللهِ لأقـــوم بســـلخ عظامه ابن ال"....

-شـــشـــش" لطمهـــا مـــراد بخفـــةٍ علـــى رأســـها بيـــده الســـليمة وقـــال هامســـاً : أنـــا بخيـــر " تقـــدمت جمانـــة أخيـــراً بعينـــين محتقنتـــين ثـــم جلســـت علـــى الكرســـي المقابـــل بعـــدما ابتعـــدت عنـــه عبيـــر وعســـل أمـــا نـــور فمـــا زالـــت بجانـــب شـــقيقها, أمســـكت جمانـــة يـــده بـــين أصـــابعها باكيـــة : فـــديت شـــقيقي بجســـدك, لـــن أنســـى صنيعكَ أبداً...شكراً مراد"

تبسـم مؤكـداً وهـو يتطلـعُ علـى كفيهـا الصـغيرين اللـذين يحتضـنان كفـه : إنـه أخـي يـا جمانـة" ثـم رفـع رأسـه لتتلاقـى عيناهما لوهلة وقال بحنان : أفديه بروحي"

****

الفصل الرابع والعشرون

أفديه بروحي..

لكــم كانــت تلــك الكلمــة ذاتُ معنــىً عميــق بالنســبة لجمانــة, وفعــلاً قــام بفــداء آدم دون تفكيــر والآن فقــط لتأكــدت مقــدار الحــب الــذي يكنــه مــراد لشــقيقها, نزعــت يــديها عــن يديــه ومســحت دموعهــا حينمــا دلــف كــريم مــن الخــارج, رآهمــا فقطــب حاجبيــه لوهلــةٍ لكــن الوقــت حاليــاً لــيس ملائمــاً لغيرتــه, نهضــت جمانــة تجاهــه فربــت علــى كتفهــا باســماً , ثــم أبعــدها مخاطبــاً الجميــع : أمســكت ذلــك الوغــد وقمــت معــه بالواجــب علــى أكمــلِ وجه لكنه لم يعترف حتى اللحظة عمن أرسله.!

-لا بد وأنه عصام الريس.

-مــن؟!!" نطقهــا الجميــعُ باســتغراب لتجيــب نــور بثقــة : والــد دكتور أمير....شقيق بيسان التي كانت تلاحقُ آدم سابقاً.

وشرحت لهم كيف يحاول الأب أن ينتقم لموت ابنته.

-فقال مراد حانقاً : يبدو أن لنا زيارةً قريبةً له ولابنه.!

-رجاءاً أخي لا نريد مشاكل يجبُ أن نبلغ الشرطة.

قالتها نور برجاء فأومئ كريم مؤيداً: سنبلغهم حتماً.

-وأين هو آدم الآن؟ تساءل مراد ليجيب آدم باسماً وهو يدلف للداخل: هاأنذا يا أخي" واندفع تجاهه محتضناً إياه بامتنانٍ شديد فلكزه مراد مازحاً : هيا الآن ما بالكم أيها القوم ستتسببون بطردنا من المستشفى.!!

نظر الجميع لبعضهم وتعالت ضحكاتهم لتقول نور بجدية: فعلاً إن عددنا كبير يجبُ أن نغادر"

ثم أردفت اليسا: وبكافة الأحوال لن يبقى هنا لأكثر من يومين فحالته مستقرة والحمد لله.

-إن كانت اليسا طبيبتي ودلال ممرضتي فسأبقى دهراً هنا !! نطقها مراد مازحاً بلحظة دخول هشام لتتغير تعابير وجهه للجدية ويقطب حاجبيه فيتدارك مراد نفسه ويهتف : حسناً أرضى بهشام طبيباً مع أني أشك بأنكم ستروني بالمشرحة صباحاً.!!

لتتعالى ضحكات الجميع بينما يغادرون الغرفة.

أحيانـاً نظـنُ بأننـا اكتفينـا مـن هـذه الحيـاة, نهـربُ مـن ماضـينا وآثامنـا كهـروب إبلـيس مـن نـار السـعير لكـن يـد الزمـان لا بـدو أن تلطمنـا لننـال العقـاب العـادل, وحـين ننالـه نظـنُ بأننـا مخلـدون فـي العـذاب الأبـدي.. نُصـابُ بـالفرح العـارم بعـد انتصـارنا بـبعضِ الأحيـان ونغـرقُ فـي هنـاء الحيـاة, ونكتشـفُ بأننـا مخطئـون في كـلا الحـالتين, فـلا فـرحَ يـدوم ولا ألـمُ يعشـش فينـا, كـلُ شـيءٍ مصـيره للتبـدل والتغيـر, لا يجـبُ أن نثـق بالحيـاة بقـدر مـا يجـبُ أن نكلـل بالإيمـان العميـق بتبـدل الأحـوال والمشاعر.

مـن تظنـه محـور هـذا الكـون...ومن تظـن بأنـك بعـد مفارقتـه سـتموت حتمـاً, تلطمـك الفاجعـة الكبرى...سـيأتي ذلـك اليـوم الـذي تنسـاه فيـه حتى ولـو كـان أقـربَ النـاسِ منـك, فـاللهُ رحـيمٌ بعبـاده, رحـيمٌ لدرجـةِ أنـه زرع النسـيان فـي عقولنـا لنعتـاد علـى صـفعات الحيـاة, هـذا مـا يفكـر بـه مـراد حاليـاً وهـو يراقـب دلال التي تبـدل لـه الضـماد مسـاءاً, شـعرَ أخيـراً بأنـه حينمـا تخلـصَ مـن حـب جمانـة , تخلـص مـن شـيءٍ يجـثم علـى نفسـه ويثقـل كاهلـه, لـم يعـد يفكـر فيهـا, لـم يعـد يتـذكر لحظـات الماضـي برفقتها حتى ولو لم تكن له جمانة المشاعر يوماً .

-أتعـرفين أمـراً فعـلاً عنـدما أقابلـك أشـعرُ أنـك كـأمي" نطقهـا مـراد شـارداً فـي وجـه دلال فـأدارت وجههـا ناحيتـه وتبسـمت متسـائلة :لقـد أعـدت هـذه الكلمـة مـرتين منـذ البارحـة ووعـدتني مسـبقاً إن أخرجـوا لـك الرصاصـة سـتخبرني فيما أشبه والدتك.

فأجاب موضحاً وبسمته لم تفارق شفاهه:

-إذاً سـنؤجلها كـذلك لحـين خروجي مـن المستشـفى فيبـدوا أننـا سـنتحدثُ حـديثاً مطـولاً " أحنـت رأسـها بخجـلٍ مـن نظراتـه وتشاغلت بتعقيم الجرح فأردف بهدوء مقاوماً الألم :

-أنتِ فعلاً ملاك الرحمة كما يطلقون عليكِ.

انهـت مـا تفعلـه ونظـرت ناحيتـه بتـوترٍ ثـم لملمـت أشـيائها وهربـت مـن الغرفـة وهـي تـنفضُ عـن رأسـها أفكـاراً غريبـةً جـداً جـراء كلماتـه بينمـا أرجـع بجذعـه الـى الـوراء واضـعاً يـده خلـف رأسـه وزاد شـروده كثيـراً جـداً فقـد بـات يفكـر جـدياً بالموضـوع ولا داعٍ للانتظار أكثر.!

****

ومساءاً بداخل المطار كان أمير يجر حقيبته عائداً إلى أميركا فلم يعد قادراً على تحمل مزاجية والده وانتقامه الأعمى الذي سيدمره لا محالة إن بقي على هذه الحال, لم يكن بعد يعرف أن والده قام بإرسال أحد الرجال لقتل آدم ولم يقم حتى بتوديعه, حجز على أول طائرةٍ و ها هو ذا يستقلها هارباً لربما من نور أكثر من والده, أغمض عينيه باستسلام فرحلته ستكون طويلةً للوصول وأيقن أنه هذه المرة سيغيب طويلاً جداً... وربما لن يعود إلى وطنه فما يحمله من ذكرياتٍ بأرض هذا الوطن لا تستحقُ أن يتذكرها, بل هي كوابيسٌ جاثمةٌ على صدره ولا يريد إلا أن ينفضها عنه ويعيش حياة استقرار فهو قد عرف كل شيء بل وقابل بعض أصدقاء شقيقته ليعرف الحقيقة الكاملة منهم, طيلة تلك السنوات كان والده يزرع بداخل صدره ناراً عمياء كادت أن تحرقه وتدمر مستقبله...

دلف آدم إلى مستودع الألبسة الذي يحتجز به كريم الرجل الذي حاول قتل ادم , انفرجت عيناه لثوانٍ عما حل به وهز رأسه راضياً وفعلاً كما قال كريم....قام بالواجب على أكمل وجه, فذلك الرجل لم يتبقى موضعٌ بجسمه لم يتعرض للكمةٍ من لكمات كريم !. شد آدم شعر رأس الرجل ليرفع

وجهه وقال بحنق : إذن عصام الريس هو من أرسلك أيها الوغد أليس كذلك...

ما يزال الرجلُ صامتاً فحدق كريم وآدم ببعضهما لثوانٍ قبل أن يشير له كريم بأن يتركه : دعك منه يبدو أحد كلابه الأوفياء " ثم رفع الهاتف ليجري اتصالاً هاتفياً ولم تمر بضع دقائق حتى دلف رجال الشرطة لاعتقاله, ربت كريم على كتف آدم قائلاً بإرهاق: يجب أن أذهب لم أنم جيداً منذُ البارحة.

-شكراً لكَ كريم "

-هذا واجبي"حياه ثم خرجا ليستقل كلٌ منهما سيارته ويغادر إلى منزله....ولم يكد آدم يدلف إلى الشقة حتى ارتمت نور على صدره وهتفت به : لقد تأخرت ,أقلقتني جداً " فرفع وجهها بأنامله باسماً قائلاً بحنان : أنا بخير والحمد لله "

-آسفةٌ عما حصل ..أنا صدقاً لم اقصد...." وضع اصبعه على شفاهها هامساً : صفحةٌ وطويتها للأبد, وأنا من سيعتذرُ لكِ عن الصفعة,أقبلُ كل شيْءٍ منكِ إلا أن تصفيني بالخيانة.

عـدة أيـامٍ مـرت و لـم يتصـل فيهـا فهـد, شـعرت عسـل بـالقلق وهـي تـروح وتجـيء بالغرفـة ممسـكةً الهـاتف بـين قبضـتيها, تخجـل مـن الاتصـال وبـذات الوقـت تريـد الاطمئنـان عنـه, ارتمـت بعـدها علـى السـرير وهـي تزفـر بتـردد ولا تعـرف لمـا باتـت تفكـر فيـه كثيـراً فـي الآونـة الأخيـرة, رفعـت الهـاتف مجـدداً ومـا كـادت أن تتصـل بعـدما حسـمت أمرهـا حتـى سـمعت نـداء والـدتها, فنهضـت بسـرعةٍ لتجيـب والـدتها التـي باشـرت منـذُ الصـباح بتنظيـف المنـزل واعـداد أشـهى الأطبـاق فـاليوم سـيعود مراد !

أمـا فهـد فقـد كـان بعـالمٍ آخـر كليـاً, تـوفي والـده صـباح اليـوم , بعـد العـزاء خـرج إلـى الشـرفة ليستنشـق الهـواء فقـد كـان يشـعرُ باختنـاقٍ شـديد, أراد التحـدث مـع أحـد ...بـل مـع عسـل حصـرياً, يريـدُ سـماع صـوتها فـأخرج الهـاتف وقـام بالاتصـال وانتظـر الإجابـة لكنهـا لـم تجبـه فـارتمى علـى الكرسـي بيـأسٍ وقـد دمعـت عينـاه وهـو يسـمع أنـين والدتـه وشـقيقتيه الباكيـة الخافـت الصـادر مـن غـرفهم , المـوتُ بشـعٌ جـداً وعلـى الـرغم مـن أنـه يحوطنـا مـن كـل جانـب...لا نسـتطيع الاعتيـاد عليـه, فمفارقـة من تحب أشد أنواع الألم و أقساها..

تنبهت عسل بعد ساعاتٍ على اتصال فهد لكن الوقت كان قد تأخر جداً لتتصل فيه فقد انشغلت جداً اليوم باستقبال مراد ..

أطل الصباحُ مجدداً فاستيقظت عسل على أشعة الشمس الدافئة التي غمرت جسدها المنكمش على السرير فتحت أهدابها وتمطت قليلاً ثم تأملت طيراً صغيراً كان يقف خلف النافذة فتبسمت بسعادةٍ وتوجهت بهدوءٍ ناحيته لتتأمل شكله وما إن أحس العصفور المسكين عليها حتى طار بعيداً فتأففت بامتعاض وهي تدير وجهها ناحية المرآة وتتمتم : معه حق أشبه فزاعة الحقول بشعري المنكوش !! واستعدت ليومٍ جديدٍ بالمدرسة وبعد عودتها مباشرة قامت بالاتصال بفهد لأكثر من مرة لكنه لم يجب على اتصالها فظنت بأنه يتجاهلها كما فعلت دون قصد, رمت الهاتف بحنق على السرير واستبدلت ملابسها لتشارك عائلتها الغداء والقلقُ قد استبد بها .

****

يومٌ آخر بالشركة كان فيه آدم منشغلاً وغارقاً بمخططاته بينما مراد ورغم تراكم أعماله كان مسترخياً على الكرسي

ورافعـــاً قدميــه علــى الطاولـــة مســـتمتعاً بســـماع اغنيـــةٍ كعادتـــه القديمــــة, دلـــف آدم ليــراه علــى هـــذه الحـــال فمـــط شـــفاهه بامتعـــاض : يـــا لبالـــك الرائـــق يـــا أخـــي , الأعمـــالُ متراكمـــةٌ علينـــا وأنت بدنيا أخرى" !

-أتعـرفُ شـيئاً يـا ابـن خـالتي... لتـذهب أنـتَ والشـركة والأعمـال إلى جهنم"

-جمعـاً إن شـاءالله" قالهـا ضـاحكاً ثـم رمـى الورقـة علـى المكتـب قائلاً : وقع"

تململ مـراد ليصـفقه آدم علـى فخـده : أمـرٌ مسـتعجل وبعـدها أكمل استجمامك "

-هـووف " انـزل قدميـه مـن علـى الطاولـة وقـام بـالتوقيع ثـم رمـى القلم وانتشل جاكيت بذلته مغادراً

-إلى أين ؟؟

-سأسـتجمُ بمكـانٍ لا يقـاطعني فيـه الأطفـال " هـز آدم رأسـه بيـأسٍ ثـم أخـذ الورقـة وخـرج الاثنـان فقالـت السـكرتيرة فـوراً : سيد مراد الاجتماع بعد قليل !!

تطلع مراد بآدم وقال بتأفف: أخبرها حباً بالله"

فرفـــع آدم كتفيـــه قـــائلاً باستســـلام : فلتـــذهبي أنـــتِ والاجتمـــاع والشركة إلى جهنم عزيزتي !

انفرجـــت عينـــا الســـكرتيرة بتعجـــبٍ فقـــال معقبـــاً قبـــل أن يـــدلف مكتبـــه : لقـــد حجـــز لـــي التـــذكرة الســـابقة, أنـــا ســـأقوم بالاجتماع اليوم لا تؤجلي شيئاً. !

تبسـمت وهـي ترتـدُ جالسـةً خلـف مكتبهـا وتمتمـت بهيـام وهـي تراه يدلف مكتبه : ليتك لم تكن متزوجاً"

اســـتقل مـــراد ســـيارته متطلعـــاً علـــى ســـاعته التـــي لـــم تتجـــاوز الثانيـــة ظهـــراً وجلـــس فيهـــا دون أن ينطلـــق ...وذاتـــاً هـــو لا يعـــرف إلـــى أيـــن يـــذهب ! بـــل كـــان يعـــرف لكنـــه مـــا زال متـــردداً وخاصـــةً بأنهـــا حاليـــاً ضـــمن الـــدوام الرســـمي لـــذلك آثـــر الانتظـــار والـــذهاب الـــى أحـــد المطـــاعم لتنـــاول طعـــام الغـــداء , واتـــاه اتصـــالٌ مـــن المحامي الخاص به فأجاب على الفور

-حمـــداً لله علـــى ســـلامتك مـــراد بـــك, بالنســـبة للموضـــوع الـــذي وكلتني به , تصرفتُ أنا وتفاهمتُ معه"

- ممتاز.

-هـــل تريـــدني أن أقنعهـــا برفـــع دعـــوة ضـــده وسنكســـبها حتمـــاً وستحصل على ضعفي المبلغ ؟

-لا ...هـي لا ترغـبُ بـذلك, مـا تحتاجـه فقـط هـو الفـيلا والسـيارة مع أن ذلك أقلُ من حِصتها بكثير"

-حسناً وقد تم ذلك"

****

انتصـف الليـل وكـان كـريم يقـوم بـبعض التمـارين الخفيفـة في الحديقـة حينمـا خرجـت جمانـة وبيـدها كـوبين مـن النسـكافيه الســاخن , جلســت علــى الكرســي ووضــعت الفنــاجين علــى الطاولــة واتكــأت بــذقنها علــى كفيهــا وهــي شــاردةٌ بزوجهــا وابتســامةٌ تســللت علــى شــفاهها ...ولا إراديــاً تــذكرت ماضــيهما ســوياً وأول مــرةٍ خطــت قــدماها أرض هــذه الفــيلا حينمــا أحضـرتها رهـف الـى هنـا, توقـف كـريم عنـدما تنبـه لهـا وجلـس راميــاً المنشــفةَ علــى كتفيــه ثــم نهــض واتجــه ناحيتهــا وارتشــف مــن كوب النسكافيه وقال باسماً : اراكِ تشربينه بلا حليب؟. !

-أشربه كما تفضله أنت"

رمى المنشفة على الكرسي وارتد جالساً عليه قبالتها : سأصابُ بالغرور سيدتي"

-يحقُ لك"

احنى رأسه باسماً ثم نهض فجأةً وسحبها : اذهبي للغرفة ..هناك كيسٌ بخزانتي.

-أي كيس!! والنسكافيه لم أشربه بعد"

سحبها من يدها قائلاً: اشربيه على الطريق" ثم دفعها ناحية الفيلا وخطى للداخل متوجهاً نحو الحمام

دقائقُ مرت كان ينتظرها على أحرِ من الجمر بعدما انهى استحمامه وارتدى بنطالاً أسود وقميصاً قطنياً ذا لونٍ أخضر غامق ,

-اذاً...أأنتَ جاد كل تلك الوريقات والتعليمات أوصلتني إلى هنا !! نطقتها جمانة بانبهار وابتسامة وهي تنظر نحو الركن القصي الخشبي من الحديقة الخلفية حيث قام كريم بتزيين جدران الكوخ بالزهور والقناديل المضيئة, التف ناحيتها متأملاً ذلك الفستان الأسود الذي ينسدلُ على جسدها بكل انسيابية كاشفاً عن جزءٍ يسيرٍ من ظهرها قامت بتخبئته

بوشاحٍ أسود كذلك وتبرجت بشكلٍ خفيفٍ جداً أبرز جمالها طبيعياً

تقدم ناحيتها قائلاٍ بابتسامةٍ عذبة : كل عامٍ وأنتِ حبيبتي",

-ظننتك نسيته.!

-وهل أنسى عيد ميلادك !....سأذكره حتى آخر الزمان " أردف بعد أن أغلق الباب و أزاح الوشاح وألقاه أرضاً : المكانُ هنا معزول

تبسمت بسعادةٍ وهي تتأمل كيف حّول كوخَ البستاني البسيط لهذا الرونق, قال باسماً :أتسمحين لي بهذه الرقصة.

-الآن و....وبلا موسيقى!!

شدها اليه أكثر باسماً : سأكونُ موسيقاكِ والمُطربُ إن أحببتِ " وشدا صوته يغني لها كعادته:

لم يبقى سوى ظل الرأسين الملتصقين
لم يبقى سوانا...
لم يبقى سوى حركات يدينا العاشقتين

مـــن يـــوم تلاقينـــــا فيهـــا صـــارت عينـــاكِ هـــي الـــدنيا
لـــــــم يبقـــــــــى ســــــــوانا يـــــــاعمري
شـــالُ الكشـــمير علـــى كتفيـــكِ يـــرف حديقـــة ريحـــانِ
يـــدكِ الممـــدودة فـــوق يـــدي أعظـــم مـــن كـــل التيجـــانِ
مادامت مملكتي عيناكِ فأني سلطان زمانِ..

انهـى الاغنيـة ثـم ر فـع كفهـا ولثمهـا قبلـة طويلـةً وهمـس : أحبـك جداً ...

-كفاك تخجلني كريم!

-أما زلتِ تخجلين من كلماتي!؟

تبسـمت وأومـأت لـه فقرصـها مـن وجنتهـا...أردف بعـدما اكتسـت الجديـة ملامحـه: وإن كـررتِ ذلـك التصـرف لـن يشـفعَ لـكِ شـيئاً عندي.. سأكسرُ تلك اليد التي قبلتها منذُ لحظات.

تطلعــت فيــه جمانــة بعــدم فهــم ليــردف موضــحاً : عنــدما أمسكتِ كف مراد,

ضـحكت بخفـوت و أجابـت : صـدقني ابـن عمـك الآن بـدنيا أخرى"

-ما قصدك؟

-ألم ترى نظراته لدلال"

-حقاً..أتقصدين أنه ....

-بل متأكدة

-الوغد!! لم يخبرني"

جلس على الكرسي فجلست قبالته: وهو ذاته لم يعترف بعد.. يبدو مشوشاً جداً لكنها تعجبه وأؤكد لك ما هي إلا بضعة أيامٍ أو أسابيع وستسمع خبراً مفرحاً

-أتمنى ذلك "

أردف بعد لحظاتٍ من الصمت:

-احم... هناك شيءٌ آخر

-خيراً؟

عضت على شفاهها بحرجٍ وأجابت : أنا حامل "

****

الفصل الخامس والعشرون

بعد انتهاءه من معاينةِ أحد المرضى عقم يديه مجدداً وغسلهما وتنحى جانبياً ولم تكد اليسا تخلع القفازين الطبيين وتنهي غسل يديها امتدت يده ليلتقط كفها وبحركة مباغتة قام بلف قطعة خيطٍ من خيوط العمليات حول اصبعها وقصها على مقاس الاصبع تساءلت البسا باستغراب : هل لي أن أعرف ما الذي تفعله حاليا. !!

تطلع ناحيتها باسما ثم غمزها وللى مغادراً فصفقت اليسا بكفيها وتمتمت باستغراب : جن الولد. !!

غادر هشام المستشفى مستقلا سيارته وهو يدندن وانطلق فيها بينما ذهبت اليسا لتستريح قليلاً قبل أن تغادر

انتهى ساهر أخيراً من إجراءات بيع المعمل وتم إيداع المبلغ كاملاً في حسابه وقد أيقن أن شقيقته لو رفعت قضية للإرث سيخسر مبلغاً محترماً من ثمن المعمل فاضطر آسفاً للاستسلام أخيراً والرضى بما يملك ولربما سيعود فيما بعد هو وزوجته فعلى الأقل سيكون هنالك منزلٌ يتسعه وعائلته ! لذلك لملم أشياءه وودع اليسا بوجه جامدٍ ثم ولى مغادراً ,

بذريعة أنه تأخر عن زوجته وأولاده مع كمٍ لا بأسَ به من التهديداتِ والوعيد بأنه يراقبها ويراقب تصرفاتها !

-بعون الله يا أخي" نطقتها اليسا بعينين دامعتين وهي تراقب ذهاب ساهر, سقط القناع وانكشفت الحقائق بعد مجيئه لكم كان نسخةً عن والدها بتفكيره وطمعه , قبل انتصاف الليل بقليل صعدت نحو الحمام وتوضأت ثم توجهت لغرفتها صلت صلاة العشاء وجلست على السجادة وهي تذرف دموعها, على الرغم أن علاقتها كانت سيئةً بساهر إلا أنها أحست بمن يؤنس وحدتها...وها قد عادت وحيدةً مجدداً وشعرت بأن هذه الجدران عادت للانطباق عليها بإصرار ,رن هاتفها باسم هشام فنهضت لتجيب بعد أن مسحت دموعها وأجابته محاولةً ألا تظهر له شيئاً لكن بحة صوتها الباكية لا تخفى عليه سألها بقلق: أأنتِ بخير ! صمتت قليلاً وأجابته بعد برهة: سافر ساهر"

-إذن!! هل كلُ شيءٍ بخير يا اليسا ؟

-نعم لا تشغل بالك "

أبعد طبق المعكرونة بعد أن كان قد جلس ليتناوله ثم نهض وارتد على الأريكة متسائلاً : تشعرين بالوحدة أليس كذلك ؟!

-حسناً اعترف لك ...أشعرُ بالوحدة" نظر الى ساعته التي قد تجاوزت منتصف الليل ثم نهض وتناول حاسوبه المحمول وقال باسماً :

-حالياً سأضطر لتبديد وحدتك بالطريقة الحديثة"

-وكيف ستبددها يا ترى هل ستبقى تحادثني عبر الهاتف طيلة الليل!

قهقه مجيباً : بل سأرسلُ لكِ الآن اسم فيلمٍ وسنشاهده سوياً"

-يا لبالك الرائق !

-هل لديكِ اقتراحاً أفضل !!

صمتت قليلاً ثم هزت رأسها باستسلام فهي فعلاً بهذا الوقت تحتاج ما يسليها قليلاً فقال باندفاع...أرسلت لكِ الاسم لنشاهده سوياً فهو فيلمٌ كوميدي جميلٌ جدا!

وفعلا شغلت اليسا الفيلم من حاسوبها و بدآ بمتابعته بذات الوقت وكلٌ منهما في منزله"

****

انتهت أيام العزاء وتتابعت الأيام و كلمات والده الراحل تطرق ذاكرته(والدتك واخوتك بأمانتك) لكم كان هذا الحملُ ثقيلٌ وغالٍ جداً على فهد حتى شعر بأنه شاخ فجأةً, صحيحٌ أنه كان فعلياً من يعتني بهم ووالده مقيمٌ منذ سنواتٍ بالسعودية لكنه شعر هذه اللحظة بالمسئولية..

قام فهد خلال اليوم بالاتصال بعسل لكنها لم تجبه فقد كانت تدرسُ بالحديقةِ في حينها فترك لها رسالةً بأن تحادثه بأي وقت ..وحين أدركت اتصاله ورسالته كان الوقتُ متأخراً فعلاً, استلقت على سريرها وأرسلت رسالة مقتضبة: أأنت مستيقظ !

تنبه فهد على هاتفه الذي أضاء معلناً عن وصول الرسالة وقد كان على وشك النوم, تناول الهاتف ليقرأ رسالتها ثم اعتدل على فراشه واتصل بها فوراً مما أفزعها ليسقط الهاتف على الفراش تناولته بلهفةٍ وأجابت وقد أحست فعلاً

بمدى فاجعته بعدما أخبرها بوفاة والده, كان ينتظر هذه المكالمة ليستطيع التنفس من جديد بل وليثبت لنفسه أن الحياة مستمرة, كان صوتها دافئاً جداً وحنوناً على غير عادتها وكأنها أهدته أجملَ كلمات الحب حينما اختتمت المكالمة ب (اعتني بنفسك يا فهد) اغلق الهاتف وتمنى لو طالت المكالمة أكثر لكنه حالياً لا يملك ما يحكيه, انزلق على السرير وفتح الهاتف مجدداُ وعاد ليتأمل صورتهما التي التقطها أمام فيلا كريم فعرفت الابتسامة طريقاً إلى قلبه وقال هامساً ما كان حتى اللحظة يخفيه عنها (وكيف لكِ أن تسلبي تفكيري بهذا الشكل) تنهد واغلق الهاتف مغمضاً عينيه ليستسلم للنوم فغداً سيكون شاقاً بالنسبة له.

بينما عسل ندت من عينيها دمعةً وشعرت باختناقٍ على الألم الذي يعانيه فهد, خرجت من غرفتها واتجهت مباشرةً لغرفة والديها وطرقت الباب ثم استأذنت لتنام بجانبهما هذا الليلة وشعرت هذه اللحظة كم أنها كانت بحاجةٍ لوالديها فهذه اللحظات قد لا تتكرر بالمستقبل...

وكان أحدهم يعاني من سهادٍ من نوعٍ آخر...كان ساهداً لدرجة أنه استقل سيارته بعد ان تجاوزت الساعة الواحدة

بعـد منتصـف الليـل وتوجـه نحـو المستشـفى بعـدما تهربـت منـه طيلـة أيـام خروجـه مـن المستشـفى وكأنهـا فعـلاً قـد أحسـت بمشـاعره ولا تريـد اللقـاء بـه, كانـت دلال بمناوبـةٍ هـذه الليلـة, تطلع بالمستشفى للحظاتٍ قبل أن يحسم أمره ويدخل...

-دلال هنـاك مـريضٌ بحاجـة لتغييـر الضـمادات, غيريهـا لـه" قالتهـا زميلتهـا بابتسـامةٍ كافحـت لكبتهـا لتجيبهـا دلال وهـي تلملـم المعدات:

-حسناً سأذهب على الفور "

خطـت للـداخل وأغلقـت السـتار حيـث كـان مـراد يجلـس عـاري الجذع فبهتت ملامحها وتمتمت باستغراب : سيد مراد !

-مستغربةٌ من حضوري بهذا الوقت اليس كذلك ؟

-بصراحة مستغربةٌ قليلاً, كيف هو جرحك , هل يؤلمك؟؟

-قليلاً.

-شـقيقتك دكتـورة !" قالتهـا وهـي منشـغلةٌ بتعقـيم الجـرح ومسـحه بهـدوء فأجـاب باسـماً :تقـوم بتعقيمـه لـي لكـن يـدها ثقيلة"

تبسمت بتهكم : نور يدها ثقيلة! أومئ لها مؤكداً وأعقب : اعتدتُ على يدكِ أنتِ "

توقفت يدها لثوان محرجةً من نظراته وتلميحاته وباشرت مجدداً بوضع الضماد ولصقه ,فقال معقباً:

-أنتِ شبه دكتورة ويجب أن تعرفي, هناك أعراضٌ أخرى أشعر بها"

ظهرت الجدية والقلق على ملامحها فقالت على الفور: خيراً بم تشعر؟

أمسك بكفها ليضعها منبسطةً على صدره وأردف بارتباك : عندما ...أشعر بها مباشرةً على قلبي, تتعاظم ضرباته, تعلو وتعلو .. هل لديكِ تفسيرٌلما أعاني منه.

سحبت يدها بارتباكٍ وصدمةٍ منه وقالت بجدية: الأمرُ بسيط.. سأبتعدُ عنك وبهذه الحال تتلاشى الأعراض" نهض حتى صار قبالتها وأردف بثبات - :

على العكس ستزيدين الأمر سوءاً هكذا..وذاتاً أنا لم أطلب علاجاً, طلبتُ تفسيراً فقط "

تراجعت الى الوراء حتى كادت أن تتعثر بالستار فمد يده بسرعةٍ وسحبها : انتبهي"

-ت...تصبح على خير"

قالتها وهي تفتح الستار وتهرب من أمامه فتناول قميصه بابتسامةٍ هادئة وباشر بارتدائه بهدوءٍ شديد فما زال موقع الجرح يؤلمه"

عادت لغرفة التمريض وقد شحب وجهها فارتدت جالسةً على الكرسي وأحنت جذعها للأمام مغطيةً وجهها بيديها وهي تتمتم:

- مستحيل .. لا يعقل ذلك"

-من هو ذلك الباشا الذي طلبكِ بالاسم !؟ قالتها زميلتها بفضولٍ ومكرٍ فهتفت فيها دلال بانزعاج: لا أنقصكِ مريم بحـــــق الله اعتقينـــــي"

تعالت ضحكاتها العابثة وهي تقلد مراد : أريدُ الممرضة دلال لتغييره, ياااه ما أجمله من طلبٍ بعد انتصاف الليل, على الأقل نرى وجهاً جذاباً وءءء" قاطعتها دلال وقد رمت حقيبتها لتتلقفها مريم بين كفيها وتضحك وتفر هاربةً من أمامها"

بينما دلال هندمت قميصها كيفما اتفق ونهضت هذه المرة بوجهٍ حازم لتلحق به كي يكف عن هذه التصرفات المحرجة, هرولت للخارج لكن سيارته كانت قد اختفت, ضربت بقدمها على الأرض بتذمر وعادت مجدداً للعمل.

وبالكاد استطاعت تمضية تلك الساعات المتبقية, استقلت الحافلة المخصصة لنقل الموظفين واتكأت برأسها على الزجاج بشرود حتى تنبهت على صوت السائق : وصلنا يا ابنتي !!" أفاقت من شرودها ثم هبطت من الحافلة وهرولت للداخل تريدُ فقط أن تحظى ببضع ساعاتٍ من النوم بينما يراقبها مراد من على شرفته وهو يشرب من كوب القهوة خاصته ويتنهد بعمق متمتاً بسره : سبحان مغير الأحوال!!

****

وبهذه الاثناء استيقظت عسل من رقادها وتهيأت ليومٍ جديدٍ بالمدرسة, كان فحصُ الثانوية قد اقترب جداً, بضعةُ أيامٍ وستجلسُ بالمنزلِ لتدرس قبل تقديم الامتحانات, كانت قويةً جداً فيما مضى لكنها حالياً لا تعرفُ لما تشعرُ بالقلق والاضطراب, أبسبب الامتحان أم لشيءٍ آخر لم تفهم كنهه بعد !!حتى صديقاتها استغربن من حالة الركود واللطافة للتي

تمـر بهـا, لـم تعتـد تلـك العسـل علـى تمضـية بضـعة أيـامٍ دون ارتفـاع صـوتها أو علـى الأقـل العـراك مـع إحـداهن لكنهـا ومنـذ بضـعة أسـابيع لـم تتعـرض لأحـد بسـوء.... تنبـه الجميـع عليهـا وقـد ايقـن معظمهـم أن اقتـراب الامتحـان هـو السـبب. وحينمـا حـل مسـاء هـذا اليـوم و بعـدما أنهـت جمـع الملخصـات والتوقعـات وافترشـتهم علـى سـجادة غرفتهـا لفـرزهم غرقـت بينهم بدوامـةٍ كبيـرةٍ جـداً, تنهـدت بضـجرٍ وهتفـت بحنـق : هـووووف كـل تلـك الملخصـات والكتـب سأدرسـها بشـهرين فقـط !!

طُـرِقَ البـاب ودلفـت جمانـة ناحيتهـا لتراهـا علـى هـذه الحـال فأطلقت ضحكةً عالية: يا للمسكينة !

لكـن عسـل مـدت لسـانها بشـقاوة وتجـاوزت جمانـة : لـن أمـد يـدي حاليـاً يـا بطـة العائلـة أخـافُ أن تتكعبلـي ببطنـكِ الكبيـر" وركضت وهي تنادي : كروومي حبيبي"

-انـا بطني كبيـر يـاذات اللسـان الطويـل مـا زلـت في الشـهر الثالـث فقــــــــــط !!

-اذن اعترفي انه كرش"

هرولت عسل تجاهه مرحبة به وتعلقت فيه لتطبع قبلةً على ذقنه التي استطالت قليلاً فأجابها : يا قلب كرومي" بينما جمانة عقدت ذراعها على صدرها بتذمر وهي تتوعد لعسل بعقابٍ شنيع وهي أعلى السلم لتراقص لها عسل حاجبيها مزيدةً من إغاظتها : وسامتك تزداد يا فتى !

فقرصها كريم من أذنها معاتباً : كفي يا بنت عن هذه التصرفات لم تعودي صغيرة!

كان آدم ومراد ورضوان يجلسان على الأرائك بينما عبير ترص الأطباق على المائدة برفقة نور فتعلقت بذراعه وسارت برفقته وجلست بينه وبين آدم لتقول بلهجة آمرة : الفحصُ قد اقترب وستساعداني يا عباقرة العائلة"

-ياسلام !!

قهقه مراد وقد رفع يديه: الحمدُ لله لستُ من عباقرة العائلة كي لا أتورط بتدريسك"

-أنتَ ستساعدني بشيٍ آخر يا أخي"

-وما هو إن شاءالله!! سأعد لكِ الشاي والقهوة مثلاً !

-بل ستعلمني قيادة السيارة"

تطلع الجميع فيها باستغراب لتجيب بثقة: سأدخل الجامعة في العام القادم ومن حقي أن يكون لي سيارتي الخاصة, أليس كذلك يا ابي "

-وواثقةٌ من نفسكِ أيضاً!!

-جداً"

كفوا عن هذه الاحاديث الان وليستدعي أحدكم دلال لتشاركنا الطعام" كانت تلك من عبير فتعلقت عينا مراد على والدته وشف ثغره عن ابتسامةٍ لتجيب نور: دعوتها فعلاً قبل قليل وأصررت لكنها رفضت, يبدو أنها متضايقةٌ من شيءٍ ما"

جلست عبير على الكرسي مؤكدة: تنبهتُ عليها فعلا يبدو أن هناك ما يؤرقها لم تعد تزورنا كما كانت تفعل يبدو أنها مُحرجة.

التف الجميع حول مائدة الطعام وباشروا الطعام بينما مراد يقلب بطبقه بانزعاج, أيعقلُ أني أزعجتها !! تساءل بسره ثم أزاح الكرسي وغادر : عن اذنكم لقد شبعت " نظر له

الجميــع مســـتغربين وتمتمـــت عبيـــر : لـــم يأكـــل شـــيئاً !! بينمـــا تطلعـــت جمانـــة ب نـــور بنظـــرةٍ فهمـــت مغزاهـــا جيـــداً... هنـــاك شيءٌ بينهما حتماً "

****

عـــدةُ أيـــامٍ لـــم يكـــن يلمـــح ظلهـــا فيه....اشـــتاق لرؤيتهـــا فعـــلاً وأحـــس بمعنـــى وجودهـــا بحياتـــه, ليســـت بـــأنثى عـــابرة ولـــن يســـتطيع التغاضـــي عنهـــا! اتصـــل بهـــا وقـــد قـــرر ان يبـــوح بكـــل مـــا يعتمـــر بصـــدره بشـــكلٍ جـــدي لكنهـــا تملصـــت مـــن دعوتـــه كمـــا العـــادة: آسفةٌ جداً اليوم أنا مشغولة"

وهـــذه ذريعتهـــا فـــي كـــلِ مـــرةٍ يتصـــل بهـــا ولا يســـتطيعُ حتمـــاً أن يطـــرق بابهـــا لـــيلاً كـــي يحادثهـــا, لـــيس بـــالأمر الســـهل والبســـيط , وبـــذات الوقـــت وبـــداخل المستشـــفى كانـــت اليســـا كغيرهـــا مـــن الأطبـــاء باجتمـــاعٍ لدراســـة الحـــالات الوافـــدة الـــى المستشـــفى وطريقـــة علاجهـــا ...تنحـــنح هشـــام قـــائلاً بصـــوتٍ عـــالٍ : اعيرونـــي انتبـــاهكم للحظـــاتٍ رجـــاءاً, تطلـــع الجميـــع ومـــن بينـــهم اليســـا وجـــل ظنهـــا أنـــه يريـــدُ الحـــديث بصـــلب الموضـــوع الـــذي كـــان الأطبـــاء يتناقشـــون فيه قبل قليل...

-هـذه اللحظـات التـي قضـيتها هنـا بيـنكم...لا تنسـى, تألمنـا معـاً وضـحكنا معـاً وكنـتم عـائلتي الثانيـة, تضـاعفت خبراتـي فيمـا بيـنكم.. وكـل ذلـك كـان متوقعـاً حتمـاً, لكـن الشـيء الـذي لـم أكـن أتوقعـه...هو أن أعـيش الحـب هنـا" تعالـت الهمهمـات فيمـا بيـنهم وهشـام يمشـي بهـدوء ناحيـة اليسـا التـي تشـعر بالاسـتغراب والارتبـاك مـن حديثـه وأردف وهـو ينظـر ناحيتهـا: عرفـتُ الحب..بجنونـه وسـكونه, قـرأتُ ذاتَ مـرةٍ مقالـةً تقـول: مـن يحـب ..يحـب إلـى الأبـد, مـن جـن بالحـب فهـو عاقـل ومـن جـن بغيـره فهـو مجنـون... وانـا أصـابني هـذا الجنـون, أصـابني لدرجـةٍ لا أسـتطيع فيهـا البـوح والاعتـراف فمهمـا بلغـت روعـة الكلام...لـن تصـف شـعوري حاليـاً وأنـا أنظـر إليهـا وكـأنني أنظرُ إلى مرآتي"

دمعـت عيناهـا وهـو غـارق بعينيهـا لدرجـة أنـه نسـي الأطبـاء مـن حولـه والـذين يراقبانهمـا بابتسـاماتٍ واسـعة بـل وتجمعـت بعـض الممرضـات أمـام البـاب ومـن بيـنهن تقـف دلال وقـد تجمـد الـدمع بمقلتيهـا... قـال معقبـاً وهـو يركـع أمـام اليسـا ويمـد الخـاتم تجاههـا : أريـدُ أن أعـيش مـا تبقـى لـي فـي هـذه الحيـاة برفقتك, أتقبلين بي زوجاً دكتورة اليسا"

وكـأن الكـون قـد كـف عـن الـدوران حولهمـا, تمسـكت بيـديها بالكرسـي بصـدمةٍ أعجزتهـا عـن النطـق فعليـاً وهـي تشـعر بنظـرات الجميـع تخترقانهمـا اختراقـاً, بينمـا عينيـه يتراقصـان ومـا زال منتظـراً الاسـتجابة التـي أحـس بأنهـا قـد طالـت دهـراً كـاملاً, نهضـت مـن مكانهـا بعـدما ربتـت بعـد زميلاتهـا علـى كتفيهـا بتشـجيع فأومـأت لـه وقـد حـررت دمـوع عينيهـا وقالـت تهمـس: نعم"

مـد يـده ناحيتهـا وألبسـها الخـاتم فصـفق الجميـع مـن حولهمـا همست بخجل : أنت مجنون, مجنون"

أجاب باستسلام : عرفت ذلك للتو!

انسـحبت دلال مـن غرفـة الاجتماعـات متفاديـة التجمهـر الـذي حصـل وهـي تكـافح سـيل دموعهـا وهـي تـردد بصـوتٍ مهـزوز : مباركٌ لهما...مبارك.. لن أضعف, لن تبكي يا دلال بعد الآن"

كـان مـراد قـد وصـل لتـوه مـن المنـزل وهـي تسـبقه بعـدة خطـوات, وقبل أن تتوارى داخل الملحق أسرع ناحيتها منادياً : دلال"

توقفت وصدرها يعلو ويهبط وقامت بمسح ما تبقى من دموعها بعصبية واستدارت ناحيته ليقف قبالتها بقلق: أأنتِ بخير؟

رفعت نظراتها ناحيته وأجابت بثقة: نعم "

-متأكدةٌ أنتِ؟

-اسمع سيد مراد, أنا مرهقةٌ جداً وبحاجةٍ إلى النوم, عن اذنك" وانسحبت من أمامه لكنه بهذ اللحظة يريدُ الاعتراف ولن يدعها تهرب كما العادة, دلفت لمنزلها فوضع حذائه قبل أن تغلق الباب وقال بجدية : يجبُ أن نتحدث رجاءاً"

-وأخبرتك أني متعبة ...متعبة ألا تفهم"

تعانقت نظراتهما لوهلةٍ ولم تشعر دلال بدموعها التي انسابت بغزارة فقال بتردد: ما بكِ دلال؟ أخبريني"

تراجعت خطوتين للوراء وكاد أن يتخطى الباب لسحبها للخارج لكنها دفعته بعنفٍ على صدره ليرتد إلى الوراء وصاحت به : إياك أن تتخطى عتبة هذا الباب أتفهم, إياك " أمسك أعلى صدره بألم فقد لطمته على مكان الجرح " اعتصر قبضة يده بغضبٍ عارم وارتد يهبط درجات السلم

وسمعت بعدها صفق الباب بينما هي انزلقت على الأرض وهي تغطي فمها بيديها كي تمنع نفسها من البكاء أو الصراخ قهراً على ما شهدته اليوم في المستشفى "

****

الفصل السادس والعشرون

أهلاً أخي أتيت!! قالتها عسل بمرح لكن مراد تجاهلها وخطى ناحية غرفته ليصفق الباب خلفه بغضب لتفاجئ عسل من تصرفه لكنها انشغلت بمساعدة عبير لتحضير العشاء, جلس على فراشه وهو يضغط بيده مكان الجرح حانقاً من كونها قد فهمته بشكلٍ خاطئ ولم تعطه حتى مجالاً للتفاهم متألماً من جراحه, خلع قميصه عندما استبان ظهور القليل من الدماء ودلف للحمام ليمسحها بهدوء بيديه ولم يفهم سبب ثورتها الغير مبرر فلم يفعل شيئاً !, طرقت عسل الباب ودلفت للداخل تناديه : أخي العشاء جاهز.

-لا أريد"

_لكن أخي!! أنت بخير؟

عسل قلت اخرجي " صرخ بها مراد وصفق باب الحمام بعنفٍ ليرتج الزجاج فانصاعت عسل على مضض وهرولت للأسفل

وبعيداً عن فيلا المنصور كانت اليسا بعالمٍ آخر كلياً وكأن الزمان أخيراً قد تبسم لها أخيراً, خرجت برفقة هشام الذي

كانــت ضــربات قلبــه تعلــن تمردهــا وهــي بجانبــه يتمشــيان بحديقــة المستشــفى , كــان البــدرُ شــامخٌ وحولــه تتــألقُ النجــوم وكأنــه تلمــعُ خصيصــاً لهمــا, قالــت ضــاحكة : خطوبــةٌ فــي مستشفى يا مجنون! كم تمرنت على ذلك !؟

تبسـم مجيبـاً وهـو يمسـك بيـدها ليجلسـا علـى الكرسـي: طـرأت لـي بغتـةً بعـدما شـعرتُ بالملـل بالمحاضـرة فقـررتُ أن أرحـم نفسي والأطباء"

-أها!! والخاتم ؟.

حـك أرنبـة أنفـه مجيبـاً بقلـة حيلـة : كنـتُ مُقـرراً أن أتقـدمَ لـكِ الليلـة رسـمياً بعـد وجبـة عشـاءٍ فـاخر ادخـرتُ تكلفتهـا لشـهر, لكـنهم ألقـوا بمقرراتـي عـرض الحـائط بعـدما أعلنـوا عـن ذلـك الاجتماع المفاجئ !

تعالــت قهقهاتهــا وهــي تــنهض وتســحبه : وبــذلكَ وفــرتُ عليــكَ بضعة آلالف ...هيا الواجبُ ينادينا"

اليســا مهــلاً .... ناداهــا لتفــاجئ بتعبيراتــه الجديــة وهــو يســأل : ألم أخبركِ شيئاً الليلة !

-خيراً ؟

اقترب هامساً بمكر: تبدين كالقمر"

-يا لبالك الرائق!!

****

كانت الليلةُ طويلةٌ جداً بالنسبة للجميع وكلٌ منهم منشغل البال باتجاهٍ مختلفٍ عن الآخر,بعدما اعتكف مراد بغرفته ولم يخرج حتى بعد انتصاف الليل, دلفت عبير للاطمئنان عنه وقد ايقنت أنه منزعجٌ من شيءٍ ما وما إن دلفت حتى لاحظت تلك الدماء التي لوثت قميص مراد المرمي على الكرسي بإهمال فهتفت فيه وهي تخرج إلى الشرفة وتديره إليها: ما هذا مراد... ما الذي جرى!

-لا شيء مهم, لا تشغلي بالك "

-مراد إن جرحك عاد ينزف أرني إياه بالحال " صاحت به وهي ترمي القميص مجدداً على الأرض وتكشف عن صدره الذي غطاه بقطعة شاشٍ أزاحتها وتمتمت : يجب أن يتم تعقيمه حالاً " أمي ...اخبرتك أني بخير لا تضخمي الموضوع ! قالها وهو ينزل قميصه مجدداً حدجته بغضبٍ وخرجت من غرفته لتجري اتصالاً بآخر من

يريد مراد رؤيته حالياً ... رن هاتف دلال وهي تجلس على السرير تكفكف آخر دموعها, تنبهت على اتصال عبير التي حادثتها بهفة : انزلي حالاً يا ابنتي أحتاجك"

نهضت بسرعةٍ بعدما شعرت بالقلق من طريقة حديث عبير ولفت الشال لتغطية شعرها وهرولت للأسفل حيث فتحت لها عبير الباب من فورها وقالت بلهفة : جرحُ مراد عاد ينزف ...لا أعرف القي عليه نظرة أخاف أن تكون الخياطة قد تأذت "

توقفت للحظاتٍ وقد تذكرت بأنها من قامت بلطمه على صدره, بان الانزعاج على وجهها وقد شعرت بالحرج مما أقدمت على فعله وتبعت عبير حتى دلفتا لغرفة مراد وكان مستلقٍ على سريره يعبث بهاتفه بضجر حتى نهض من فوره عندما دفعت عبير الباب ليقف وقد تدلى فكه ببلاهة ! بان الانزعاج على وجهه وقال مغتاظاً : ألم أخبرك أنه أمرٌ بسيط أمي, ما الداعي لإزعاجها بهذا الوقت!!

-اصمت واخلع قميصك " قالتها عبير بحدة لينصاع لها على مضض وهو يجز على أسنانه بغيظ بينما تقدمت دلال بخجلٍ مما أقدمت على فعله وقامت بفك الشاش وقالت :

أحتـاج حقيبـة الإسـعافات والقليـل مـن المـاء الـدافئ بعـد اذنـك خالتي.

انصـاعت لهـا وذهبـت لإحضـارهم بينمـا رجـع مـراد وجلـس وارتـد جالسـاً علـى الكرسـي فجلسـت قبالتـه وبـدأت بمسـح الجـرح بعـدما بللـت القطـن بالمـاء الـذي أحضـرته عبيـر, تطلعـت ناحيتهـا عبيـر فقالـت تطمأنهـا : لا تقلقـي خـالتي لـم تفـك الخياطـة كمـا ظننتِ يبدو أنه حرك يده بطريقةٍ خاطئة"

-نعـم لطمـتُ نفسـي بالخطـأ !! قالهـا سـاخراً وهـو ينظـر لـدلال التـي انكمشـت علـى نفسـها بخجـل فتنهـدت عبيـر بارتيـاح : الحمـد لله... سـأذهب لإعـداد القهـوة, لقـد تلفـت أعصـابي فعـلاً "

راقبهـا حتـى اختفـت مـن أمـام البـاب ثـم تغيـرت نظرتـه للحـدة و قال بمكر : لطمتني على عتبة بابك...والآن أنتِ بغرفتي !

توسـعت حـدقتيها بغضـب وضـغطت علـى مكـان الجـرح ليتـأوه بـألم وأجابـت : كنـتُ سـأعتذرُ عمـا بـدر مني اليـوم لكنـك فعـلاً لا تستحقُ الاعتذار"

زم شـــفاهه بحنـــق ثـــم قـــال ســـاخطاً : تعـــرفين أنـــي لـــم أكـــن سأدخل"

-مـــا أعرفـــه فقـــط...أن صـــعودك ورائـــي كـــان خاطئـــاً ...وجـــداً, عـــن اذنك.

وولـــت مغـــادرة فتنهـــد باســـماً وهـــو يتمـــتم : ومـــن قـــال بـــأني لا أحـــبُ ارتكاب الأخطاء !!

****

مســـاء الليلـــة التاليـــة كـــان الجميـــع مجتمعـــين علـــى طاولـــة العشـــاء بعـــدما دعـــتهم عبيـــر كعادتهـــا نهايـــة كـــل أســـبوع, انتهـــى مـــراد مـــن تنـــاول عشـــاءه بعـــدما اكتفـــى بلقيمـــاتٍ قليلـــة وخـــرج الـــى الحديقـــة هـــو يحـــك شـــعر رأســـه بعصـــبية والأفكـــار تـــتلاطم بعقلـــه بســـبب دلال التـــي فـــي كـــل مـــرةٍ تصـــده بطريقـــةٍ عجيبـــة .. أيعقـــل بأنهـــا لا تـــأمن لـــي! هـــل وهـــل ومئـــات الاحتمـــالات تعاظمـــت برأســـه حتـــى كـــاد أن ينفجـــر مـــن كثـــرة التفكيـــر, ومـــا هـــي إلا دقـــائق معـــدودات حتـــى كانـــت دلال قـــد خرجـــت مـــن بـــاب الفـــيلا بعـــدما أخبـــرت الجميـــع بقرارهـــا(شـــكراً علـــى استضـــافتكم الطيبـــة, اســـتأجرتُ منـــزلاً قريبـــاً مـــن المستشـــفى) شـــعرت الفتيـــات بـــالحزن

على رحيلها وسألتها عبير بجدية إن كان أحدٌ منهم قد أزعجها فقالت بامتنان : على العكس كنتمُ كعائلتي فعلاً, لكني أخبرتكم سابقاً أن مكوثي هنا فترةٌ مؤقتة لحين عثوري على منزل, شكراً لكم على كل شيء"

جرت ورائها الحقيبة بينما خرجت الفتات لتوديعها خارج المنزل, كان مراد ينظر لها بغضبٍ ممزوجٍ بخجل وهي تغادر المكان بسببه حتماً, لا تريدني وهذا واضحٌ جداً في تصرفاتها" فكر بذلك وهي تمر من أمامه وتقول ببساطة : أراكَ على خير سيد مراد" ببساطةٍ نطقتها وكأن اعترافه لها لم يهمها بشيء, أومئ لها بجفاءٍ واضح وأجاب : مع السلامة.

فهتفت فيه عبير من بعيد : أوصلها بني أستتركها تذهب بمفردها!؟

ولم يترك له أحد الرجال مجالاً فكل من جمانة ونور قامت بسحب زوجها للداخل كي لا يتطوع لتوصيلها فشد على قبضته بتوتر وسحب الحقيبة من يدها : تفضلي"

-لا داع لذلك سأذهب بمفردي"

-لـن تـذهبي بمفـردك بهـذا الوقـت " قالهـا وهـو يجـر الحقيبـة معلنـاً انتهـاء الحـديث فانصـاعت لـه وتبعتـه حتـى اسـتقلت السـيارة بجانبـه وهـي تتحاشـى أن تلتقـي عينيهمـا وأملتـه العنـوان ...لكـن مـراد لـيس مـن النـوع الخجـول حتمـاً ولـيس مـن المتلاعبـين مـا يريـد أن يقـول يرميـه ببسـاطة, أوقـف السـيارة بعد مسير عدة دقائق وسأل : تهربين مني أليس كذلك ؟

تلاعبـت دلال بـأطراف أصـابعها ثـم أجابتـه ببسـاطة : لا دخـل لك, كنتُ سأنتقلُ بكافة الأحوال"

-والآن تحديداً قررتِ الانتقال؟

هزت رأسها نفياً وأجابت بثقة: بل لأنني وجدتُ منزلاً مناسباً"

شغل السيارة مجدداً وهز رأسه : حسناً بالتوفيقِ لكِ"

****

خطـت الفتيـات للـداخل وانـزوين بغرفـة نـور السـابقة وهـن يتحـادثن بشـأن مـا جـرى وقـررن التصـرف بأقصـى سـرعة دخلـت عبيـر علـيهم لتتطلـع بتعجـب ثـم هتفـت بهـن : ماشـاء الله تبـدين كالسـاحرات الـثلاث !! تعالـت ضـحكات الفتيـات

وخـرجن الواحـدة تلـو الأخـرى أمـام عبيـر وهـي تهـز رأسـها وقـد عرفت بأنهن يخططن لشيءٍ ما لكنها لا تعرف اصل الحكاية!!

هبطـت دلال مـن السـيارة وقـد حيـت مـراد الـذي رد لهـا التحيـة باقتضـابٍ مـن شـدة انزعاجـه ومـا كـدت تـدلف البنـاء القـديم حتـى انطلـق بسـيارته مسـرعاً مخلفـاً غبـاراً خانقـاً فتمتمـت دلال : هكـذا أفضـل حتمـاً " ثـم دلفـت للشـقة التـي اسـتأجرتها برفقـة احـدى ممرضـات المستشـفى, خلعـت حجابهـا وارتمـت علـى الاريكـة وتنهـدت بعمـق فزميلتهـا لـم تحضـر بعـد ويبـدو عليهـا الآن أن تقوم بتوضيب أغراضها بهذه الشقة المتواضعة....

انـزوت عسـل عـن الأعـين حينمـا رن هاتفهـا باسـم فهـد لتكـتم الصـوت وتـركض مسـرعةً ناحيـة غرفتهـا وتجيبـه علـى الفـور وتكلمـا كمـا العـادة لـدقيقتين لا أكثـر كـان يطمـأن فيهمـا علـى عسـل فـي كـل يـومٍ تقريبـاً وينصـحها بالاهتمـام بالدراسـة ...علـى الـرغم مـن قصـر المكالمـة إلا انهـا كانـت تـبهج عسـل وتقلـب مزاجهـا لسـعادةٍ غريبـةٍ تتسلسـل لفؤادهـا وشـعوراً لـم تختبـره سابقاً.

****

الفصل السابع والعشرون

خطت اليسا لداخل فيلا المنصور بعد ترددٍ بليغ , كانت عبير تحتسي الشاي برفقة رضوان بالصالة وما إن لمحاها تقترب حتى تسللت ابتسامٌ عذبةٌ لشفاههما, قابلاها بحبورٍ كما العادة وجلست وعيناها تبوحان بالكثير , لم تتغير هذه الفيلا طوال هذه السنوات, وكأنها فعلاً تركتها بالأمس, ولم يتغير رضوان أو عبير بقلبهما الكبير ومساندتهما, كانت عسل منشغلةً بدارستها أما مراد فلم يحضر بعد من الشركة, تنحنحت اليسا أخيراً بعد عدة مواضيع دارت بينهما لتقول بخجل : تعرفُ يا عمي مقدار الاحترام والحب الذي أكنه لك ولماما عبير, بعد وفاة والدي لم يتبق لي أحد , أحتاجُ مساعدتكما بشيءٍ ما وأتمنى ألا تردااني خائبة"

تبسم رضوان وقال بصدق : وانتِ كذلك تعرفين مقدار الحب الذي نكنه لك يا بنيتي ..منذُ سنواتٍ وحين انتقلتِ لمنزلنا أخبرتك أنكِ أصبحتِ جزءاً من هذه العائلة, وحتى بعد كل تلك الأحداث التي طرأت لن يتغير شيء, ستبقين ابنتي, ك نور وعسل تماماً"

ربتت عبير على فخذه وأردفت مؤيدةً كلام زوجها : أنتِ بمنزلِ عائلتكِ يا اليسا اطلبي ما تشائين ونحنُ بالخدمة"

التمعت عيناها بدموع فرحٍ وقالت بخجل: لا أعرف إن كان سأطلبه مناسبٌ لكما أو لا, لكن, إن...إن, والدة الدكتور هشام تريدُ مقابلة أحدٍ من أهلي...إنه تقدم لي للزواج.

تطلع عبير ورضوان لبعضهما يحاولان استيعاب ما تنطقه اليسا بخجل ولعثمة وهما يشعران بالحزن عليها... أردفت تحادثهما بأسف : وساهر.. لن يقبل به , تحدثتُ معه سابقاً لكنه يراه غير مناسب لأنه ليس من عائلة معروفة أو ثري ! لن يعود لأجل هذا الموضوع, لكن هشام فعلاً رجلٌ مُحترم وخلوق"

شعرت عبير بالألم للحظاتٍ وهي تتبادل مع رضوان النظرات...فكيف لهما أن يزوجا زوجة ابنهما السابقة إنه أمرٌ صعبٌ جداً ومربكٌ لهما لكنها حالياً وحيدةٌ وتحتاجُ من يساندها !! ران الصمتُ على الجميع فنهضت اليسا بعدما تفاقم خجلها لتقول بسرعة : -اسفةٌ جداً...أعرفُ أن مطلبي غبي"

نهض رضوان بدوره مجيباً: على العكس يا ابنتي, ليسَ مطلباً غبياً, اجلسي رجاءًا"

صمت رضوان للحظاتٍ ثم تابع: ومن قال بأن الثراء والنفوذ أهمُ من الأخلاق, لا أعرفُ صراحةً كيف يفكرُ أخوكِ لكن... لكلٍ منا آرائه , المهم يا اليسا نحنُ نصاهر رجلاً يُعتمد عليه, ليصونكِ ويرعاكِ...وأنا أعرفُ دكتور هشام, وأعرفُ أخلاقه, حددي له موعداً وإن شاء الله لن تكوني سوى راضية"

تسللت ابتسامةٌ صافية لشفاهها وهرولت تجاه رضوان وقبلت كفه بامتنانٍ شديد فمسح على شعرها بحنان ابوي ..

-الله الله...ما سرُ هذا الاجتماع اللطيف!؟ قالها مراد وهو يدخل من باب الصالة لتعتدل اليسا بينما تطلعت عبير بابنها بارتباكٍ ووجل خوفاً من أن ينزعج , قال رضوان بثبات: ستتزوجُ اليسا , الن تباركَ لها"

ربما قالها رضوان ليثبت لمراد أنه أضاع من بين يديه جوهرةً ثمينة, تبسم مراد بتكلف وأجاب : ألفُ مبارك اليسا, عن اذنكم, سأستبدل ملابسي" ثم صعد درجات السلم ودلف غرفته مغلقاً الباب ليرتد جالساً على سريره وابتسامةٌ خانقة

تتسـلل لحنجرتـه, وكمـا أخبرتـه عبيـر سـابقاً (هـا قـد ذبلـت زهرتـك بنـي) والآن وبسـبب هشـام عـادت تلـك الزهـرةُ لرونقهـا, لكم شعر وما يزال بالحنقِ من نفسه"

-اسـتغفر الله العظـيم" نطقهـا مـراراً ثـم قـام باسـتبدال ملابسه..

****

طرقـت اليسـا البـاب لتفـاجئ دلال بقـدومها, افسـحت لهـا المجـال وهـي تقـول بابتسـامةٍ باهتـة : أهـلاً اليسـا تفضـلي " خطـت اليسـا وهـي تقـول بعتـاب : أخبرونـي أنـكِ مريضـة لـذلك لا تداومين بالمستشفى, أأنتِ بخير!!!

-مجردُ زكام لا تشغلي بالك"

جلسـت اليسـا علـى الأريكـة ثـم قالـت بأسـف: وهاتفـكِ مابـه؟ لقد أقلقتني جداً!!

-إنه معطل...سأصلحه لاحقاً"

-ولمـا تركـتِ منـزلَ عمـي رضـوان يـا دلال...عانيـتُ جـداً حتـى استدليتُ على منزلك بداخل هذه الحارة !

لاحــت ابتســامةٌ ســاخرةٌ علــى شــفاهها وأجابــت بــلا روح : مــا كــان لــكِ لتتعبــي نفســكِ بالمجيء,هــذه الحــارت العتيقــة هــي مكــاني الذي نشأتُ فيه, أنا أنتمي لهذا المكان"

-آســفة دلال لــم أقصــد ذلــك....لكن" صــمتت اليســا قليلــة وأردفت بأسف :لما غادرتِ؟

-لا تتأســفي اليســا أقــدرِ أنــكِ لا تعــرفين التحــرك بهــذه الحــارات, مــا الــذنب ذنبــك, كــان يجــبُ أن أغــادر قبــل أن يصــبح وجــودي ثقــيلاً علــيهم, ومهمــا قــدمت لــي تلــك العائلــة, ســيأتي اليــوم الــذي سأشقُ طريقي فيه بعيداً عنهم"

-ووالدك, ما أخباره "

ضحكت دلال مجيبة: تزوج عروسه أخيراً , يجددُ شبابه"

-مــا بــكِ دلال تبــدين متعبــةً جــداً, أخبرينــي؟ تســاءلت اليســا وهــي تتفــرس بوجــه دلال الشــاحب, أشــاحت دلال بوجههــا ثــم نهضــت لتقــف أمــام النافــذة وفتحتهــا لتهــب ريــحٌ قويــةٌ فــتلطم وجههــا لعلهــا تســتفيق مــن هــذا الحلــمُ الــذي أوهمــت نفســها فيــه منــذُ رأت هشــام لأول مــرة, اســتدارت مجــدداً ناحيــة اليســا بابتســامةٍ شــاحبة : أتعلمين....هنــاك أوقــاتٌ تمــرُ بنــا, نشــعر فيهــا

باليأس, بالضياع, بالتشتت, لكننا حتماً سنعاود النهوض من جديد, حالياً أنا ..أمرُ بهذه المرحلة , كالشرنقةِ تكونُ محاطةٌ بلفافتها الخانقة...وحينما يحين الوقت, ستتحولُ إلى فراشةٍ وتحلقُ عالياً بحرية.

نهضت اليسا بدورها وشدت على ساعد دلال : أعرفُ هذا الشعور...أعرفه حقَ المعرفة " تبادلت الفتاتان نظراتٍ قليلة قبل أن تسارع دلال لتعانق اليسا وتسمح لنفسها بالبكاء وهي تهمس بصوتٍ متحشرج: مباركٌ لكِ...مباركٌ يا صديقتي"

أبعدتها اليسا قليلاً لتتساءل بقلق: ما الذي يحزنكِ أخبريني؟

مسحت دلال دموعها ثم قالت ممازحة: ستتزوجين رجلاً وسيماً وما زلتُ أنا بلا حبيب " ثم تعالت ضحكاتها أكثر لتقاوم دموعها ودعتها لتجلس مجدداً لتقول بالذهاب لتحضير القهوة هرباً من الإجابة"

وبهذه الاثناء قام هشام بالاتصال بإليسا فأجابته بأنها حالياً بزيارةٍ لدلال, قال معاتباً بعدما حدثته بما قامت به : لا أعلمُ حقاً ما حاجتكِ لوجودِ رضوان, سأشرحُ الموضوع لوالدتي وهي ستتفهم وضعك؟

أجابـــت اليســـا بنفـــي : أخبرتنـــي أن عمـــكَ سيحضـــرُ أيضـــاً, أســـيكونُ مـــن اللائـــق أن أســـتقبلكم بمفـــردي يـــا هشـــام, ألـــن يســـألوا عـــن أخـــي! عـــن أقـــاربي الـــذين لـــم يعـــودوا يعترفـــوا بـــي بسبب مشاكلهم مع والدي رحمه الله"

-أنا معكِ لكنه والد زوجكِ السابق أتفهمين معنى ذلك!!

-قبـــل ان يكـــون والـــد زوجـــي, هـــو صـــديق أبـــي واعتبـــره كوالـــدي رحمـــه الله تمامـــاً, الأصـــول تقتضـــي أن أخـــرجُ مـــن منزلـــي معـــززةً مُكرمـــة كـــي تحترمنـــي عائلتـــكَ بالمســـتقبل ولا أكـــونُ رخيصـــةً بنظرهم"

صـــمت هشـــام قلـــيلاً ثـــم أجـــاب باســـماً: وأنـــتِ معـــززةً مكرمـــة, وإن رغبتِ سأجلبُ لكِ جاهةً من كبار رجالِ البلد"

****

وكمـــا هـــو مقـــررٌ بعـــد عـــدة أيـــام, اجتمـــع هشـــام وعائلتـــه بمنـــزل اليســـا وكـــان قـــد حضـــر رضـــوان وزوجتـــه بـــل وكـــريم وجمانـــة ونـــور وآدم, كـــان جـــواً حميميـــاً اجتمعـــت فيـــه العـــائلتين علـــى الـــرغم مـــن التخـــوف الـــذي قـــبض صـــدرها لوالـــدة هشـــام كـــون عروســـه المســـتقبلة مـــن أســـرةٍ ثريـــةٍ جـــداً وهـــم أســـرةٌ متوســـطة الـــدخل,

وزال هــذا التــوترُ بعــدما التمســت تواضــعهم و دماثــة أخلاقهــم, كانــت اليســا صــريحةً جــداً حينمــا اخبــرت والــدة هشــام بالحــادث الــذي تعرضــت لــه اســرتها, وبــأن شــقيقها ســاهر يعتــذرُ عــن الحضــور بســبب مشــاكل فــي عملــه, لكــن رضــوان بمثابــة والــدها, تألقــت اليســا جــداً وازدادت رونقــاً واحترامــاً بالنســبة لهشــام وأدركَ كــم كــان اختيــاره صــحيحاً وكــم كــان تشــبثها بمجــيء رضــوان وعائلتــه صــائباً , وتــم تحديــد موعــد الخطوبــة فــالطرفين متفــاهمين ولا داعِ للتأجيــل كثيراً...هــذه اللحظــة واليســا تنظــر لوجــوه الجميــع شــعرت بمــا عنتــه دلال حرفيــاً عنــدما اخبرتهــا انهــا كالشــرنقة وســيأتي اليــوم الــذي تحلــقُ فيــه كفراشــةٍ بحريــة, كانــت اليســا حاليــاً تحلــقُ بســعادةٍ جمــة وهــي ضــمن اســرةٍ مُحبــة وصــادقة, تنبهــت جمانــة لتلــك الدمعــة التــي تســللت بلطــفٍ علــى وجنــة اليســا فربتــت علــى كفهــا التــي تتشــبث بالأريكــة وبادلتهــا ابتســامةً صــافية, تطلعــت ناحيتهــا اليســا وأومأت بامتنان,

****

وكعقــارب الســاعة التــي تعــدو بــلا انقطــاع, تعاقبــت الأيــام حتــى اســتيقظت عســل صــباح أحــد الأيــام وتجهــزت للتقــدم إلــى فحــص الثانويــة العامــة وكأنــه حــدثٌ جلــل ليتكــاتف جميــع أفــراد العائلــة لمســاعدتها, فنصــيحةٌ مــن آدم وتشــجيعٌ مــن مــراد ودرسٌ لمراجعــة المعلومــات مــن كــريم, حتــى نــور وجمانــة كانتــا برفقتهــا طيلــة تلــك الأيام...ويبــدو أنهــم يشــعرون بــالتوتر حتــى أكثــر مــن عســل التــي صــلت ركعتــين لله تعــالى لتهــدئ نفســها قبــل التقــدم للامتحــان كمــا نصــحتها دلال, لكــن مــا كــان يشــغل بالهــا ويؤرقهــا أن فهــد لــم يتصــل فيهــا منــذُ أســبوع وأكثــر, شــعرت بلهفــةٍ شــديدةٍ لمكالماتــه وتمنــت صــباحاً علــى الأقــل لــو يرســل إليهــا حتــى رســالةً قصــيرة لتشــجيعها ويقــدم لهــا نصــائحه كمــا هــي العــادة ! أغلقــت هاتفهــا ووضــعته تحــت الوســادة قبــل أن تنطلق في طريقها الى المركز الامتحاني

وتوالــت أيــامُ الامتحــان حتــى جــاء آخــرُ يــوم بامتحاناتهــا, خرجــت مــن بوابــة المركــز الامتحــاني وكــادت أن تقطــع الشــارع للجهــة المقابلــة برفقــة زميلاتهــا حتــى انطلــق بــوق أحــد الســيارات, تنبهــت عليهــا ونظــرت للخلــف لتــراه يترجــل مــن الســيارة بابتســامته الواســعة, بغمازتيــه الغــائرتين اللتــين بالكــاد يتضــحان مــن ذقنــه التــي اســتطالت قلــيلاً عــن الســابق, بنظارتــه الشمســية الســوداء

التـــي تغطـــي عينيـــه, تجمـــدت للحظـــاتٍ تنظـــر اليـــه غيـــر مصـــدقة, مـــا تـــزال كمـــا هـــي, بقميصـــها الفضـــفاض و, بســـروالها ذوالجيـــوب الكثيـــرة, بســـترتها اتـــي تخـــالف لـــون مـــا ترتديـــه , بـــدت متباينـــة الألـــوان بشـــكلٍ عجيـــب !تقـــدمت منـــه خطـــوتين متجاهلـــةً همســـات زميلاتهـــا المبهوتـــة وقـــف يتأملهـــا وكانـــت ضـــربات قلبـــه تصـــم أذنيـــه عـــن الضوضـــاء مـــن حولـــه وكـــم كانـــت صدفةٌ جميلةٌ جداً خلع نظارته متسائلاً : كيف حالك "

صـــمتت قلـــيلاً ومـــا زالـــت عـــاجزةً عـــن التـــنفس فـــي وجـــوده, صـــارت ضـــربات قلبيهمـــا تعلـــن صـــرخاتٍ عنيفـــة لـــم تـــألف عســـل ســـابقاً هـــذه الضـــربات, لـــم تظـــن بيـــومٍ أنهـــا ستشـــتاق لأحـــدهم إلـــى هـــذا الحـــد, وبـــدلاً مـــن أن تســـمح لعاطفتهـــا بالتغلـــب علـــى تصـــرفاتها, شدت ظهرها وقالت بصوتٍ متماسك: بخير ... وأنت"

-الحمد لله

-متى عدت ؟

-أنا...عيـــادتي قريبـــةٌ مـــن هنـــا, بـــداخل الشـــارع المقابـــل " ثـــم أردف باســـماً : عـــدتُ منـــذ أســـبوع تقريبـــاً , هاتفـــكِ مقفـــلٌ منـــذُ أيـــام, قلقـــتُ عليـــكِ. -كنتُ..لقـــد أغلقتـــه كـــي أركـــز فـــي دراســـتي

ومــذاكراتي, علــى كــل حــال حمــداً لله علــى ســلامتك, تــأخرتُ عــن المنزل, صديقاتي بانتظاري عن إذنك"

-مهلاً عسل" هل أستطيعُ مقابلتكِ اليوم مساءاً ؟

-انا...لا أدري حقاً"

-سأتصــلُ بــكِ مســاءاً وأتمنــى أن تجيبــي فقــد انتهــت الامتحانــات, ويجب أن نتحدث"

-أهــي جلســةُ عــلاجٍ جديــدة؟ تســاءلت بــتهكم وهــي تنظــر لهــا فقــال مازحاً : علاجٌ لكن.....لمشكلةٍ أكبر من مشكلتك"

حــدقت فيــه لا تفهــم إلامَ يرمــي فــأردفَ باســماً: ســنتحدثُ لاحقــاً بهذا"

هــزت رأســها موافقــةً ثــم هربــت لتنضــم لصــديقاتها بينمــا هــو اســتقل ســيارته وظــل يراقبهــا بعينيــه حتــى اختفــت مــن أمامــه ليشغل سيارته وينطلق بها مستكملاً طريقه لعيادته"

-مــن هــذا وأيــن تعرفــتِ عليــه, هــل تحبينــه, هــل خرجتمــا ســوياً !!؟؟ عشــرات الأســئلة تــدفقت مــن أفــواههن وهــي شــاردةٌ تكتفــي بهمهمــةٍ مبهمــة وفجــأةً أوقفــت تاكســي واســتقلته لتــذهب إلــى

المنـزل وسـط تحـديقهن المبهـوت بهـا: لقـد جُنـت عسـل !! نطقتهـا إحـداهن لتتعلـى الضـحكات ويتـابعن المسـير .... بينمـا السـائق الـذي ارسـله مـراد لتوصـيلها كمـا العـادة صـار يضـربُ كفـاً بكـف بعـد أن نـادى على عسـل لتسـتقل السـيارة لكنهـا لـم تجبـه, فاضطر الى اللحاق بالتاكسي بسرعة"

دلفـت إلـى الفـيلا وقـد فاجئهـا اجتمـاع الجميـع ومجموعـة حقائـب علـى جانـب البـاب القـت السـلام بهمهمـة قـم هرولـت لغرفتهـا وأوصـدت البـاب لتفـتح هاتفهـا لتـرى اتصـالاته الفائتـة, تبسـمت بسـعادةٍ جمـة واسـتلقت علـى السـرير وهـي تحتضـن الهـاتف ببلاهـة, طرقـت جمانـة البـاب عليهـا ودلفـت لتراهـا بهـذا الشرود فتساءلت : أأنتِ بخير, كيف قدمتِ آخر امتحان"

-جيد"

-جيد!!هذا فقط أخبريني هل حللتِ جيداً ؟

اعتـدلت فجـأةً علـى فراشـها و تسـاءلت لتغيـر الموضـوع: لمـن كـل تلك الحقائب أستهاجرون ؟؟!

تبسـمت جمانـة مجيبـة : شـيءٌ مـن هـذا القبيـل, جهـزي أغراضكِ سنذهب إلى الشاليه بما أنكِ قد أنهيتِ امتحانك"

وكمن لطمها على وجهها بعنف, نهضت متسائلة : اليوم!!

-طبعاً كنا ننتظرك, انسيتِ ما اتفقنا عليه "

وبعد الغروب كان الجميع يفرغون أغراضهم بعدما وصلوا إلى الشاليه , عند انتصاف الليل ابتعدت جمانة قليلاً عنهم وجلست على الرمال أمام البحر ولم يستطع كريم صبراً حتى انضم لها وجلس بجانبها فأسندت رأسها على كتفه, تغلغلت أصابعه خصلات شعرها الناعم وهمس بحنان :كيف هو حالُ ولي العهد"

-أتبعني جداً...مختلفٌ عن جواد" أتبعتها بتنهيدة إرهاق فتبسم برقة : لا تجهدي نفسك"

-ما أنا ذاتاً لا أفعلُ شيئاً تقريباً يا كريم أشعرُ بمللٍ رهيب"

نهض وساعدها على النهوض وصارا يتمشيان والريحُ تداعب الأمواج لتنساب على الشاطئ بوداعة, كان القمرُ شامخٌ والنجومُ حوله تزيد من تألق صفحة السماء الرائقة, قابلا بطريقهما مراد يجلسُ على الشاطئ فوقفا عن بعد أمتارٍ منه وسألها:

-هل من جديدٍ بشأن مراد"

تبسمت وهي تشد على ساعده بفرح : غداً ستعرفُ كل شيء, لقد خططتُ مع الفتيات لمفاجئةٍ من العيار الثقيل"

-غير مشروع خطوبة إليسا تقصدين؟

-بالتأكيد, هذا الرجلُ قد تعذب كثيراً حان له ليستقر"

ضيق ما بين حاجيبه متسائلاً بامتعاض: - هل رق قلبك له, كما أنه كان سبباً في زيادة بؤسه, بتصرفاته الخاطئة!!

-لسنا أنبياءً يا كريم كي لا نخطئ, وها هو ذا تلقى عقاب طيشه السابق حان الوقت ليعيش حياته بالطريقة الصحيحة..

-وهل دلال مناسبةً له برأيك, لا أعرف أخاف أن نقحمه الطريق الخاطئ , انها ملتزمةٌ جداً , أخافُ ألا يتفاهما"

-صدقني يا كريم, هي المناسبة له , وبالتزامها هي دواءه, دعنا منه الآن ..." انحنت للأسفل ورشقته بالمياه بمرح وتعالت قهقهاتها وهرولت من أمامه ليهتف بها : يا مجنونة أنتِ حامل انتبهي لخطواتك!!!

لكــن هــذه المجنونــة اســتمرت برشــقه بالميــاه وهــي تتوغــل أكثــر على الشاطئ ليلحق بها ضاحكاً..

****

الفصل الثامن والعشرون

وبعيداً عن جمانة وكريم كان آدم برفقة نور يجلسان على التراس كانت نور شاردةٌ بجمانة وزوجها وهما يمرحان أمام الشاطئ, ندت دمعةً من عينيها تنبه لها آدم وتساءل بقلق: ما بك؟ ما الذي يزعجك"

-تلمست بطنها وهمست : كم أتمنى ... أن يرزقني الله طفلاً لك... كجمانة, انظر كم هم عائلةٌ سعيدة"

-حبيبتي الأمر بيد الله, ومن قال بأني أحتاجُ طفلاً حالياً, وجودكِ بجانبي يغنيني عن كل شيءٍ.

-لا تكذب يا آدم, أشعر برغبتكَ بذلك...

رفع كفها ليلثمها قبلةً وقال:

-إنها مسألةُ وقتٍ فقط...وسنحظى بإذن الله بأجمل طفلٍ بالوجود اصبري فقط"

****

ومسـاء الليلـة التاليـة وكمـا قـررت الفتيـات أو السـاحرات الـثلاث كمـا سـمتهن عبيـر وبعـد التجهيـزات كـان هشـام يتـأبط ذراع اليسـا وهمـا يـدخلان إلـى الشـاليه ويلقيـان السـلام علـى الجميـع حيـث جهـزت الفتيـات احتفـالاً بسـيطاً بمناسـبة خطوبتهمـا, وقمـن بـدعوة بعـض المعـارف و الأصـدقاء مـن الكـادر الطبي بينمـا توقـف مـراد بإحـدى الزوايـا وهـو يرفـع كـأس مشـروبه, يكـتم ضـحكاته سـاخراً مـن نفسـه متمتمـاً لكـريم: سأحضـرُ لتـوي حفـل خطوبـة زوجتـي السـابقة, يـا لهـذا الموقـف السخيف الذي أضعُ نفسي فيه دائماً!!

لكـزه كـريم علـى كتفـه وقـال بجديـة : هـات هـذا مـن يـدك لـو سمحت... ولنخرج قليلاً"

-أنا بخير, لا تقلق بشأني"

أعـرفُ ذلـك, لكـن هشـام شـابٌ ملتـزم, وسـيزعجه جـداً أنـك ترتشـف الكحـول بحفـل خطوبتـه, يجـب أن نراعـي مشـاعر الغير أليس كذلك , وأعهدك قد ابتعدت عنه"!!

-نعم....ابتعـدتُ عنـه لكن....هـووف, ومشـاعري اللعينـة وكـأن أحـدٌ مهـتمٌ بهـا " تمـتم بهـا لنفسـه بعـدما تجـرع كامـل الكـأس

وخــرج مجتــازاً الحضــور وتبعــه كــريم بعــد أن غمــز لجمانــة لتــومئ لــه وتــذهب لتنفيــذ بــاقي الخطــة ... قــال مــراد بعــد أن خــرج : لن نُزعج السيد هشام طبعاً"

وبالجهــة المقابلــة تأبطــت جمانــة ذراع دلال بعــدما ارتــدت فســتاناً طــويلاً بلــون الليلــك يضــيقُ عنــد خصــره ثــم يتســعُ لينســدلُ بانســيابيةٍ علــى جســدها ومــن فوقــه حجــابٌ ذا لــونٍ أبــيض أبــرز جمالهــا, أصــرت نــور علــى أن تضــع لهــا لمســاتها السـحرية مــن تبــرجٍ خفيــف ليبــان جمالهــا طبيعيــاً مــع القليــلِ مــن الكحــل فبــدت متألقــةً جــداً هــذه الليلــة وزادهــا ذلــك فتنــةً ورونقاً....

-إلــى أيــن تســحبينني هكــذا يــا جمانــة! ســألتها دلال وتلــك الأخيــرة تتــأبط ذراعهــا لتقــول : اصــبري بــاللهِ عليــكِ لقــد آلمنــي رأســي بهــذه الأجواء الصاخبة, لنجلس قليلاً أمام البحر"

-حســناً كمــا تشــائين, تمشــت الفتاتــان قلــيلاً حتــى وصــلتا للمكــان المطلــوب' حيــثُ كــان كــريم يجلــسُ برفقــة مــراد بــداخل أحــد المصــاطب التــي صــممت كــالأكواخ فكــان ســقفها مــن القــش والإضــاءة الناعمــة تضــفي للمكــان ســحراً لا مثيــل لــه , تصــنعت جمانــة المفاجئــة وســألت : أأنتمــا هنــا ؟ جمــدت ملامــح مــراد وهــو

يتأمـل دلال ولا ينكـرُ كـريم أنهـا جذابـة بملامحهـا الهادئـة الرائقـة, أزاح بصـره عنهـا فعـلاً هـذه الـدلال سـتكون كالبلسـم الشـافي لمـراد, قـال يحـادثُ جمانـة : أأنـتِ بخيـر حبيبتـي تبـدين مرهقـة, اجلسـي قلـيلاً " أيدتـه جمانـة بلعبتـه وقالـت : تعبـةٌ جـداً ظننـتُ أنـي عنـدما شـتم هـواءاً نقيـاً سـأرتاح, لكنـي مـا زلـتُ متعبـة ...أوصـلني إلـى الشـاليه رجـاءً أريـدُ أن أرتـاح علـى السـرير, عـن اذنكمـا " بهتـت ملامـح دلال وهـي تتطلـع بجمانـة التـي تأبطـت ذراع كـريم وغـادرت برفقتـه ببسـاطة بينمـا تسـمرت دلال بمكانها, اعتدل مراد قائلاً بلباقة : تفضلي بالجلوس"

تطلعـت فيـه لثـوانٍ قبـل أن تصـعد تلـك الـدرجات القليلـة وتجلـس علـى الكرسـي وصـارت تنظـر باتجـاه البحـر, لـم يسـتطع ولـو للحظـةٍ أن يحيـد بنظراتـه عنهـا, كُـل شـيءٍ فيهـا فـاتنٌ الليلـة, الحجـاب, الفسـتان, باحتشـامها أسـرته وبتحفظهـا سـلبت روحـه بطريقـةٍ لـم يشـهدها مـع النسـاء قـبلاً ..للمحجبـات دائمـاً رونـقٌ خـاص, نفحـةٌ مـن الطيـب والبرائـة تحـوط بعضـهن بشـكلٍ ملفـت ...وعـادت كلمـات كـريم التـي قالهـا لـه أثنـاء جلوسـهما تطرق ذاكرته :حان الوقتُ لتفتح قلبك يا صاحبي, أتعجبك؟

-عفواً ...عمن تتحدث؟

-دلال

-ومن قال بأني أفكرُ فيها ؟

لكزه كريم على كتفه وأردف بذات أسلوبه الصريح: اعذرني يا ابن العم, لكن الأمور باتت واضحةٌ جداً.

-كفى تلقي كلاماً عبثياً ما هو الواضح!! " قالها ونهض فنهض كريم بدوه وهو يشير اليه: عهدتك جريئاً فيما مضى بالبوح عن مشاعرك"

أطلق زفيراً حانقاً ثم أجابه : وهذه الجرأة هي ما أخاف منه حالياً... حسناً لستُ أنكر, إنها تعجبني لكن.... هووووف"

-تقدم بشكلٍ رسمي" تطلع مراد ناحية البحر وهو شاردٌ بكلمات كريم, عبثت تلك الكلمات بعقله ..وما زالت تعبث حتى وهي أمامه الآن (أراكما فعلاً مناسبين لبعضكما, صارحها بمشاعرك كفاكَ تضييعاً للوقت (

.طال صمت دلال كذلك فقد كانت أفكارها كهذه الأمواج تتلاطم وهي تشعر بنظراته تخترقانها وهو يتذكر كلمات كريم, شعرت بالخجل وبذات الوقت تُريدُ من ينسيها ولو قليلاً وحدتها وكآبتها التي ما تزالُ مصرةً على الخروج منها

فهشـام لـن يكـون لهـا أبـداً وتفكيرهـا فيـه بعـد زواج اليسا منـه, ستكونُ خيانةً لصداقةٍ قوية...تطلعت أخيراً بمراد وتساءلت :

-آسـفةٌ لهـذا السـؤال لكـن.....أراكَ مُنزعجـاً الليلـة, مـن أحببـت منهما بصدق؟

فهـم مـا تقصـده فـور نطقهـا لتلـك الكلمـات فأجـاب ببسـاطة : كلتاهما"

نطقهـا بمـرارةٍ سـاخرة ثـم أردف وهـو يـنهض: وهـذه اللحظـة أرغبُ فقط بإرجاع التوازن لحياتي بعيداً عنهما.

-هل نتمشى قليلاً ؟

أومـأت لـه وجاورتـه لتسـير برفقتـه علـى الرمـال فـأردف بعـد لحظـاتٍ مـن الصـمت : تعرضـنا الحيـاة للطمـاتٍ وصـفعاتٍ شـديدة لنصـحوا مـن غفلتنـا, وأنـا طيلـة سـنوات كنـتُ غـافلاً وربمـا كانـت اختيـاراتي خاطئـة لكنـي صـحوت أخيـراً.. وتُـدركين أنكِ كُنتِ تلك الصفعة لإعادتي للطريق الصحيح..

-ألا تظنُ أن اختيارك هذا خاطئٌ أيضاً سيد مراد!!

كانا قد وصلا لأمام الشاليه توقف وتطلع فيها بتركيز قائلاً بثقة: هذه المرة أنا واثقٌ من اختياري, وبلا سيد مراد تصيبني بالدوار

ضحكت بخفةٍ لتعانقها عينيه الحادتين الملتمعتين فتوردت وجنتاها خجلاً وأشاحت ببصرها عنه .

تعالت ضحكات آدم وكريم وهما يتحدثان مع هشام فجأةً وفتطلع ناحيتهم باسماً وأردف يحادث دلال: أتعرفين, أحسدهما في أحيانٍ كثيرة, كل واحدٍ منهما صارع للحصولِ على من يحبها, يحملان بذرة الوفاء والصدق التي لم أعرفها أنا سابقاً, كنتُ كأمواج البحر المتلاطمة على الصخور, أعيث فساداً وخراباً من حولي دون أن أدرك نتائج أفعالي وتهوري,

صمت للحظاتٍ يستجمع أفكاره ثم أردف : وحينما أنظر لهما أشتهي فعلياً تأسيس عائلة,سأصدقك القول أنا لم أعد صغيراً أرغب فقط بزوجةٍ أحبها و أسكنُ إليها باطمئنان, بأطفالٍ يحملون اسمي.

تعالت ضحكاته فجأةً فاعتذر قائلاً :آسف... أشعرُ وكأن مهمتك اقتصرت على سماع مشاكل العائلة!

انزاحـــت عيناهـــا عنـــه وهـــي تتطلـــع بـــالجميع ثـــم أردفـــت بابتســـامة : لا أشعرُ بأني غريبةً عنكم, أنتمٌ عائلةٌ محبة, متضامنة"

تجـــرأ مـــراد علـــى الاقتـــراب أكثـــر قـــائلاً بثقـــة محـــدقاً بعينيهـــا : ونحنُ نعتبرك كذلك جزءاً من هذه العائلة.

شـــعرت بخطـــر اقترابـــه وعينـــاه تبوحـــان بـــالكثير جـــداً فقالـــت بلعثمة وهي تهرب من أمامه: عن...عن اذنك"

-دلال! يجـــبُ أن نتحـــدث جـــدياً, أنـــا.... تعـــرفين أنـــي أفكـــر بـــكِ جداً"

هـــزت رأســـها نفيـــاً : اســـمعني جيـــداً ســـيد مـــراد, يســـتحيلُ أن أوافقك عما تفكر فيه...رجاءاً.

هربـــت مـــن أمامـــه ليبتعـــدا عـــن الشـــاليه وســـط نظـــرات الشـــابين المعلقة عليهما فهرول ناحيتها يتسائل بلهفة: لما؟ ما المانع ؟.!

-لا أستطيع...مستحيل.

-أبسبب ماضيي!!

هتفت فيه بغضب :أنتَ زوج صديقتي...مستحيل.

توقف للحظاتٍ يحاول استيعاب ما تتفوه فيه تلك الحمقاء فضحك بلا إرادةٍ منه حتى أدمعت عيناه لتزداد خجلاً وارتباكاً من غباء ما نطقته, أردف ساخراً: وخطوبة من اليوم! أليست خطوبة زوجتي السابقة!!

نظرت له مطولاً وأجابت بلعثمة : أنتَ لا تفهم, يستحيلُ أن نتوافق أنا وأنت يستحيل.

-ما المانع" اقترب منها متسائلاً حتى لم يعد يفصلهما خطوة واحدة فأجابت بيأس : كلانا من عالمٍ مختلف,

-نعم....كلانا من عالمٍ مختلفٍ لكني أريدُ أن أكون بداخلِ عالمكِ أنتِ, صدقاً عندما أنظرُ لعينيكِ ونتحدث أشعرُ وكأنني رجلٌ آخر, أتذكرين عندما أخبرتك ذات مرة أنك كأمي...كنت أقصد أنك رقيقة, حنونة وعطوفة ...تحملين ذلك النقاء والإيمان اللذين أفتقدهما كثيراً دلال, أستطيعُ أن أبوحَ لكِ ما بداخل صدري دون خجلٍ أو خوف من عواقب اعترافي, وعندما تتحدثين أشعر وكأني بداخل لحنٍ جميلٍ جداً, بل وكأنكِ تعزفين مقطوعةً موسيقية فأنسابُ من هذا العالم إلى عالمكِ أنتِ... وجودكِ بيننا أحياني مُجدداً,

خلصني من حبي لجمانة ومن عذاب الضمير تجاه اليسا, حبكِ خلصني من الماضي.

أطرقت برأسها إلى الأرض فأردف : هالةُ البراءةِ والعفة المطلة منكِ, مسحةُ الايمانِ والنقاء المنغرسين فيكِ أحتاجهما يا دلال, أنتِ كطوقِ النجاةِ لغريقٍ يريدُ النجاة...

-أخافُ إن حاولتُ إنقاذك.. أن أغرق أنا, مشاعرك جميلةٌ جداً سيدي...لكنني لن أبادلك تلك المشاعر, أنت تريدُ طوق نجاةٍ مؤقت وانا اريدُ استقراراً أبدياً

تبسم مجيباً : أنا لا أتحدثُ عن مساعدةٍ مؤقتة, لا أريدكِ جسراً ...بل أريدك معي إلى الأبد..... أريدُ الزواج منكِ"

ألجمتها كلماته الصادقة, شعرت بدفئ عينيه...بدفئ حديثه وهو يطلبُ منها الزواج, تراجعت إلى الوراء خطوتين لترتطم بإحدى المدعوين وهو يحمل كأس العصير فشهقت وانسكب العصير على فستانها تمتمت بكلمات اعتذارٍ واهية وهرولت من أمام مراد الذي توقف باسماً حينما اشتعل وجهها ليتوهج خجلاً, حاوطه كريم فجأةً بذراعه القوية وقال ضاحكاً : أوقعت الأميرة بشباكك أيها اللورد"

ابتعد عنه ليضرب كريم كفاً بكف ويقول ضاحكاً : أهذا مراد المنصور!! , يبدو أن ملاك الرحمة رفرف بجناحيه فوق رأس المسكين !!

****

انتصف الليل وغادر المدعوون بعد سهرةٍ رائقةٍ عقدت أواصر قلبين وأعلنت ولادة حبٍ جديد تكلل بشريعة الله سبحانه, اندست الفتيات تحت الغطاء وتكومت أجسادهن على السرير إلا جمانة التي جلست بأريحية على السرير الثاني وظللن يثرثرن ويضحكن حتى فتحت جمانة الموضوع الذي يخصُ دلال ومراد لتنصت اليسا باهتمام , شعرت دلال بالخجل والحرج وهي تبوح بعرضه, وأخبرتهن بخوفها منه, ومن فكرة الارتباط به, قالت اليسا باهتمامٍ بالغ : يستحقُ أن تعطيه فرصة يا دلال"

اعتدلت دلال مجيبة: أأنتِ تقولين هذا الكلام يا اليسا!

تنهدت اليسا وأجابت بصدق : لأنني أنا...أقول لكِ أن تعطيه فرصة, كان زواجنا ومنذُ البداية غلطة, لم تكن غلطتني حرفياً فقد كنتُ صغيرةً على اتخاذ القرار, كنتُ مع الأسف

لعبة بين أيدي أهلي ومراد، كانت تجارةً رابحة لوالدي، وصفقةٌ أنا من تذوقتُ علقمها بدايةً ثم تجرعها مراد من بعدي، كان زواجنا غلطة، شعرتُ حينما ابتعتُ عنه بانهيار عالمي، حتى تلقفني عمي بين ذراعيه بكل حنانٍ وعطف وعقل، أفهمني أن الحياة مليئةٌ بالتجارب، أخبرني أن التجارب فيها الفشل وفيها النجاح وأنا لم أفشل، بل فشلي بالزواج كان بوابةً للعبور لنجاحٍ كبير، وهاأنا أمامك أنهيتُ دراستي، تخصصت الطب وأصبحتُ ما أنا عليه، وحين اخترت... أخترت المناسب لقلبي وحياتي الحالية، صحيحٌ أن اختياري هذا كان بعاطفة لكنها عاطفةٌ مكللةٌ بالعقل والمنطق أحياناً أفكر لو أني ما زلت زوجته، لم أكن لأدرس..لم أكن لأصبح ناجحة وواثقة كما أنا عليه الآن" ثم تابعت تحادث نور :

-آسفةٌ يا نور لأني أتحدث أمامك لكنك تعرفين جيداً ما مررتُ به"

ربتت نور على كف اليسا وأيدتها : لا تعتذري يا اليسا على العكس، جميعنا نعرفُ أخطاء مراد السابقة" ثم استدارت وأردفت تحادث دلال: وجميعنا بتنا هذه اللحظة نعرفُ كيف تغير مراد، ان مراد يا دلال تحمّل المسؤولية مذ كان

بالجامعـــة, أقحمـــه والـــدي بمســـئولية شـــركة الهندســـة, وأقامهـــا هـــو وطورهـــا بعملـــه ....شـــعرَ فجـــأةً بأنـــه رجـــل ومـــن حقـــه التصـــرف بحريـــة دون تـــدخل أحـــدٍ بـــه, وانجـــرف تلقائيـــاً بـــأمورٍ غيـــر لائقـــة ووالـــدي كـــذلك أعطـــاه الحريـــة دون أن يســـأله عمـــا يقـــوم بـــه... لكنـــه تغيـــر كثيـــراً, الأيـــامُ انهالـــت عليـــه دون رحمـــه وأشعر به يريدُ الاستقرار"

نهضـــت جمانـــة مـــن علـــى الســـرير وجلســـت بجانـــب دلال مردفـــة برجـــاء: أعطِـــه فرصـــة ومتأكـــدةٌ مـــن أنكمـــا ستنســـجمان, يبـــدو معجباً بكِ"

تعاقبت نظراتها عليهن وصمتت تفكر بكلماتهن..

****

بينمـــا عســـل كانـــت تجلـــس علـــى التـــراس والآن فقـــط لاســـتطاعت التواصـــل مـــع فهـــد الـــذي حـــاول الاتصـــال بهـــا ســـابقاً لكـــن هاتفهـــا مقفلٌ كما العادة...

-اســـفة الآن فقـــط لاســـتطعتُ فـــتح الهـــاتف كنـــتُ منشـــغلةً بالتجهيزات لحفل اليسا"

ارسلت الرسالة وانتظرت لدقائق وهي تتلفت حولها باستمرار..ودقائق حتى تفقد فهد هاتفه لتشرق روحه ويجيب باقتضاب معلناً عن انزعاجه لتجاهله طيلة يومين: لا عليكِ..

حركت الهاتف بين يديها تنتظر منه ارسال المزيد من الرسائل وهي غارقةٌ بالتفكير بينما فهد كانت يكتب بضع كلماتٍ ويمسحها باستمرار , كان مُرتبكاً لأول مرةٍ بحياته...كان الأمرُ أسهل فعلاً حينما كانت مجرد حالةٍ يريد علاجها... أما الآن فاختلف الوضع بالنسبه له, نورٌا خترق حياته بلا انذار, بل كدلوٍ من العسل سقط فيه ولا قدره له على المقاومة !

استجمع شجاعته ليكتب حروفاً نابعة من قلبه: - ليست المرة الاولى التي اسافر فيها لكنها المرةُ الأولى التي اشتاقُ فيها العودة بسرعة"

اضاء الهاتفُ الصامت بين يديها واهتز ليرتج صدرها باضطرابٍ لذيذ وهي تقرأ حروفه ولا تعرف كيف لها أن تجيب على كلماته... بينما هو لم ينتظر رداً على كلماته أردف : لا أعرفُ صدقاً ما أنا بالنسبةِ إليكِ... لكنني أفكرُ بكِ كثيراً"

تعالى اضطراب صدرها وغزا الخجل تقاسيم وجهها فتراقصت أصابعها على الحروف وكأنها تعزفُ مقطوعةً جميلة بالحروف! ولم تكد ترسل رداً حتى اغتالتها رسالةٌ أخرى منه

-بل لا تغادرين تفكيري مطلقاً"

مسحت ما كتبته بيدٍ ترتعش ثم أرسلت مجدداً بابتسامةٍ خجلى : و ما تفسيرك لما تعاني منه؟

تبسم هذه المرة ابتسامةً واسعة وأجاب بسرعة : تعجبينني بشدة.

عضت على شفاهها بحرج و تداركت نفسها كيلا تنزلق بحوارٍ ستكون خاسرةٍ فيه لا محالة وارسلت ردها بسرعة: لا تتواقح فهد"

ضحك هذه المرة ملئ حنجرته فغطى فمه بكفه عندما تنبه لارتفاع صوته وأرسل الرد بمكر

-أتعرفين يا عسل .... أنتِ كالنحلة لدغتها مؤلمة لكنها تنتج أشهى شيءٍ بالوجود"

استنفرت حواسها وهي تقرأ كلماته فأجابت : احمد الله أنكَ لست أمامي حالياً...لكنتَ في عداد الأموات !

حك ذقنه قليلاً ثم تلاعبت أصابعه على الحروف ليكتب :

-كلامك كالسم لكنه يعجبني"

ضحكت هذه المرة بصوتٍ خفيض وهي ترسل له لإنهاء الحوار: تجرع إذن هذا السم واخلد للنوم فقد تأخر الوقت, تصبح على خير"

ثم أغلقت الهاتف بتنهيدةٍ عميقة وهي شاردةٌ بالبحر أمامها ...تقدم منها كريم بعدما تنبه لشرودها واضطرابها بل ولإيقانه بأنها كانت تراسل فهد , وبلا مقدمات سحب كرسياً وجلس عليه بشكلٍ معكوس واسند ساعديه على المسند ليقول بغتةً : والآن ستحكين لي كل شيء"

بهتت ملامحها واستفاقت من شرودها لتجيب بصدمة وهي تعتصر الهاتف بين يديها وكأنها تخبئه : ما الذي سأحكيه؟

-هذا الشرود....أفهمه جيداً, ألقي أوراقك دون خجل, لكني أريدُ الصراحة بحديثك,الموضوع إما أن يكون جدياً فأباركه وأؤيدك به...أو يكونُ ناراً فألقيه بها لتحرقه وسيندم حينها

أشـد النـدم إن كـان ذلـك الشـاب يتلاعـب بـك, وتعرفينني جيـداً "

شـعرت عسـل بالارتبـاك لأول مـرةٍ وكـريم يحادثها بجديـة فقـال ليخفـف عنهـا : لا أقصـد إخافتـك, لكنـي لا أريـدك أن تـؤذي نفسك, ما تزالين صغيرةً جداً وتجاربك معدومة"

****

الفصل التاسع والعشرون

رفعت نظراتها تجاهه مجيبة بحدة : ما شاءالله ومن التي ستخاف!! لا يوجد ما أحكيه لك, ولا أحدَ يتلاعبُ بي أتراني طفلة"!

رفع حاجبيه دهشةً منها وأحتددت نبره صوته كذلك : إذن سأخبر مراد ولنرى ما رأيه بالموضوع ...أيتها الكبيرة الواعية"!

نهض بحزم وسار على الرمال فشهقت بعفوية وركضدت ورائه تناديه : كريم !!.... كروووومي"

توقف لتتأبط ذراعه وتقول بخفة : أتهددني بإخبار مراد....عيب واللهِ عيب!

كاد أن يضربها بخفة لكن ما خلصها من براثنه الكرة التي ضربت دماغه فاستدار ناحية آدم الذي صاح به من بعيد: التقطها وتعال" فدفعته ناحية آدم وهرولت للداخل فزم كريم شفاهه ثم تسللت ابتسامةٌ لثغره وهو يتمتم: واللهِ كبرتِ يا عسل!!

****

تسللت نسائم الفجر المحملة بندى البحر والشباب ما تزال تصدع أصواتهم وهم يلعبون بالكرة على الشاطئ, استمعت دلال لأذان الفجر فنهضت من على السرير و هبطت درجات السلم ودلفت إلى الحمام لتتوضأ وأدت فرضها بإحدى الغرف التي علمت بأنها فارغة انتهت وجلست قليلاًعلى السجادة وما زال فكرها مضطرباً ومشوشاً, تخافُ الإقدام على هذه الخطوة وتخاف أن يكون مراد جسراً لتنسى من خلاله مشاعرها تجاه هشام...رفعت أهدابها تستجدي الله سبحانه أن يبث الطمأنينة بصدرها, تنهدت ونهضت وطوت السجادة ثم خرجت قليلاً لتستنشق عبير البحر , خرجت وجلست على المقعد بالتراس الواسع بعدما أعدت لنفسها كوباً من القهوة, كان الهواءُ نقياً جداً ونسيماتٍ باردةٍ تلاعبت من حولها تعالت ضحكاتهم من بعيد فاستدارت بتلقائية ولا إرادياً جذبها صوته وهو يمزحُ مع آدم ...كان طبيعياً جداً اليوم, كان يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً يصل حد الركبة , تجلى لها بهذه الأثناء إنساناً بسيطاً جداً, لاحت على شفاهها ابتسامةً ناعمة ثم أشاحت بوجهها عنه وراقبت امتداد الأمواج وانحسارها عن الرمال وتمنت هذه اللحظة أن تنحسر الآلام عن فؤادها...

بعـد عـدة أيـامٍ وهشـام بمكتبـه يقـوم بمراجعـة ملـف أحـد المرضـى يتصـل بـه رقـمٌ دولـيٌ غريـب ويعـرفُ بعـد لحظـاتٍ أنـه سـاهر بعـدما عرفـه علـى نفسـه, كـاد هشـام أن يـرد مُرحبـاً لـولا أن ساهر قد اندفعت كلماته كسيل الرصاص:

-وكيـف تسـمح لنفسـك بـأن تتقـدم لخطبتهـا دون مشـورتي !! مـن اعطـاك الحـق ألا تعـرفُ الأخـلاق والأصـول ؟

كـان كـلامُ سـاهر قاسـياً جـداً حـاول هشـام امتصـاص غضـبه لكنـه لـم يقـدر علـى اسـكاته بـل تـابع سـاهر كلماتـه الجارحـة وهـو يصـيح : وكيـف تتجـرأ علـى التفكيـر فيها...ومرتبـك طـوال الشهر لا يكفـي ثمـن حـذاءٍ مـن أحـذيتي أيهـا الطبيـب المغمـور, كيـفَ سـتعيلها, مـا امكاناتـك الماديـة اللتـي سـتقدمها ألـم تفكـر بذلك ! أم أنك خططت لكلِ شيء؟!

اخللجـت قسـمات وجهـه وأجـاب بـتحفظ: اسـمعني سـاهر أنـا حتـى اللحظـة أحتـرم الصـلة التـي تربطنـي بـك, دعنـا لا نتجـاوز حدود اللباقة وهذا لأجل اليسا فقط"

-وتهـددني أيضـاً يـا عـديم الشـرف ؟؟!! " ارتفـع صـوت سـاهر عاليـا وبهـذه الأثنـاء انـدفعت اليسـا مـن البـاب كـون سـاهر قـد

اتصل بها قبل دقائق فبثته الخبر فطلب منها ساهر أن تمليه رقم هشام"

تنبهت على ملامح هشام المحتقنة وربت على ساعده ليتنبه على وجودها فأجاب باقتضاب: عديمُ الشرف هو من يهدد شقيقته الوحيدة علانيةً ويسرقُ أموالها, نصيحتي لك لا تقطع حبل المودة وراجع حساباتك جيداً"

أغلق هشام الخط بعصبية بينما انكسرت نظرة اليسا وندت عيناها عن دمعةٍ وتمتمت: كنتُ أعرف أن لا مجالَ لاستكمال فرحتي,

-شش- إياكِ والبكاء" قالها هشام وأردف مازحاً محاولاً تهدئتها على الرغم من أنه يغلي من الداخل: لو لم يكن الأحمق شقيقك لكنتُ خدرته وتاجرتُ بأعضائه سأُجني منها مبلغاً مُحترماً"

دفعته اليسا بغيظ ثم أفلتت منها ضحكةً عالية: ليسامحك الله, ماهذا التفكيرُ الشيطاني!

قرصها من وجنتيها باسماً: أفديك بعمري على هذه الضحكة"

-وأنا أفديكما بعمري لو تذهبا لقسم الإسعاف" ارتبك الاثنان من الطبيب الذي ظهر فجأةً أمام الباب وقال كلماته مازحاً واردف : يحتاجونكما هناك"

اختقن وجهها بخجل فهرولت بسرعةٍ من أمامه وسط نظرات هشام العاشقة نحوها , اقترب زميله قائلاً بثقة: الآن تفديها بعمرك وبعد الزواج ستقدمها قرابين للشيطان كي تتخلص من ثرثرتها ونكدها ...اسأل مجرب"

****

دلفت بتردد إلى جناحه ثم توجهت ناحية السكرتيرة وسألت عنه لتجيبها الموظفة بأن لديه اجتماعٌ مهم... جلست بانتظاره فهاهي قد حسمت أمرها بعد التفكير لعدة أيام, عادت الموظفة بعد لحظاتٍ وهي تحمل فنجاني قهوة وعندما خرج الرجل من المكتب قالت مازحة : حسبتها بالثواني...اسمعي"

فارتفع صوت مراد الجهوري بعد لحظاتٍ يهتف بالسكرتيرة من خلف المكتب صارخاً: القهوةُ رشاااا القهوة رأسي سينفجر"

جمـــدت دلال باســـتغراب فأجابـــت الســـكرتيرة مازحـــة : المســـكين دائماً رأسه ينفجر بعد جلوسه مع هذا العميل!!

ضـــحكت دلال ورن الهـــاتف بـــذات اللحظـــة فتناولـــت الصـــحفة من يدها وقال : سأدخلها أنا إذن وأنتِ أجيبي"

هـــزت رشـــا رأســـها بامتنـــان بينمـــا دلفـــت دلال للـــداخل وكـــان مـــراد يصيح على الهاتف وهوي يدير كرسيه:

-وكـم مـرةً علي إخبـارك بـأن تزيـد سـاعات العمـل, زد العُمـال يـا أخـــي بضـــعُ آلافٍ لـــن يضـــرونا بشـــيء !!..سيصـــيبني ذلـــك الأحمـــق بنويـــةٍ قلبيـــة والســـببُ هـــو بطـــئ عملكـــم ...بحـــق الله انجزوا..بسرعة بسرعة أتفهم, أم أُعيدها..

وضـــعت القهـــوة علـــى الطاولـــة وتبســـمت وهـــي تســـتمعُ إليـــه : اتصـــل إذن بغيره...عشـــراتُ المكاتـــب تنتظـــرُ اتصـــالي فقـــط, اسمع سأعطيك رقمه وتصرف حسناً"

اشـتم مـراد ائحـة القهـوة فقـال مجـدداً وهـو يشـير بيـده ظنـاً منـه بأنـــه يحـــادث ســـكرتيرته : تنـــاولي مـــن علـــى المكتـــب دليـــل الهـــاتف واخرجـي رقـــم مـــروان الحـــاج بســـرعة " واســـتكمل حديثـــه علـــى الهـــاتف فانصـــاعت دلال والتفـــت للجهـــة المقابلـــة لتمســـك

الدليل وبحثت بسرعة حتى وجدته وقالت : خمسة ..ثلاثة..ثلاثة" التف بسرعةٍ بعدما استبان مغايرة صوت سكرتيرته وشقت ابتسامةٌ صفحة وجهه وردد بعدها : خمسه..ثلاثة..ثلاثة".....

انهت رقم الهاتف وانهى مراد اتصاله والبسمةُ البلهاء لم تغادر شفاهه: مفاجئةٌ جميلةٌ جداً...نورتِ الشركة"

-شكراً لك"

-تفضلي ...تفضلي بالجلوس"

جلست على الكرسي الجلدي فالتف مراد من خلف المكتب ليجلس قبالتها متسائلاً : وما سرُ هذه المفاجئة السعيدة؟

-بصراحة, جئتُ لأجيبُ على طلبك بعد أن فكرتُ جيداً بالأمر "

أشرقَ وجهه وقد تعدل مزاجه تماماً وسأل بحماس : وما هو قرارك ؟

تنحنحت بارتباك وأجابت: أنتَ رجلٌ منفتحٌ جداً...لا أعرفُ حقاً كيف سنتفاهم"

-يعني؟؟صـــمتت قلـــيلا فـــانقبض قلبـــه خوفـــاً مـــن الـــرفض الواضـــــح ..تابعـــــت بجديـــــة :

_أنا...موافقة لكن"..

تهللـــت أســـاريره فنهضـــت مـــن علـــى الكرســـي وابتعـــدت قلـــيلاً لتتـــرك بينهمـــا مجـــالاً وقالـــت بثقـــة...هناكَ شـــروطٌ لمـــن ســـأرتبط بـــه ســـيد مراد

تطلـــع فيهـــا لثـــوانٍ قبـــل أن يقـــول وهـــو يرجـــعُ بجذعـــه للـــوراء : حسناً هاتِ شروطك

-المشروب لا أريد لزوجي أبداً أن يقربه؟

اعتدل بجلسته ثم نهض وسار بتؤدةٍ ناحيتها:

-ذاتـــاً أنـــا لـــم أعـــد أشـــربه إلا نـــادراً جـــداً...لكن أقســـمُ بـــرب العـــزة أن ألغيه من حياتي ومنذُ هذه اللحظة"

بريـــقٌ اكتســـح روحهـــا وهـــي تـــتمعن بكلماتـــه التـــي بـــدت واضـــحةً وصادقة جداً, تهدج صوتها أكثر وهي تسأل:

-وعملي ...لا أريدُ أن أتركه.

-وهل يمكنُ لملائكةُ الرحمةِ أن تتنازلُ عن أعمالها"

اعتراهـــا الخجـــلُ مـــن كلماتـــه لتصـــطبغ وجنتاهـــا بلـــونٍ ورديٍ زادهـــا فتنـــة فقالـــت هامســـة : و...وشـــرطٌ أخيـــر , أن تطلبنـــي مـــن والدي كما الأصول..

-والدك!! أتكلمينه؟

-بالتأكيد ما زلت أكلمة"...

-وبعد كل ما فعله؟

-طبعـــاً, مـــن حقـــه أن يتـــزوج وحتـــى لـــو اختـــار الطريقـــة الخاطئـــة لإبعـــادي عـــن المنـــزل, بكافـــةِ الأحـــوال مـــا كـــان المنـــزلُ ليكفينـــا ..وأنـــا كبرتُ بما فيه الكفاية لأشقُ طريقي بمفردي من وجهة نظره"

تبســـم مجيبـــاً : ســـأطلبكِ منـــه, وحســـب الأصـــول آنســـتي...هل هناكَ شروطٌ أخرى؟

هزت رأسها نافية ثم سألته : وشروطك هل لي أن أعرفها"

تـــردد للحظـــاتٍ قبـــل أن يقـــول بثبـــات :واللهِ مـــا عنـــدي شـــيئاً أقولـــه والكمالُ يتجسدُ أمامي, أريدكِ كما أنتِ وفقط"

اعتراهـــا الخجـــل الشـــديد مـــن كلماتـــه فتســـائل باســـماً : ومتـــى سنكلم البابا لأخذ موعد ؟أم أنه ما يزالُ بشهرِ العسل ؟!

رفعت الكوب وارتشفت القليل من العصير ثم تطلعت به وتسائلت : أنا أستمع فهد, ما هو الموضوعُ المهم الذي تريدني فيه ؟

تلاعب بأصابعه بفنجان قهوته ثم تساءل : ماذا تفكرين بالنسبة للمستقبل, أقصد...هل حددتِ خياراتك التالية بعد صدور النتائج ؟

-طبعاً سأرتادُ الكلية" قالتها بحماسٍ شديد ليتكئ برأسه على كفه وكوعه مسستندٌ على الطاولة تساءل بذات الابتسامة : وبعد"

-ممم ...بعدها سأتخرج..سألتحقُ بإحدى أفرعِ الأمن الجنائي و سيتزين كتفاي ببضعِ نجمات , ستناديني بسيادة الضابط"

بصق القهوة وتعالى سعاله وهو يتطلعُ بها بصدمة : مازلتِ تفكرين بالأمر....سترتادين الكلية الحربية!!

هزت رأسها بإيمائةٍ واثقة فقال بلعثمة مجدداً بعد أن مسح فمه بمنديلٍ ورقي : سترتادين الكلية الحربية!

-وما بك تكررها كالببغاء ؟!

هــز رأســه باســماً : ســيادة الضــابط عســل!! ألا تــرين أن الإســم متناقضٌ قليلاً ! بل وغريبٌ على ضابط!

تعالت ضحكاتها مجيبة : ما غريب إلا الشيطان!

تنحــنح مجليــاً صــوته ثــم قــال بجديــة : حســناً طمــوحٌ جــامحٌ قليلاً...لكن, بعد ذلك كله ألا تفكرينَ بشيءٍ آخر.

مطــت شــفاهها وهــزت رأســها بتفكيــر : لا...لا أعــرف شــيءٌ مثــل ماذا ؟

مــال ناحيتهــا قــائلاً بحنــان: بشــيءٍ آكثــر رومانســيةٍ مــثلاً... بمنــزلٍ دافئٍ صغير يكونُ ملكك وحدك , تكونينَ فيه ملكة"

تعاظمــت ضــربات فؤادهــا واحــتقن وجههــا وهــو يــردف مكمــلاً : بــزوجٍ .... تنســين معــه كونــك ســيادة الضــابط عســل, وتكــونين بمنزلــه أميرتــه...., جــزءٌ مــن روحــه, تشــاركينه أفراحــه وأحزانــه....يعملُ مــثلاً كطبيــبٍ نفســي, فــي بدايــةِ طريقــه المهنــي, وربما اسمه فهد"

ارتبكــت مــن كلماتــه واحتضــنت كــأس العصــير بــين أصــابعها المرتعشــة وقالــت بلعثمــة : ما...مــاأزالُ قصــيرة...يوووه أقصــد صغيرةً جداً على..على ذلك"

ضحك وهو يحتضن كفيها المرتعشتين بين أنامله مجيباً : بالمناسبة أنا لا أتكلم عن الآن..بل لأؤسس نفسي وتكونين قد انهيتِ دراستكِ حينها ستكونين بعمرٍ يسمحُ لكِ بتأسيسِ عائلة " أشاحت بوجهها عنه مرتبكة فأعادها إليه مرةً أخرة بجدية: اسمعيني عسل.. حالتي المادية متواضعةٌ بالنسبة لكم, لكن المشاعر التي أكنها تجاهك كبيرةٌ جداً, أخبرتك سابقاً بأنك تعجبينني بشدة, ومعاذَ الله أن أضركِ بتصرفٍ أو قول, لذلك أصارحكِ بمشاعري تجاهك, ما أريده فقط أن أعرف رأيكِ بي... كرجلٍ يرغبُ بتأسيسِ مملكته معك وبرفقتك"

سحبت يديها وضمتهما على حجرها واستجمعت شجاعتها لتجيبه : لا أعرف, أنا حالياً مشوشة, لقد صدمتني بمطلبك إن هذا الأمر خارج حساباتي كلياً"

-أعرفُ ذلك, فكري جيداً بالأمر,وسأنتظرُ قرارك"

****

تهاجمنـــا ذكريـــاتُ الماضـــي , تتســـارع بأذهاننـــا كومضـــات بعيـــدة جـــداً, بعيـــدةٌ لدرجـــة نشـــعرُ وكأنهـــا صـــفحةٌ بكتـــابٍ مركـــونٍ علـــى رفٍ مـــن رفـــوف ذاكرتنـــا, فتمـــرُ حياتنـــا كـــالحلم...يغرقُ الماضـــي بتفاصـــيله ولا يبقـــى ســـوى ذكريـــات مشوشـــة وضـــبابية,ف نعتـــادُ علـــى الألـــم حتـــى يخـــف تـــدريجياً لنتحـــرر منـــه بالوقـــت المناســـب, فهـــل تحـــرر مـــراد بعـــد هـــذه العواصـــف التـــي اجتاحـــت حياتـــه فخلفـــت فســـاداً لســـنوات , هكـــذا تمنـــى فعـــلاً.. قـــبض علـــى المقـــود بكلتـــا يديـــه والقلـــق ربمـــا يـــنهشُ روحـــه, هـــو خـــائفٌ ومتـــوتر وهـــذا الإحســـاس سيستشـــعره لأولِ مـــرةٍ بحياتـــه ...يخـــافُ أن يفقـــدها بعدما وجدها ووجد الأمان برفقتها...

تصـــرخُ دلال بعنـــفٍ وتنهـــار باكيـــةً بالمقعـــد الخلفـــي وعبيـــر تطلـــب منـــه بـــأن يســـرع فيزيـــد مـــن ســـرعة ضـــغطه علـــى البنـــزين لتـــزداد سرعة سيارته, كانت عيناه تدمعان فعلاً!

وومضـــات تلـــك الســـنوات القليلـــة منـــذُ تعارفهمـــا تمـــر بذاكرته....شـجاره الـــأول معهـــا عنـــدما ســـألها عـــن اليســـا ... ومنـــذُ رآهـــا تبكـــي تحـــت الشـــجرة ذات يـــوم ... اعترافـــه الأول بكلمـــة أحبـــك, تلـــك اللطمـــة التـــي بســـببها عـــاد ينـــزفُ جرحـــه... شـــجاراته

معهـــا...وكم تمنـــى أن ينـــزف دائمـــاً إن كانـــت هـــي مـــن ســـتداوي جراح جسده كما داوت جراح روحه...

**النزيـفُ يزداد..أسـرع بـالله عليـك يـا مـراد: نطقتهـا عبيـر ليـزداد ألم رأسه ويزيد من سرعته أكثر...

ومضاتُ الذكريات تخترق روحه هذه المرة.....

دلـف برفقـة والديـه وهـو متـأنقٌ ببذلـةٍ رماديـةٍ يحمـل بـين يديـه باقـة زهـورٍ قـدمها لـدلال التـي اسـتقبلتهم بمنـزل والـدها..رغم بسـاطتها, وبسـاطة مـا ترتديـه مـن قمـيصٍ طويـلٍ وبنطـال وحجـابٍ لـم يزدهـا إلا رونقـاً وجمـالاً ..رغـم بسـاطة دارهـا وبسـاطة الحـي الـذي تعـيشُ فيـه...إلا أنـه شـعرَ وكأنـه يخطـو داخـل قصـرٍ بـاذخ الثـراء... لكـن ثـراءه هـذه المـرة بالإيمـان والأخـلاق والعفـة التـي كـان قـد تناسـها سـابقاً ...ومفتـاحُ تحريـره هـو أنثـى فقط..اسـتطاعت أن تفـتحَ لـه هـذا البـاب علـى مصراعيه...

زوجـة أبيهـا ذات الثلاثـين عامـاً علـى أكثـر تقـدير تجلـسُ وقـد تبهرجـت بـألوان الطيـف ووشـاحٍ يظهـر أكثـر مـا يخفـي مـن شـعرها المصـبوغ !! ووالـدها يجلـس وعينـاه تلتمعـانِ بصـيدٍ

ثمـينٍ جـداً...لكن مـراد لـم يكـن يهمـه أبـداً, جـلُ همـه هـو دلال التـي تقـدم لـه هـذه اللحظـة فنجـان قهوتـه وبسـمةٌ رقيقـةٌ ترتسـم علـى محياهـا, تنـاول الفنجـان وشـعر بـأن فـؤاده ينـازع للقفـز مـن صـدره, شـعوره حاليـاً مغـايرٌ جـداً لأي لحظـةٍ عاشـها, حتـى لمـا تقـدم لطلـب يـد اليسـا, كـان الموضـوعُ سـهلاً وبسـيطاً...كلمتان ألقاهمـا لوالـدتها التـي اجابـت بسـرعةٍ دون تفكيـر... فكانـت خسـارته بعـدها ....دون تفكيـر!! أمـا هـذه الحظات فمغايرةٌ حتماً.

-نكتها لذيـذةٌ جـداً" نطقهـا بـلا وعيٍ بعـدما ارتشـف مـن فنجـان قهوتـه فقـال والـدها مازحـاً : إن دلال خيـرُ مـن تعـد القهـوة بكـلِ المعمورة"

ومضـاتُ حياتـه تزداد...مـا زال يـذكرُ تلـك الزغاريـد التـي أطلقتهـا الفتيـات حولهمـا بحفـلِ زفافـه, ودلال بجانبـه تتـزين بفسـتانها الأبـيض وطرحـةٍ تغطـي شـعرها .. وتبـرجٍ نـاعمٍ كحالهـا ...الزغاريـد توقفـت فجـأةً وهـو يخطـو بهـا لـداخل الشـقة, باتـت الفـيلا مختلفـةٌ تمامـاً عمـا ألفهـا سـابقاً....حياته ذاتهـا مختلفة,مكللـةٌ برضـا الله سـبحانه, رفـع الطرحـة رويـداً لينسـدل

شـــعرها ولأولِ مـــرةٍ يتأملــه بأريحيـــة... كـــان ناعمـــاً ..طـــويلاً, ككنــزٍ ثمين اكتشفه ومن حقه وحده فقط الاحتفاظ والتمتع به....

أفـــاقَ مـــن ذكرياتـــه علـــى صـــوت صـــريرٌ عـــالٍ صـــدر مـــن عجـــلات ســـيارته لتخفيـــف الســـرعة وكـــاد أن يصـــتدم بإحـــدى الســـيارات حينمـــا توقفـــت إشـــارة المرور...ضـــرب بحنـــقٍ علـــى المقـــود وحـــاول الالتفـــات لتجـــاوز الســـيارة لينطلـــق مجـــدداً متجـــاهلاً إشـــارة المرور ودلال ما تزال تصرخ بألمٍ يكتسح جسدها....

****

الفصل الأخير

وصل إلى المستشفى وهرع بعدها ليحملها وهي تنزف وتحول صراخها لمجرد أنينٍ متألم....وضعها على النقالة وهرول بها المسعفون إلى غرفة العمليات, ارتد إلى الوراء ليستند على الحائط بينما عبير تراقبه وهي تدعو الله بسرها أن ينجي دلال, تلك التي وما إن خطت لداخل الفيلا غيرت ابنها كلياً, وصارَ أكثر إشراقاً وحيوية, وعبير لا تريدُ لابنها أن ينهار ويعود لما كان عليه, انزلق مراد على المقعد وهو يخفي وجهه خلف كفيه ويحني جذعه للأمام يدعو الله...

تذكر هذه اللحظة قبلتهما الأولى...صباحه الأول معها , الأمان الذي شعره برفقتها منذُ زواجه منها, التزاماته الدينية التي بدأت تتشكلُ من جديد على يديها, والآن يخاف الحرمان الاستقرار الذي عاشه برفقتها ....., فرك جبينه بأصابعه وعاد صراخها من الداخل يعذب روحه... واختلط بصراخها قبل ساعاتٍ عندما زلت قدمها لترتطم بعنفٍ على أرض الحمام وهي بشهرها الثامن من الحمل.

تـــذكر كيـــف تلقـــى خبـــر حملهـــا وكأنـــه البارحـــه...حينها كـــان قـــد حضـــر مـــن العمـــل مرهقـــاً جـــداً, لـــم يكونـــوا قـــد تنـــاولوا العشـــاء بعد , قالت عبير بابتسامةٍ رقيقة: مباركٌ يا بني...

فتســـائل وهـــو يخلـــع جاكيـــت بذلتـــه ويســـنده علـــى الكرســـي: علـــى ماذا؟

اصـــطبغ وجـــه دلال بحمـــرةٍ طفيفـــة وهـــي تضـــعُ آخـــر طبـــقٍ علـــى الطاولة وأجابت بخجل : ستصبحُ أباً ...أنا حامل "

حامل....حامل...حامـــل ! صـــار عقلـــه يرددهـــا بســـرعةٍ جنونيـــة كمـــن ســـمع لتـــوه بأنـــه ربح الجـــائزة الكبـــرى بـــأكبر مســـابقةٍ كونيـــة !

نـــدت دمعـــةٌ مـــن عينيـــه لـــم يســـتطع كبحهـــا ثـــم خطـــى ناحيـــة دلال, حملهـــا وصـــار يـــدور بهـــا بوســـط الصـــالة دون أن يأبـــه بوجـــود عبيـــر ورضـــوان وحتـــى عســـل التـــي تعالـــت قهقهاتهـــا المرحـــة وهي تهتف : جن أخي.!!

ســـقطت دمعتـــه هـــذه اللحظـــة كمـــا ســـقطت عنـــدما أعلمتـــه بحملها,كمـــا ســـقطت حـــين زواجـــه منهـــا, مـــا يـــزالُ غيـــرُ مصـــدقٍ

لكل ماجرى وكأنه مجردُ حلمٍ يخاف أن يستفيقَ منه فيرتطم بشناعة واقعه!

كان يدعوا الله كل يومٍ أن يحمي الجنين ويحفظه خوفاً من أن يتكرر معه ما حصل بالماضي مع اليسا حينما أهملها وفقد طفله, منع دلال من العمل منذُ عرف بالخبر , خصصَ لها سائقاً خاصاً حينما تريدُ الخروج من المنزل, بل صار هو من يترك عمله لإيصالها، لم ينتبه على حرصه المبالغِ , وعلى الرغم من ضيق دلال في بعض الأحيان من حرصه الشديد إلا أنها آثرت الصمت وهي تلتمسُ عطفه وحنانه وسعادته بطفلهما الأول...كان مراد حريصاً جداً لكنه غفل عن أمرٍ مهم...ألا وهو أن قضاء الله سيحصلُ مهما اتخذ التدابير وعمل بها!

وعاد إلى الواقع مجدداً عندما كفت دلال فجأةً عن الصراخ ...تطلع بوالدته يستجديها أن تطمئن...ربتت عبير على كتفه بحنان بعدما عرفت ما جرى وسمعت صوتاً لم تلتقطه أذني ابنها المشوشة...

خرجت المرضةُ بعد دقائق قليلة وبيدها رضيعٌ صغيرٌ جداً يصرخ احتجاجاً على خروجه قبل ميعادة بشهرٍ كامل ... لم

تعد قدميه تحملانه اختلجت ضلوعه بصدره والممرضةُ تقول : صحيحٌ أن الصدمة على حوضها كانت قويةٌ جداً وحرضت على طلقٍ مبكر لكن الحمدُ لله كلاهما بخير... يبدو أن الصغيرة أرادت الخروجَ بسرعة', أوصلتماها بالوقت المناسب....

كانت الممرضةُ تثرثر... دون انقطاع ولم تلتقط اذناه سوى جزئية أنهما بخير ....فقط هذا ما يهمه ....وهذه الطفلة الصغيرة يصدع صوتها عالياً...تطلع بأمه التي شجعته لحمل ابنته وهو يهز رأسه بخوف, كيفَ سيحمل هذا الملاك بين يديه دون أذيته!

ندت دمعةٌ من عينيه والصغيرة بين ذراعيه...ولم يكتفِ بدمعةٍ فقط, بل انسابت دموعه بصمتٍ وقد ابتعد عن والدته, حتى عن الجميع حينما علموا بأن دلال تلد فترك الجميع أعمالهم واتجهوا للمستشفى ..راقبوه وهو ينزوي بطفلته الصغيره ويجلس على المقعد وهو يؤذن بأذنها بصوتٍ متهدج...قبّل يديها الرقيقتين وشم عبيرهما الزاكي وانفصل تماماً عمن حوله لدقائق, كان يتمنى فعلاً أن تبقى تلك

الصـغيرةُ بـين يديـه أبـد الـدهر فهـذه الرضـيعة بحجمهـا الضـئيل أشعرته بروعة الحياة من جديد

ومــن بــين الجميع...تقــدم جــواد الصــغير ذو الســبع ســنوات وبابتســامةٍ بريئــةٍ قــال: علــى الــرغم مــن أن صــوتها حــادٌ ومــزعج كشقيقتي....إلأ إنها تبرق كالملائكة ..أتسميها ملاك يا عمي؟

تنبـه مـراد علـى جـواد بينمـا ضـحك كـريم علـى ابنـه وهـو يعبـث بشـعره تطلـع فيـه بتيـه ومـا يـزالُ غيـر مصـدقٍ أنـه أصـبح أبـاً!! أجاب بإيجاب : ملاك...سأسميها ملاك"

قــال كــريم مخاطبــاً صــديق طفولتــه : مبــاركٌ بــاابن العــم, اســمٌ مناســبٌ جــداً" صــرخت ابنــة جمانــة باكيــة هــذه اللحظــة فشــرعت بإســكاتها وهــي تبتعــد كــيلا تــزعجهم ..بينمــا نهــض مــراد وســلم الرضــيعة لوالدتــه قبــل أن يــدلف لغرفــة دلال ويغلــق البــاب خلفــه بعــدما ســمحت لــه الممرضــة بالــدخول, كانــت مرهقــةٌ جــداً انحنــى راكعــاً علــى ركبتيــه وتنــاول كفهــا ليطبــع قبلــةً عليهــا وعينيــه مــا تــزالان تكتنــزان بالــدموع : الحمــدُ للهِ علــى سلامتك حبيبتي, كدتُ أموتُ قلقاً.

وعلى الرغم من الوهن الذي يتملك منها ورغم آلامها رفعت يدها لتمسح على شعره, بدا كطفلٍ صغير هذه اللحظة, غريبٌ أمر البشر...يبكون حين الحزن, يبكون حين الفرح, تلكَ المشاعر الإنسانية الصادقة لا تنبعُ عن الضعف حتماً بل من القلب والبذرةِ النقية التي زرعها الله سبحانه في قلوب عباده, لذلك يبكي التائب...بكائه يطهره من ذنوبه فتغسل جسده وروحه من شوائب معاصيه وآثامه, وهذه اللحظة وكأن مراد كان يتطهرُ من كل ما قترفه سابقاً بحق نفسه والجميع.

****

أحداثُ الحياة ليست عبثيةً هي مجموعة اختباراتٍ واختيارات...إن اخترت طريقَ الحق وكنتَ على يقينٍ بالله سبحانه , لن تؤثر فيكَ صدمات القدر, سيكونُ أملكَ بالله ويقينك فيه هو طوقُ نجاتك في كلِ مرة, وبالنقيض تماماً اختر طريق الشر واسلكه ملئ ارادتك لكن كُن على يقين أن نهاية الطريق ستكونُ مؤلمةٌ جداً لك, ستقصمُ الحياةُ ظهرك, مراتٍ ومرات كي تحيد عما تفعله, يرسلُ الله

إليك إشاراتٍ لتعود إليه, لأنه يشتاق لتوبة عباده, وطوبى لمن استفاقَ باكراً من غفلته...

عاد مراد بأسرته الصغيرة إلى الفيلا , بملاكه الذي أعاد نبضَ الحياةِ لمنزل العائلة, أحياهُ حبُ دلال, وأحياهُ حُب ملاك..عرفَ معنى أن يكونَ أباً مسؤولاً ومؤمناً يخاف الله, وتلك الصغيرة أمانه, تنامُ بين ذراعيه وهو يغني لها كل ليلة, يشتمُ عبيرها الزاكي تمنى أن يكون قد تعرف على دلال منذُ أكثرِ من عشر سنوات لعله توقف بأخطائه عند حدٍ معين,بل تمنى أن يمسح من حياته عشرونَ عاماً قضاها بالمجون والضلال..

تقدم من دلال التي كانت تقفُ على السطح وهي تتنفسُ هواءَ الليل النقي الممزوج بلسعةِ برودةٍ مُحببة, حوطها بذراعه وشدها لصدره واتكئ بذقنه على كتفها هامساً :

- شكراً كونكِ بحياتي

استكانت بين يديه وبدا وكأنه بعالمٍ آخر شارداً,وتعلمُ هي أنه في كلِ يومٍ يخاف أن يعودَ وحيداً, يخافُ العودة للضياع وذكريات ماضيه لاتنفك تهاجمه, لذلك كان يتشبث بها دائماً,

صار متعلقاً فيها بشكلٍ جنوني ,وكم أحبت تعلقه بها, كم عرفت هذه اللحظة أن الله سبحانه انتزع حُب هشام من صدرها لكنه قدم لها أعظم عدية, قدمَ لها المكوث داخل قلبٍ ينبض باسمها ولها فقط, استدارت ناحيته وتأملت ملامحه المشرقة, بدا بشعيراته البيضاء التي تتخلل خصلات شعره وذقنه, فاتناً,بتأنقه وتألقه بدا ذو شكيمةٍ ووقار,برقت عيناها ببريقٍ خلابٍ اسر روحه هذه اللحظة, ومتأكدٌ كان أنها ستأسرهُ حتى يلفظَ آخر أنفاسه.

****

وبالنسبةِ لهشام و إليسا, لم يختلف الأمرُ كثيراً, إلا أنهما لم يرزقا بعد بطفلهما الأول , تزوجها بعد زواج دلال ومراد بعامٍ واحد, لكنه كان مُصِراً على أن تشاركه منزله بعد أن قام بالإصلاح اللازمة و التجهزيات لانتقالها وترك لها حرية التصرف بالفيلا, يريدها معه بمملكته المتواضعة بالنسبة لها, باتت تعرفُ وضعه المادي, لكن العشق الذي يقدمه لها والذي كانت تحتاجه جعلاها تمتثل لرغبته, الثراء سابقاً لم يزدها سوى البؤس والشقاء, ويكفيها نظراته اليها من عينه الخضراوتان الرائقتان وبريقهما وهو يتأملها, لقد أحرق

هشام ماضيها السيء وأضرب بذاكرتها النيران لتحرق كل ذكرى سيئةٍ لها مع مراد يكفيها أن تتوسد صدره مساء كل يومٍ لتشعر بالأمان الذي حُرمت منه طويلاً جداً بسنواتِ الخوف الذي عاشتها سابقاً ,

ببكائها ليلاً وحيدة دون أن تجد من تلتجئ إليه, بسنوات القهر والألم بعد أن كُسِرت أجنحتها بسبب مراد وعائلتها, أعاد هشام تشكيلهما من جديد, منزله المكون من غرفتين وصالة صارَ قصراً من الألوان, راقبها ذات يومٍ عندما توقفا أمام متجرٍ لبيع الشوكولاه, كانت وكأنها تحارب ألا تهرول ناحية المتجر!! تعلقت عيناها على الأصناف ثم استدارت وأكملت طريقها, وكانت قد أخبرته سابقاً أن الشوكولاه تحمل لها الذكريات المريرة التي عاشتها سابقاً, لكنه اليوم يريدها أن تنسى , أن تبدأ معه من جديد...مزق ذاكرتها وسيخط بيده أحداثاً جديدة لتستذكرها بالمستقبل, لذلك هذه المرة حينما قدم لها صندوقاً من الشوكولاه, لم تكسره كما المرةِ السابقة, بل احتضنته بين كفيها بفرحٍ طفوليٍ أعادها عشرَ سنواتٍ للوراءِ على الأقل... على الرغم من أن عيناها كانتا تتلبدان بدموعٍ لكنها قاومتهما بضراوة, فض هشام اللفافة وأطعمها

حبـة الشـوكولاه، تبسـمت وهـي تسـتلذُ بنكهتهـا الحلـوة كمـا حياتها التي تعيشها حالياً..

سـألها بابتسـامةٍ صـافية :بالمناسـبة, أتحبينهـا بالبنـدقِ أم الفستق"

تطلعـت فيـه هـذه المـرة وتعالـت قهقهاتهـا دون سـببٍ يفهمـه, أجابـت بعـد أن تمالكـت نفسـها: أحبهـا بالبنـدق و أعشـقها بالفسـتق, وبـاللوز, و بـالجوز وبالحليب...أحبهـا مُـرة, وحُلـوة, اشتري لي الشوكولاه كل يوم.

-لا تكوني شرهة ستخربين ميزانيتي هكذا !!

-لتنخرب...مـا يهمنـي فقـط أن أعـوضَ مـا فـاتني طيلـة سـنوات دون أن آكلها.

-طيب....أمري لله, هاتي قطعة أثرتي شهيتي.

تطلعـت فيـه وراقصـت حاجبيهـا بـرفض وهـي تقحـم حبـةً أخـرى بفهما : الصندوق أمامك أنا مشغولة "

-وأنا أريدها من بينِ يديكِ فقط.

تعانقت عينيهما للحظاتٍ كانت كافيةٍ ليتمكن الخجلُ منها كادت أن تختنق بالقطعة فابتلعتها بصعوبةٍ بالغة , ما يزالُ يتقن إخجالها حتى بأدنى نظرةٍ وكلمةٍ منه,تناولت حبة شوكولاه وأطعمته إياها فتناول راحة يدها وطبع قبلةً عليها وهمس : واللهِ لن آكلها بعد الآن إلا من بينِ يديكِ "

****

مرت سنواتُ الكلية الحربية على عسل وإيمانها يزداد بكل خطوةٍ تخطوها نحو مستقبلها الذي أصرت أن تمشيه, صحيحٌ أن العائلة رفضت في بادئ الأمر كونها ربما ستنسلخُ عن أنوثتها باختيارِ فرعٍ صعب ملائمٍ للرجال لكن مع إصرارها ما كان منهم إلأ أن يرضخوا, كان مراد على عكسِ الجميع يساندها, يرى فيها تلك القوة التي لم يملكها هو ذاته أبداً, لم يكن يكذبُ حينما قال لدلال بأنه ضعيف, هو انسانٌ ضعيفٌ جداً حيثُ أغواه شيطانه, لاحق هواه وغرائزه سابقاً دون مقاومة, شقيقته عسل...كانت تقاوم ببسالةِ محاربة, تحارب أن تلتقي بفهد حين إجازتها الأسبوعية, تكتفي بإرسال الرسائل والمكالمات كي لا يشغل تفكيرها عن دراستها, أرادت منه الابتعاد كي تختار بهدوء, وكي يتأكد هو كذلك مما هو

مقـــدمٌ عليـــه, كانـــت تـــؤمن بفكـــرةٍ وتســـعى لتحقيقهـــا, الأنوثـــة لا تعنـــي شـــعراً طـــويلاً ولا جســـداً متناســـقاً يغـــوي الرجـــال ,ولا ماكياجـــاً صـــارخاً, بـــل الأنوثـــة هـــي روحٌ وإحســـاسٌ مرهـــف, هـــي رقـــةٌ وأناقةُ, لسانٌ عذبٌ وأخلاقٌ وعفة وهو الجمالُ الحقيقي.

وهـــذا مـــا اســـتطاعت عســـل فعلـــه, بمســـاعدةٍ طفيفـــةٍ مـــن فهـــد الـــذي آمـــن فيهـــا وبحبـــه لهـــا , حيـــث اعتـــرف لمـــراد ورضـــوان أنـــه يرغـــبُ بالارتبـــاط بهـــا , كـــان يتصـــل برضـــوان ويقابـــل مـــراد فـــي بعـــض الأحيـــان دونَ معرفـــةٍ مـــن عســـل , لكـــن الآن كـــان فهـــد قاصـــداً أن يـــأتي بـــآخر زيـــارةٍ لهـــا قبـــل التخـــرج لكـــي يراهـــا, قاصـــداً أن تكـــون زيارتـــه قبيـــل مجيئهـــا بـــدقائق فروحـــه لـــم تعـــد تحتمـــل هـــذا الحـــاجز الـــذي تصـــر عســـل علـــى بنـــاءه, ودلفـــت كتلـــةُ الإعصـــار المتحركـــة كمـــا يســـميها الجميـــع, بشـــعرها القصـــير وبزتهـــا العســـكرية ...بـــدا شـــكلها لطيفـــاً جـــداً علـــى عكـــس المتوقـــع, كجنـــديٍ عائـــدٍ مـــن ثكنتـــه العســـكرية , أو هـــي كـــذلك فعـــلا!! حـــدقت بفهـــد بارتبـــاكٍ وصـــدمةٍ حقيقيـــين بينمـــا مـــراد ينقـــلُ بصـــره بينهمـــا وابتســـامةٌ عبثـــت بشـــفاهه , تقـــدمت عســـل بوقـــارٍ ومـــدت يـــدها لمصـــافحة فهـــد بعـــدما قبّلـــت شـــقيقها , كانـــت يـــد فهـــد دافئـــةٌ جـــداً, تغيـــر بتلـــك الســـنوات التـــي لـــم تـــره فيهـــا, ازداد

نحولـــه فبـــرزت غمازتيـــه أكثـــر لتـــذوب بجمالهمـــا وهـــي تقـــول بصوتٍ مرتبك : كيف حالك دكتور فهد.

وعلـى الـرغم مـن أنهـا لـم تطلـبُ منـه أن يرسـل لهـا صـورةً واحـدة طيلـة تلـك السـنوات إلا أنهـا كانـت تخـتلسُ النظـر لصـوره عبـر صـفحته علـى الفـيس بـوك بـل وتملـئ هاتفهـا بـه، بنظراتـه وهمســاته الحنونــة وخوفــه عليهــا عــرف كيــف يظهــرُ أنوثتهــا رويــــداً رويــــداً أعجبــــه فعــــلاً أن تكــــون معــــه صــــافيةٌ كالعسل...وأمام غيره قويةٌ كجعفر!!

تعــالى صــراخُ مــلاك ابنــة مــراد ذات العــامين وهبــة ابنــة جمانــة التـي قاربـت علـى بلـوغ الرابعـة مـن عمرهـا وهمـا تركضُـان بأرجـاء الصــالة بعــدما ســرقت هبــة دميتهــا وهربت....تقــدم جــواد ذو التســعة ســنوات مــن شــقيقته وهــو يضــم شــفاهه بانزعــاج وقــال بنبـرةٍ حــادة: اتركـي دميتهـا حــالاً، لا تُبكـي ملاكـي، لكــن هبــة أخـــذت طبـــاع والـــدتها الشرســـة وضـــربت شـــقيقها وهرولـــت ليلحـق بهـا غاضـباً بينمـا مـلاك مـا تـزالُ تبكـي !! قهقـه مـراد وهـو يتجـه لـيفض الخـلاف كمـا العـادة بعـدما اسـتأذن مـن فهـد، فتقــدم فهــد خطــوتين للأمــام قــائلاً بلهفــة عاشــق : -اشــتقتُ لــكِ جداً...جداً، حرامٌ ما تفعلينه بي أقسمُ بالله.

و مـا يــزالُ يحتضــن كفهـا منــذُ أن صــافحته, لـم يفلتهمـا تبسـمت بخجـلٍ ثـم أردفـت وهـي ترفـع كتفيهـا : أنـا أخبرتـك منـذ سـنوات أن هـذا هـو شـرطي الوحيـد لزواجنـا, وأنـت وافقـت علـى ذلـك, ثم...أحتاجُ كفي بعد إذنك!!

-ســتتخرجين قريباً....يــا ســيادة الضـابط , التزمــتُ لأربــعِ ســنواتٍ ...ألا يكفي, ثمُ أن الجو بارد, كفكِ تمدني بالدفئ"

تــوترت قســمات وجهــا واختلجــت ضـلوعها وهـي تتلفـت حولهـا خشية أن يعود مراد أجابت باسمة:

-لــم تكتمـل الأربــعُ ســنوات...باقي أســبوعٌ حتـى التخــرج التـزم فيهـا حتى أتخرج بأمان الله !!, واترك يدي يوووه!!

اقتــرب أكثــر منهـا هامســاً ببســمة: بعــد فــراقٍ لأربــع ســنوات....إلا أســبوع, وتقــولين أتــرك يــدي مجنــونٌ لــو فعلتهــا, واحمــدي الله أني لم أجذبكِ ناحية صدري حتى هذه اللحظة!!

اكفهــر وجههــا وقالــت بحنــق :عيــب فهــد, لا تطـل الكــلام وافلــت يدي"

هـز رأسـه نافيـاً لمعـت عيناهـا وبثـوانٍ كـان أظفارهـا يغـرز بقـوةٍ بلحمـه وردت بحنـق بصـوتٍ كالهسـيس : أنـا جائعة...ومتعبـة ...ومرتبكةٌ من وجودك المفاجئ اعتقني"

أغمـض عينيـه باستسـلامٍ رغـم تألمـه مسـتمعاً لهمسـاتها ولـم يمنـع نفسـه مـن التبسـم , أفلتـت كفـه أخيـراً وغـادرت بينمـا رفـع كفـه ليـرى أثـر أظفرهـا وتمـتم متألمـاً : متوحشـة !! ثـم تنحـنح وارتـد جالسـاً ببـراءة على الأريكـةِ منتظـراً مـراد ليسـتكمل حديثـه معه.

حمـل مـراد هبـة بـين ذراعيـه بعـدما تمسـكت بسـاقه وقـال يداعبها : أيتها الشقية ألن تكفي عن إزعاجها"

-هؤ..لأنـك تحبهـا أكثـر منـي " قالتهـا هبـة ببـراءة فقبـل مـراد وجنتيهـا مازحـاً : أنـتِ الأصـل يـا غاليـة, مـلاك مـا تـزالُ صـغيرة وعلينـا الصـبر عليهـا واللعـب معهـا بهـدوء كـي لا تتـأذى وتؤذينـا بصـراخها , ألـيس كـذلك يـا جميلتـي, واليـوم أعـدكِ أن نـذهب للحديقة لتلعبا فيها اتفقنا.

هــزت رأســها بعــدما قــام بإقناعهــا فغمــز لهــا وتنــاول اللعبــة مــن بــين يــديها ليعطيهــا لمــلاك التــي احتضــنت اللعبــة ومشــت بفــرحٍ بعدما ظفرت بها وعاود مراد توجهه تجاه ضيفه العاشق.!

بينمــا دلال كانــت برفقــة جمانــة وعبيــر فــي المطــبخ يحضــرن طعــام العشــاء, هرولــت عســل وغمــزت للفتــاتين اللتــان تفاجئتــا بقــدومها دون أن يشــعرن ثــم تقــدمت لتقــف خلــف والــدتها واحتضنتها هاتفة بمرح : مساء الورد سيدة عبير"

شــهقت عبيــر بفــرحٍ واســتدارت لتقبــل ابنتهــا التــي تجاوزتهــا طــولاً وقرصتها من أذنها : ألن تكفي عن إخافتي يا بنت!!

قهقــت وهــي تأكــل حبــة خيــارٍ مــن الطبــق وراقصــت حاجبيهــا بتفــاجئ: ومــن أخبــركِ بــأني أريــدُ أن أكبــر...آه بالمناســبة أيــن كرومي بما أن جمانة وقرداها الصغيران هنا باكراً ؟

ضــربتها جمانــة بمريلــة المطــبخ وهتفــت : واللهِ لســانكِ يحتــاجُ إلــى قص"

-كفــي عــن الكــلام الزائــد وأنجــزوا بســرعة, أنــا جائعــةٌ جــداً "

وهربــت مــن المطــبخ لتــدلف مجــدداً إلــى الصــالة حيــث كــان مــراد مــا يــزال يجلــس برفقــة فهــد , جلســت أمــام التلفــاز متظــاهرةً

بعـــدم الاكتـــراث لوجـــوده بينمـــا تتحـــرق لرؤيـــة تعـــابير وجهـــه وعينيــه وهــو يتنــاقشُ مــع مــراد عــن أمــرٍ حتـى لــم تفهــم مــا هــو ، دلــف كــريم إلـى الفــيلا برفقــة آدم ونــور فهــذه هــي عــادتهم نهايــة كــل اســبوع حيــث يجتمــع الجميــع بموعــد وصــول عســل، نهضــت بفــرحٍ وكعادتهــا منــذ طفولتهــا هرولــت لتلقــي الســلام علــى كــريم وقبلــت وجنتــه وســط نظــراتٍ حارقــةٍ مــن فهــد الــذي اكفهــر وجهــه وتجهــم، لــم ينتبــه لــه كــريم وقــرص عســل مــن وجنتيهــا قائلاً : أهلاً بأجملِ ضابطٍ بالمنطقة.

-عســل، ســاعديهم بــالمطبخ " هتــف بهــا مــراد الــذي لاحــظ انقــلاب وجــه فهــد وانزعاجــه الواضــح فتنبــه كــريم علــى وجــود فهــدر تقــدم بتــؤدة وألقــى الســلام فأجابــه فهــد باقتضــاب ثــم نظــر لســاعته وقــال : حســناً عــن إذنكــم تــأخر الوقــت وعلــي الــذهاب الآن ،

-لــن تــذهب لمكــانٍ دكتــور فهــد ســتتناولُ الطعــام برفقتنــا" قالهــا مــــراد وتــــابع كــــريم بــــتهكم : طبعاً..شــــاركنا الطعــــام، ســــبحان الله صدفةٌ جميلةٌ جداً أن نراكَ اليوم هنا"

حدجــه فهــد بنظــرة امتعــاض وتــذكر حــواره مــع كــريم منــذُ اربــع سنواتٍ كاملة حينما دلف كريم بكل ثقةٍ لمكتب فهد قائلاً له:

-يجبُ أن نتحدث

نهض حينها فهد من خلف المكتب بعدما تعرف على كريم وقال بترحاب:

-أهلاً بكَ سيد كريم تفضل.

أشارَ كريم بيده مُهدداً وهو يخطو باتجاهه: الرجالُ يدخلونَ المنازل من أبوابها أيها المحترم, لا يتلاعبون بعواطف المراهقات"

التف فهد من خلف مكتبه مجيباً بلباقةٍ شديدة : وأنا مستعدٌ لطرق بابكم ولا أزال , لكن عسل تريدُ وقتاً لترتيب أولوياتها, وتأكد أنه ليس من أخلاقنا أن نتلاعب ببنات الناس "

-إذن احترم رغبتها بالابتعاد حتى يحين الوقت وتتأكد من مشاعرها, الفتاةُ ما تزالُ صغيرة, لكن صدقني إن لمحتكَ فقط, تحومُ حولها دون معرفتي أو إخبار مراد واللهِ لن يحصلَ خيرٌ أبداً, أتفهم"

لاحت ابتسامةٌ متحفظةٌ على شفاهه وبدا بارداً كالثلج أمام كريم المتهور والإندفاعي رد مجيباً :

-ما نوعُ هذه الغيرةِ بالتحديد سيد كريم لأني أرى أن انفعالكَ مبالغٌ فيه قليلاً فلستُ مراهقاً لتكلمني بهذه الطريقة "لسعه فهد بكلماته ليحدق فيه كريم بغضب ويجيب : غيرتي عليها كغيرتك على اختك تماماً..أتفهم !! وكونكَ أكبر منها بعشرِ سنواتٍ على الأقل هذا لن يكونَ بصالحك"

-حسناً...لنكن هادئين أكثر رجاءاً ولستُ أكبر منها بعشرِ سنواتٍ بالمناسبة أنا تخرجتُ حديثاً, يعني ما أزالُ بأول حياتي المهنية والفارق بيننا لا يتجاوز الثمان سنوات, وأريدُ منكَ أن تتأكد أنني لا أريدُ بها السوء ومستعدٌ هذه اللحظة أن أتصلَ بسيد رضوان تأكيداً على نواياي الحسنة.

شرد كريم به للحظاتٍ قبل أن يرفع هاتفه ويقول بثبات: إتصل به إذاً, وأخبره برغبتك وغايتك وسأكونُ أولَ من يباركَ لك هذه الخطوة" ليتناول فهد منه الهاتف دون تردد ويجري اتصالاً مع رضوان واتفق معه على موعدٍ للزيارة دون معرفةٍ من عسل.

****

عـاد فهـد مجـدداً مـن شـروده وكـريم مـا يـزال يتطلـعُ بـه بنظـراتٍ مبهمـة فمـا كـان منـه إلا أن يضـبط انفعالـه ويبتسـم وقـد قبـل دعـوة مـراد على العشـاء فيبـدو أنـه يريـدُ تلقـين عسـل درسـاً لـن تنسـاه لإتلافهـا أعصـابه بهـذا الشـكل بتعاملهـا المـريح جـداً مـع كريم...

بعـد انتهـاء العشـاء استـأذن فهـد بالانصـراف و ذهـبَ كـلٌ منـه في شـئونه بينمـا جلسـت نـور وآدم بالصـالة , تشـاغلت نـور بمشـاهدة التلفـاز لتـنهض عسـل لايصـال فهـد حتـى البوابـة, كـان الصـمتُ حليفهمـا حتـى وصـلا ناحيـة البوابـة الحديديـة, تطلـع فيهـا وتسـائل بابتسـامةٍ عذبـة: امتثلـتُ لرغبتـك أربـعَ سـنواتٍ كاملـة يـا عسـل, تعرفينـي وتعـرفين وضـعي المـادي والاجتمـاعي جيـداً, وتعـرفين مشـاعري,ألم يحـن الوقـت لتصـبح علاقتنـا رسـمية؟ شـكلي لـن يكـونَ جيـداً حـين زيـارتكم دون رابـطٍ رسـمي ألـيس كـذلك ....يـا سـيادة الضـابط " بهتـت ملامحهـا وهـي تنظـر بوجهه الباسم, قالت بارتباك:

-يعني ؟؟

-يعني,أريدُ أن نتزوج"

لكزته بخجل وهتفت به : تأدب..أنتَ كيف!!

-تــأدب!! أطلبــكِ بــالحلال وتقــولين تــأدب" قالهــا ضــاحكاً لتغمض عينيها بحرج وتمتمت : أهذا وقته ؟

-بالمناســبة الجميــعُ يعرفــون وينتظــرون قــرارك .... ومنــذ أولِ يومٍ لكِ بالجامعة.

-مـا الــذي يعرفــه الجميــع؟ "همســت بهـا بــذهول ليجيــب هامســاً : أني أحبك, وأنتظرُ تخرجك لأبدأ تجهيزات الخطوبة.

أدارت وجههــا عنـــه بخجــلٍ شــديد والآن فقـــط لفهمـــت تلميحـــات مــراد ونــور كلمــا جــاءت للزيــارة, الآن فقــط فهمــت إصــرار عبيــر علــى شــراء بعــض الفســاتين والألبســة لهــا.. الآن لاســتوعبت أنهــم يقومـــون بتجهيزهـــا كـــأي عـــرس ! تغضـــن جبينهـــا وازداد احمـــرار وجههـــا استشـــعر فهـــد اضـــطرابها لـــيهمس مجـــدداً : أنتظـــرُ إجابتك.

-يخرب بيتك"

ضــحك هـــذه المــرة بصــوتٍ عــالٍ : خربــت بيتــي قبــل أن أشــتريه حتــى ! لكـــن لكـــن لأقـــول الحـــق لأولِ مـــرةٍ آراكِ خجلـــى بهـــذا الشكل"

تأففت عسل وضربته على صدره فأردف وهو يمسكُ بكفها :
من الآن وصاعداً, لن تسلمي بهذه اليد حتى...على كريم ,
لستِ صغيرة مفهوم"

استجمعت رباطة جأشها وهزت رأسها موافقة وقررت أن ترد
له الصاع صاعين : وآدم عادي !!

ضرب كفاً بكف بيأس : لا كريم ولا آدم ولا غيره مفهووم"

-حتى أنت!!

صر على أسنانه بغيظ لتتعالى ضحكاتها الماكرة فلكزها على
رأسها قائلاً : أنا من يحقُ لي فقط....ولا أحد غيري ليكن الله
بعون من ستلقين القبض عليهم عندما تباشرين العمل.

-يبدو أنك أول من سألقي القبض عليهم.

-ويبدو أني أعرف السبب: سرقتُ قلبكِ وتفكيركِ, لا تُنكري"

رفعت حاجبيها وزمت شفاهها تريد أن تجيب لكنه أعجزها
فعلاً بنظراته...ابتسامته أغرق غمازتيه لتغمض عينيها
وتفتحهما قبل أن تتساءل ببلاهة : وانحرفنا كالعادة عن

الموضـــوع, أتتزوجنـي أم ألغـي الموضـــوع مـــن أساســـه وأتـــزوج ابـــن خالة ابن عمي ؟

-إقبـل يـا أخي وارحمنـا لـن نبقـى الليـل بطولـه ننتظركمـا أمـام البوابة !!

شـــهقت عســـل واســـتدارت وحطـــت نظـــرات فهـــد خلفهـــا علـــى كـــريم الـــذي يحمـــل هبـــة النائمـــة بـــين ذراعيـــه وجمانـــة تكـــتم ضـحكاتها بصـعوبة وهـي تمسـكُ بكـف جـواد, ابتعـد فهـد وقـد شـعرَ بـالإحراج فغمـزَ لـه كـريم وتجـاوزه هـو وجمانـه ليسـتقلا سيارته المركونة خارجاً

ضـربها فهـد علـى جبهتهـا باسـماً : حسـناً أمـري لله, سـأتزوجكِ كـي لا تسـبي أزمـةً قلبيـة لوالـديك, هيـا إلـى الـداخل, تصـبحين علـى خير

****

تعالــت شــهقاتها وهــي بغرفــة الكشــف بعــدما قامــت الطبيبــة بإخبارهــا مــا كانــت تــود ســماعه منــذُ ســنواتٍ وسنوات... أنتِ حاملٌ يا نور, مبارك"

غطت فمها بيديها ولم تشعر إلا وهي تهمسُ شاكرةً لله واختنق الصوت بحنجرتها ولم تستطع نطق كلماتٍ مفهومة, انحنت اليسا التي كانت متواجدةٌ برفقتها وربتت على كتفها مباركة بحبٍ كبير وفرحٍ عارم كونها أخيراً ستكونُ أماً كما حلمت منذُ زواجها, نادت على آدم الذي هرول للداخل بسرعةٍ ونور محتقنٌ وجهها بانفعال, تقدم منها بلهفة وتساءل بقلق: ما الأمر؟؟ وما سرُ هذا التعب المفاجئ الذي أخبروني به؟ وسط دموعها الملتهبة ضحكت وهي تخبره : أنا..أنا حامل, أنا حامل أخيراً...يا الله أنا ...أنا لا أصدق!!

كانت تحادث آدم وتعيد كلماتها و وكأنها تحادث نفسها, احتضنها بقوةٍ لتهدئة انفعالها بينما اليسا تبسمت مع زميلتها وخرجت من غرفة الكشف وتوقفتا أمام الباب لتعطيهما مجالاً, تنهد آدم باسماً : الحمدُ لله, كنتُ أعرفُ أن الله سبحانه سيغنيني برفقتك, كنت مؤمنٌ بذلك"

****************.



لمزيد من أعمال المؤلف يرجي التواصل علي :

facebook	Wattpad

لمزيد من الروايات يرجى زيارة موقعنا :

facebook	site